
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي




# مجلة المجمع العلمي



# محتويـــات

## الجزء الثاني / المجلد التاسع والخمسون

# الخلفاء في ساعات احتضارهم الاخيرة
# دراسة تاريخية في رؤيتهم لسياسة السلطة والرعية
# للفترة من (41 ـ 320 هـ / 661 ـ 932م )

**الدكتورة ناهضة مطير حسن**
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

**الملخــص :**

**يتناول البحث مسألة حساسة جدا تتعلق بالحكام او الخلفاء ، اولئك الذين استمر حكمهم اكثر من خمس سنوات ، وكيف تعاملوا مع الناس في حالتين الاولى وهم على كرسي الحكم ، والثانية وهي المرحلة الاصعب ، في نفس كل انسان ، فكيف بمن يتولى امورهم ، وهي احتضارهم على فراش الموت ، حيث حاولت ان اتحسس المشاعر الاخيرة التي طغت على عقول هؤلاء الخلفاء ونفوسهم وهم في لحظاتهم الاخيرة ، هل ندموا ، خافوا من عقاب الله تهيأت لهم الفرصة لطلب السماح من شعوبهم او ممن عذبوهم ، واسأوا اليهم ؟ هل كانوا يشعرون بتأنيب الضمير ؟ هل تملق المنتفعين من سلطتهم ، اصابهم بالغرور فشعروا ان ليس احد هناك فوقهم ؟ هل ان سكرات الموت ارجعتهم الى بشريتهم ، وادركوا حينها انهم ميتون ، على حين غرة ، لا محالة في ذلك ، كما اسلافهم ، وما هي الكلمات التي نصحوا بها من جاء بعدهم بها ، إذ لاحظت ان منهم من يرسم سياسة الحكم ، وهو في تلك اللحظات ، كما سنتناول ذلك في البحث .**

**قسمت الدراسة إلى خمسة مباحث تناول في المبحث الاول الشروط الفقهية لمتولي الخلافة وما طُّبقَ منها بالفعل ، وتناول في المبحث الثاني التبريرات التي قدمها الخلفاء ــ ولا سيما القساة منهم ــ لتفسير سياستهم الشديدة مع معارضيهم ، وذكر في المبحث الثالث محاسبة الخلفاء لانفسهم في حياتهم وخوفهم من عذاب الله جل وعلا وجاء المبحث الرابع لتبين تحذيرات الرعية لهم من عقاب الله وفي المبحث الخامس حاولت ان اتحسس تلك المشاعر الاخيرة وهم يصارعون الموت .**

**المقدمـــة :**

يتناول البحث جانبا مهما جدا ، يتعلق بالانسان عندما يصبح وليا للامر ــ بيده السلطات ــ كخليفة او حاكم وعليه ان يسوس الناس ، كما امره الخالق ، بالعدل والانصاف والمرونة مع الناس ، وان يأخذ بنظر اعتباره الظروف النفسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدفع ابناء جلدته الى الثورة على سلطته ، او توجيه الانتقاد له مثلا لكونه وحاشيته يعيشون في واد وشعبه في واد آخر .

ان من ينصب نفسه لهذه المهمة (خليفة على المسلمين او حاكم على دولة ما ) او من يتم اختياره لها ، عليه ان يكون امينا عليها ، رؤوفا مع الناس الذين اختاروه ، فالخلافة والحكم امران عظيمان توعد الله جل وعلا لمن يتصدون لها ويحيدون عن طريق الحق بها ، عذابا كبيرا بقوله "وإذَا حَكمتُم بَينَ النَّاس أنَّ تَحكمُوا بِالعَدلِ" [1] وقوله " وَمَن لَّم يَحكُم بِمَا أَنزلَ اللهُ فَأولَئِكَ هُمُ الظَّالمِوُنَ" [2] .

---

[1] سورة النساء ، آية 58 .

[2] سورة المائدة ، آية 45 .

من هنا جاءت اهمية هذا البحث الذي حاولت فيه ان اتحسس المشاعر الاخيرة التي طغت على نفوس الخلفاء وهم في ساعاتهم الاخيرة ، هل ندموا ، خافوا من عقاب الله تهيأت لهم الفرصة لطلب السماح من شعوبهم او ممن عذبوهم ، واسأوا اليهم ؟ هل كانوا يشعرون بتأنيب الضمير ؟ هل تملق المنتفعين من سلطتهم ، اصابهم بالغرور فشعروا ان ليس احد هناك فوقهم ؟ هل ان سكرات الموت ارجعتهم الى بشريتهم ، وادركوا حينها انهم ميتون ، على حين غرة ، لا محالة في ذلك ، كما اسلافهم ، وبالتالي يمكن ان يكون كلامهم الذي قالوه في الساعات الاخيرة ، هو الحقيقة التي لم يعترفوا بها ، الا عندما يأتي الموت ، الذي يذهل كل انسان ، من هول الايام التي ستأتي بعده ، قال تعالى " أَينَما تَكُونُوا يُدرِككُّمُ المَوتُ وَلَو كُنتُم في بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ" [3] فكيف بمن يكونون حكاما على امة المسلمين ــ الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بأنهم ولاة الامر ، مهمتهم الحكم بالعدل بين الرعية ، يقول تعالى " وَمَن لَّم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأَولَئِكَ هُمُ الفاسِقُون " [4] وجعلهم في مراتب المسؤولية بقوله تعالى " إنما وليُّكُم الله ورسوله والذين آمنوا " [5] كما عدهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مسؤولين عن رعيتهم بقوله " كُلُكُمْ راعٍ وكُلكم مسؤولُ عن رعيته ..." [6].

---

[3] سورة النساء ، آية 78 . [4] سورة المائدة ، آية 47 .

[5] سورة المائدة ، آية 55 .

[6] البخاري ، الصحيح ، ص 1443 ، حديث رقم 7138 ، كتاب الاحكام ، باب فضيلة الامام العادل ؛ مسلم ، الصحيح ، ص 784 ، حديث رقم 4724 ، كتاب الامارة ، باب فضيلة الامام العادل .

ترى هل يجعله الموقف امام ملك الموت عاجزا عن كل شئ ، ام انه يتذكر من قتل من الناس ، ودمر من الأسر او من اعتدى على حرماتهم ، او كيف عاش في النعيم والعيش الرغيد وشعبه يضرب بعضه بعضا ، وفي هذا الصدد يقول الامام الغزالي " إعلم يا سلطان العالم ... ان كل نعمة تفنى بالموت ... لان العمر وإن تطاولت مدده لا ينفع طوله إذا انقضى عدده ... وإنك مخلوق ولك خالق " [7] .

نركز في بحثنا هذا على الخلفاء ، الذين هم رأس السلطة ، ليس فوقهم من احد الا الله جل وعلا الذين حكموا اكثر من خمس سنوات ابتداءً من العصر الاموي عام ( 41هـ/ 661م) اي ممن تمكنوا من ترسيخ نفوذهم وبانت معالم سياستهم ، إلى نهاية عصر المقتدر بالله ( 320هـ / 932م ) مع الاخذ بنظر الاعتبار ان القتل اصبح شريعة يعمل بها منذ قَتلْ الخليفة المتوكل (247هـ / 861 م) حينها اصبح الخلفاء الضحية ولا سيما بعد تسلط الاتراك والبويهيين والسلاجقة ، اذ لاحظتُ ان الخليفة يقتل هكذا فجاة ، بدون ان تسنح له الفرصة للتفكير بالموت او بخطاياه ، او بما انجزه لشعبه ، هذا طبعا مع الاخذ بنظر الاعتبار حالة الفوضى العارمة ـــ التي كان الموت بمختلف مسبباته ، سمة بارزة لها ، والتي شهدها المجتمع آنذاك في كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، مما دفعت الحكام إلى التفكير فقط في كيفية معالجة هذا التخبط ، للحفاظ على سلطتهم ، حيث اصبحت الاحداث تتوالى بسرعة مطلقة لا يشعر بها

---

[7] الغزالي ، التبر ، ص ص 9 ـــ 13 .

الخلفاء ، إلا وهم على مذبح الصراع من اجل السلطة الذي دار بين الاطراف الآنفة الذكر .

كما اننا سنتجاوز في بحثنا هذا ، عن ذكر الساعات الاخيرة في حياة عمال الخلفاء على الاقاليم ، ولاسيما أن اغلبهم كانوا قساة مع الناس ــ ولا شك في ان الساعات الاخيرة عند اغلبهم كانت صعبة ــ وذلك على اعتبار ان هؤلاء ــ اي العمال ، ينفذون اوامر السلطة ، كما يدعي الكثير منهم ، التي تبرأت من افعالهم ، ولاسيما في وقت اشتداد الازمات والثورات التي تطالب بتغيير السلطات أو سياساتها ، مما ينطبق عليهم قوله تعالــى " إذ تَبرَّأَ ألَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبعُوا وَرأوُا العَذَابَ وتَقَّطعت بِهِمُ الأسبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبعُوا لَو أنَ لنَا كرَّةً فنَتبرَّأ مِنُهم كَمَا تَبرَّؤا مِنَّا " [8] .

**1 ــ الخلافة وشروطها :**

اشترطت التقاليد العربية قبل الاسلام صفات مميزة للرجال عموما لعل من ابرزها الشجاعة والاقدام والمروءة والنخوة ، ولا شك في توفر صفات اخرى ، فيمن يتم اختيارهم لمهام معينة ، كأن يكون رسولا الى القبائل او قائدا لغزوة او لمعركة او رئيسا لقافلة تجارية ، وكذلك الامر بالنسبة إلى اختيار شيخ القبيلة الذي اشتُرِطتْ فيه توفر صفات اخرى منها ، تقدمه في السن وان يكون من اهل العصبية والنفوذ هذا فضلا عن الكرم والشجاعة والحنكة والتجربة والحلم [9] .

---

[8] سورة البقرة ، الآيتين رقم 166 و167 .

[9] اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية ، ص 18 ؛ ناجي معروف ، المدخل ، ص12 ؛ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج1 / ص 429 .

يبدو ان هذه الصفات لم تختلف كثيرا بعد ظهور الاسلام ، وتأسيس الدولة المدنية سواء في عصر الرسالة او الراشدين ، حيث سجلت مؤسسة الخلافة ومن يتولى امرها نموا كبيرا ، وذلك وفقا للمتغيرات التي مر بها المجتمع الاسلامي ولاسيما في العصرين الاموي والعباسي ، وظهور الفرق والمذاهب الاسلامية التي اصبحت لها آراؤها ، في مسألة اختيار الاصلح للخلافة ، او في اعتماد النظام الوراثي في تولية الخلفاء [10] الامر الذي مهد الامور فيما بعد لانهيار الدولة والسلطة في العصرين الاموي والعباسي حيث تولى الحكم حكام ضعفاء ، غير جديرين بهذه المهمة الصعبة [11] وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) " إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فإصبروا حتى تلقوني على الحوض " [12] كما حذر اغلب الصحابة والتابعين من خطورة تولي منصب الخلافة الا من قام بحقها [13] وذلك " ... لان خطرها عظيم ، وخطبها جسيم " [14] ولا بد من

---

[10] ابن خلدون ص 131؛ اليوزبكي ، م .ن ، ص 38 : احمد حسين يعقوب ، النظام السياسي ، ص119 ؛ حسين عطوان ، الفقهاء ، ص8 ؛ علي ابراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي ، ص522 .

[11] ينظر حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج 2 / ص 255 ؛ الخضري ، الدولة العباسية ، ص62 .

[12] البخاري ، الصحيح ، ص 14229 ، حديث رقم 7052 كتاب الفتن ، باب ستلقون بعدي أثرة ؛ مسلم ، الصحيح ، ص 791 ، حديث رقم 4775 كتاب الامارة ، باب الامر بالوفاء لبيعة الخلفاء .

[13] ينظر الغزالي ، التبر ، ص ص 20 ، 21 .

[14] م . ن ، ص 22 .

الاشارة هنا إلى اختلاف الالقاب التي اطلقت على رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي والتي اختلفت مفاهيمها كما يبدو باختلاف الازمان ورؤية اهل العلم لها ، منها ولي الامر والامام وامير المؤمنين والخليفة ولا شك في ان اللقب الاخير هو الاكثر شيوعا ، والذي وصفه الصابئ بقوله " الخلافة من النبوة .. لها من جلالة القدر وفخامة الامر اعلاها مراقب ، واشرفها مراتب " .[15]

كما كتب بعض الفقهاء في موضوع النظريات السياسية في الاسلام ومنهم ابو يوسف القاضي [16] والماوردي [17] وابو يعلى [18] حيث اكدوا وجوب طاعة الفرد للخليفة او الحاكم مستندين إلى آيات من القرآن منها قوله تعالى " أَطِيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسوُلَ وَأولي الأمرِ مِنكم " [19] والى احاديث عن الرسول منها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) " أيُّها النَاس إتَقوا اللهَ وأسَمعوا وأطَيعوا وإنْ أُمِّرَ عليُكم عَبدُ حبشَي أجَدع فاسَمعُوا لهُ وأطَيعوا "[20] وكذلك فيما يخص واجبات الخليفة تجاه الرعية ، حيث كَتبَ ابو يوسف ، يحذر الخليفة من عاقبة اهماله للرعية بقوله " فاحذر

---

[15] رسوم ، ص 5 ؛ ينظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص131 ؛ اليوزبكي ، النظم ، ص 37 .

[16] ابو يوسف ، الخراج ، ص9 ؛ ينظر ابن تيمية ، الخلافة ، ص14 .

[17] الاحكام السلطانية ؛ ص 49 ؛ ينظر ابن تيمية ، الخلافة ، ص ص 13 ــ 14 .

[18] ابو يعلى ، الاحكام السلطانية ، ص 46 .

[19] سورة النساء ، آية 59 .

[20] البخاري ، الصحيح ، ص 1444 ، حديث رقم 7142 كتاب الاحكام ، باب السمع والطاعة للامام ؛ مسلم ، الصحيح ، ص 789 ، حديث رقم 4760 ، كتاب الامارة ، باب طاعة الامراء .

أن تضيع رعيتك ، فيستوفي ربها حقها منك ، ويضيعك بما اضعت أجرك ... ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يغفل عنك " ــ [21] .

لا شك في ان النظام السياسي الذي يقوم على الانتخاب هو الامثل ، وذلك بالمقارنة مع النظام الوراثي للحكم ، الذي جاء بالويلات والمشاكل على الامة الاسلامية ، والتي يأتي في مقدمتها ، تولي عدد من الخلفاء ، ممن لم يكونوا بمستوى المسؤولية ، دفَّة الحكم مما فسح المجال للانقسامات التي شهدتها الدولة العربية الاسلامية ، وتدخل الاعاجم من اتراك وفرس ومغول ، فضلا عن الانهيار الكبير الذي شهدته البلاد في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية [22] ، مع الاخذ بنظر الاعتبار ، ان بعض الخلفاء ، قد نجحوا فعلا في قيادة الدولة بالقوة والترويع ، وعلى الرغم من مشاهد السجن والتعذيب والقتل تلك ، إلا ان البلاد قد شهدت إنجازات عمرانية واقتصادية وفكرية ، فضلا عن الفتوحات في الشرق والغرب والمعارك الكبيرة التي خاضوها ، والتي حققوا فيها انتصارات ساحقة ، ساهمت في توسيع حدود الدولة ، ونشر الاسلام فيها ، مع الاخذ بنظر الاعتبار المردودات الاقتصادية التي حققتها الدولة من تلك الفتوحات[23].

---

[21] الخراج ، ص 9 .

[22] فاروق عمر فوزي ، العباسيون الاوائل ، ج 1 / ص70 ؛ وفاء محمد علي ، الخلافة العباسية ، ص 11 ؛ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج 3 / ص37 .

[23] الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص 55 ؛ الخضري ، الدولة العباسية ، ص 99 ، ص 158 ؛ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج1 / ص 468 .

لعل الصفة المشتركة بين اغلب الخلفاء الذين ذكرناهم ، هي الحزم والقسوة ولاسيما عندما يتعلق الامر بمن يقاوم سلطتهم ، وفي هذا الصدد نذكر قول للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو يحدد الامور التي تهدم الامة الاسلامية ، حيث عَدَّ منها " ... سلطان ان احسنت لم يحمدك وإن أسأت قتلك " [24]، كما صنف ابن المقفع ، المُلكْ ، وفقا لتعامله مع الاحداث والاخبار التي وصلت عن الملوك بقوله " المُلك ثلاثة مُلك دين ومُلك حزم ومُلك هوى وعد ملك الدين ملك الرضا لان اذا اقيم كان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم ما عليهم وبعده ملك الحزم فإنه به تقوم الامور [25] .

ولا شك في ان الخلفاء إبتداءً من الخليفة معاوية بن ابي سفيان ومن جاء بعده من الخلفاء الامويين او العباسيين ، ممن يشملهم موضوع بحثنا ، لم يتحملوا فكرة الخروج عليهم ، لذلك عاقبوا وقتلوا ومثلوا ، في معارضيهم بأشكال ، تمثل في اغلبها ، خروجا عن حدود الشرع الاسلامي ، الذي يعتمد الحوار والاصلاح ، قبل الحكم بالسجن او الموت [26] فقد وصِفَ معاوية بن ابي سفيان بأن له " حلم ودهاء ، محبا للرياسة مشغوفا بها " [27] كما تميز عبد الملك بن مروان بكونه "عاقلا اديبا عالما " [28] " له إقدام على سفك

---

[24] ابن قتيبة ، عيون ، ص15 . [25] ابن قتيبة ، عيون ، ص 14 .

[26] حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج 1 / ص 176 ؛ فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، ص 20 .

[27] اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 /ص 238 ؛ ابن طباطبا ، الفخري ، ص 104 .

[28] م . ن ، 122 ؛ ينظر ابن كثير ، البداية ، ج9/ص70 .

الدماء "[29]، إذ سلط واليه الحجاج على رقاب الناس [30]، وكان الوليد بن عبد الملك " جبارا عنيدا "[31]وعرف عن هشام بن عبد الملك بأنه " احزم بني امية وارجلهم غليظا ظلوما شديد القسوة بعيد الرحمة " [32]ـــ .

اما الخليفة ابو جعفر المنصور فقيل " انه فحل بني العباس حزما وجبروتا .. قتل خلقا كثيرا " [33] وكان الخليفة محمد المهدي " اول من تتبع الزنادقة وأفنى خلقا كثيرا منهم " [34]اما الخليفة هارون الرشيد فقد وصف بأنه امير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا " [35] " ذو عقل ودهاء ورأي وكرم وحلم " [36] وكذلك المعتصم بالله [37]والمعتضد بالله [38] إِذ تميزا بالشجاعة والهيبة والحزم .

في حين افتقد بعضهم الآخر هذه الصفات من القسوة والحزم ، حيث كان النظام الوراثي ، الذي تحكمت فيه أُمور كثيرة ، هو السبب الرئيس في تمكينهم من اعتلاء كرسي الخلافة ومن هؤلاء الخليفة محمد الامين الذي وصفته المصادر بأنه " سيء التدبير كثير التبذير ارعن لا يصلح للامارة " [39] وكذلك المتوكل على الله الذي " انهمك على اللذات

---

[29] المسعودي ، مروج ، ج 3 / ص 93 . [30] السيوطي ، تاريخ ، ص174 .

[31] الطبري ، تاريخ ، ج4 / ص 301 . [32] اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 / ص328 .

[33] السيوطي ، تاريخ ، ص207 .

[34] ابن الاثير ، الكامل ، ج6/ص51 ؛ السيوطي ، تاريخ ، ص216 .

[35] السيوطي ، تاريخ ، ص225 . [36] اليافعي ، مرآة ، ج2 / ص59 .

[37] المسعودي ، مروج ، ج4 / ص 48 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج 6، ص526 .

[38] ابن طباطبا ، الفخري ، ص256 ؛ اليافعي ، مرآة ،ج2/ ص71 .

[39] المسعودي ، مروج ،ج4 / ص84 .

والمكاره "[40] والخليفة المقتدر بالله الذي وصف بأنه كان " مسرفا مبذرا ناقص الرأي .. يؤثر اللعب والشهوات غير ناهض بالخلافة " [41].

2 ـ التبريرات التي قدمها بعض الخلفاء لتفسير سياستهم الشديدة مع الناس

يتصارع في النفس البشرية اتجاهان رئيسان هما : الخير والشر ، ولا شك في ان غلبة اتجاه على آخر ، لا يعني ان الانسان اصبح ملاكا او شيطانا بل يبقى مهما بلغ من الخير يصارع الشر وبالعكس ، وهكذا فان حب السلطة او الاستئثار بها قد تدفع الانسان في كثير من الاحيان إلى تجاوز حدود الله ، والشواهد التاريخية فيما يخص الاندفاع في حب السلطة ، كثيرة منها : القتل والذبح وتقطيع الجسم إلى اجزاء ، او ان يقتل الابن اباه او الاخ اخاه او الام ابنها او الزوجة وغيرها [42].

ولا شك في ان السلطات ، ضمن الفترة موضوع البحث ، تباينت في رؤاها في هذه المسألة ، منها من لم تهتم بتقديم تبريرات ، فبمجرد المنافسة او الثورة على الحاكم يعني الحكم بالموت ، وهذه هي الصفة الغالبة في تعامل الحكام مع مثل هذه الامور ، الا ما ندر [43] مع الاخذ بنظر الاعتبار انه قد يكون الحاكم في بعض الاحيان محقا في ضرب هذه

---

[40] ابن الاثير ، الكامل ، ج7/ ص96 .

[41] ينظر الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 7 / ص225 ، 3692 ؛ ابن الاثير ج8/ص11؛ اليافعي ، مرآة ، ج2 /ص 209 .

[42] عبد الامير مهنا ، اخبار المصلوبين ، ص 124 ؛ فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، ص 19 .

[43] ينظر ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص 84 ؛ علي ابراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي ، ص346 .

الحركات ــ لكن ليست بالقسوة التي تذكرها الروايات التاريخية ــ لانها من وجهة نظره تهدد امن البلد [44] وإن كان من الاسلم للجميع تفهم اسباب التذمر والثورة ومعالجتها لا بالقتل والتشريد .

ذكرت لنا اغلب المصادر التاريخية طبائع الخلفاء، التي تراوحت في قساوة تعاملها ، ولاسيما بعد استلامهم السلطة ، التي توضحت من خلال تعاطيهم مع الاحداث والمستجدات التي شهدها المجتمع ، كما سنذكر لاحقا ، وقد كان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) سباقا في تقديم المشاعر التي تعتري متوليَّ السلطة بقوله " ستَحرِصَونَ على الإمارة ثم تكون حَسرة وندامة يوم القيامة " [45]، لذلك فقد جاءت في تراجم اغلبهم صفات تعكس الصورة الذي ذكرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد وصف الخليفة عبد الملك بن مروان بان " له اقدام على سفك الدماء حازما لا يكل امر دنياه إلى غيره " [46] ، وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك "جبارا عنيدا وذلك لمن ينافسه في ملكه او يثور عليه " [47] ، في حين كان هشام بن عبد الملك " احزم بني امية وارجلهم غليظا ظلوما شديد القسوة بعيد الرحمة " [48] ، ويقال بأن للخليفة المعتصم بالله " نفس سبعية

---

[44] فاروق عمر فوزي ، العصر العباسي الاول ، ص 179 .

[45] البخاري ، الصحيح ، ص 1445 ، حديث رقم 7148 كتاب الاحكام ، باب ما يكره من الحرص على الامارة ؛ مسلم ، الصحيح ، ص 782 ، حديث رقم 4715 كتاب الامارة ، باب النهي عن طلب الامارة .

[46] ابن كثير ، البداية ، ج9/ ص70 .

[47] ابن كثير ، البداية ، ج9 / 78 .

[48] اليعقوبي ، تاريخ ، ج2/ص328 .

إذا غضب لم يبالِ من قتل ولا بما فعل "[49] ، وكان الخليفة المعتضد بالله " ظاهر الجبروت ...قليل الرحمة اذا غضب على قائد امر بان يلقى في حظيرة ويطم عليه وقد انكر الناس عليه سفك الدماء "[50] .

ولا شك في ان سياستهم ، كانت انعكاسا لتربيتهم والبيئة والواقع الذي عاشوه ، وطبيعة الظروف السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والتحديات التي واجهتها الدولة ، والنظام السياسي القائم آنذاك فمنهم من رأى اعتماد اللين تارة والشدة تارة اخرى ، مع المكر والدهاء ، افضل وسيلة لكسب الناس ومن هؤلاء الخليفة معاوية بن ابي سفيان الذي قال " لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا اضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت " [51] في حين ان بعضهم الآخر كان شديدا في سياسته ومنهم الخليفة عبد الملك بن مروان الذي وضع منهجا ثابتا لسياسته منذ بداية حكمه بقوله "والله لا اداوي ادواء هذه الامة الا بالسيف "[52] كما انه وضع حدودا لعفوه الا على الخارجين عن طاعته من " عقد راية او وثوب على منبر " [53] ، لذلك تذكر الروايات انه لما سُلِّمَ عليه بالخلافة ، كان في حجره مصحف فأطبقه وقال " هذا فراق بيني وبينك " [54] ، كما اوصى ابنه من بعده الوليد بن عبد الملك باتباع هذه السياسة بقوله " من قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا "[55] وقوله " من ابدى

---

[49] ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص526 .
[50] السيوطي ، تاريخ ، ص 289 .
[51] اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 / ص238 .
[52] ابن كثير ، البداية ، ج9 / ص71 .
[53] ابن كثير ، البداية ، ج 9/ ص71 .
[54] ابن كثير ، البداية ، ج 9/ ص70 .
[55] ابن كثير ، البداية ، ج 9 / 173 .

ذات نفسه فاضرب عنقه ومن سكت مات بدائه " [56] كما اعتمد الخليفة ابو جعفر المنصور سياسة جديدة في تعامله مع الناس ، وهي سياسة التجويع بقوله " أجع كلبك يتبعك " [57] فقام له احد الحاضرين الذي نبهه إلى أمرٍ غفل عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين أخشى ان يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك " [58] .

في حين ان بعضهم الاخر قدم تبريرات مختلفة لاستعمال تلك القسوة المتناهية ، حاول قدر الامكان ، اقناع افراد بيته والمتصدين للخلافة من بعده منهم ، فيقول الخليفة ابو جعفر المنصور " نحن بين قوم رأونا امس سوقة واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم الا بنسيان العفو واستعمال العقوبة " [59] وقوله هذا فيه الكثير من المآخذ فهو يتجاهل كونه من بيت كريم ، يرجع نسبهم الى العباس عم النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلا انه كما يبدو يبرر إستعماله للعنف والقتل ، وسيلة لتثبيت حكمه ، وما يدفعه إلى ذلك ، هو حبه للسلطة والاستئثار بها [60] ، وفي رواية اخرى ، يستخدم الدين ذريعة له ، بقوله : "انه يرغب في الحفاظ على سلطان الله في الارض" [61] ، ولا شك في ان ذلك بسبب الثورات العلوية التي كادت ان تبيد ملكه [62].

---

[56] السيوطي ، تاريخ ، ص 174 .

[57] ابن قتيبة ، عيون ، ص20 .

[58] ابن قتيبة ، عيون ، ص 20 .

[59] السيوطي ، تاريخ ، ص212 .

[60] ابن الاثير ، الكامل ، ج6/ص18 .

[61] ابن الاثير ، الكامل ، ج6 /ص20 .

[62] الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص209 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص523 .

ومما زاد من تذمر الناس عليهم ، تمتعهم بمزايا توليهم الحكم بإمتلاك القصور ، والاموال والخدم ، والتمتع بكل مباهج الحياة سواءً الامويين منهم ، فقد عرف عن معاوية انه "اول من بايع لولده واتخذ الحرس وسمّى الغالية وتطيب بها " [63] وكان الوليد بن عبد الملك " صاحب بناء اتخذ المصانع والضياع " [64] ، اما بالنسبة إلى الخلفاء العباسيين ، الذين فاقوا الامويين في إظهار البذخ والترف ، فقد امتلك الخليفة هارون الرشيد " القصور ولعب بالصَّوالجة والكرة وجعل للمغنين مراتب وطبقات " [65] ، وكان للخليفة المعتصم بالله [66] " من المماليك الترك قريب من عشرين الفا ، وملَكَ من آلات الحرب والدواب ما لم يتفق لغيره" [67] ، وانشغل الخليفة المقتدر بالله " باللعب واللهو واتلف الخزائن حيث اعطى جميع جواهر الخلافة ونفائسها إلى حظاياه .. له من الخدام سبعة آلاف خادم والحجاب سبعمائة حاجب "[68]... .

**3 ــ محاسبة الخلفاء لانفسهم في حياتهم وخوفهم من عذاب الله جل وعلا : ــ**

لا شك في ان الخلفاء كان يعتريهم هاجس الخوف من الموت ، حتى اعتى العتاة منهم ، في مرضهم او سفرهم وعند موت قريب لهم

---

[63] الطبري ، تاريخ ، ج3 / ص413 .
[64] ابن الاثير ،، ج10 / ص 51 .
[65] السيوطي ، تاريخ ، ص233 .
[66] السيوطي ، تاريخ ، ص263 .
[67] ابن كثير ، البداية ، ج10/ 314 .
[68] الصابئ ، رسوم ، ص 11 ؛ ينظر فاروق عمر فوزي ، الخلافة العباسية ، ص 89 .

او سماعهم اسم الموت او عند احساسهم بدنو اجلهم ، يشعرون حينها انه لا مفر من الموت والوقوف امام الله جل وعلا للحساب ، لذلك تجدهم ، ولاسيما اولئك ، الذين ظلموا ، او ارتكبوا الفواحش ، وسلطوا الظالمين على رقاب الناس ، يتشبثون بأمور مختلفة ، لعلها تُنجِدهم في يوم الحساب مما ارتكبوه ، فهذا الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان كان يحتفظ بشيء من شعر وقُلامة اظفار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) [69] وقيل قميصه[70] ، لذلك فقد أوصى اولاده ان تجعل القُلامة في فمه وعينيه ويُلبِسُّونه القميص عند موته قائلا لهم : افعلوا ذلك وحّلوا بيني وبين ارحم الراحمين [71] ، كما تمنى الخليفة عبد الملك بن مروان ، بأنه لو لم يكن خليفة ، لكان كاسبا لقوته كل يوم ، لكي يتفرغ للعبادة [72] ، كما قيل له في مرضه ، كيف تجد نفسك ؟ قال : اجدني [73]كما قال الله تعالى " ولَقَد جِئتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقناكُم أوَّلَ مَرَّةٍ وَتَركتُم مَّا خَوَّلنَاكُم وَرَاء ظُهُورِكُم " [74] .

كما توجس الخليفة ابو جعفر المنصور ، خيفة من الموت ، حتى انه سمع هاتف في قصره يقول " :

أَمَا وَربُّ السَّكونِ والَحَــــرِكِ إن المنَايا كثيــــرة الشَّــرَكِ

عليكِ ، يا نفسُ ، إن أسأتِ وإن أحسَنتِ بالقصْدِ ، كلَ ذاك لكِ

---

[69] ابن الاثير ، الكامل ، ج4 / ص7 .

[70] الطبري ، تاريخ ، ج3 / ص412 ؛ السيوطي ، تاريخ ، ص 155 .

[71] الطبري ، تاريخ ، ج3 / ص412 . [72] المسعودي ، مروج ، ج 3/ص152 .

[73] المسعودي ، مروج ، ج3 / ص151 . [74] سورة الانعام ، آية 94 .

فقال المنصور : هذا اوان اجلي[75].

ولا شك في مرض الموت جعله يتذكر ما قام به من اعمال من اجل تثبيت اركان السلطة العباسية ، حتى انه قال لحاجبه لما اشتدت علته " القِني في حَرم الله " [76]وفي الطريق إلى مكة نزل آخر منزل فنظر فإذا مكتوب في صدر البيت :

أبا جَعَفرٍ حانَتْ وفاتُك وانقضتْ سُنوكَ ، وأمرُ الله لا بُدَ واقِعُ [77]فتطير من المكان ورحل عنه [78] .

وافزعت الريح الشديدة الخليفة محمد المهدي ، وهو في داره فأسرع إلى وضع خده على التراب وقال : اللهم ان كنت انا المطلوب بهذه دون الناس فها انذا بين يديك .."[79] كما سمع هاتفا في منامه يقول :

كأني بهذا القصر قد باد اهلــه واوحش منه ربعُــهُ ومنازلــه

وصار عميدُ القوم من بعد بهجةٍ ومَلكٍ إلى قبــرٍ عليه جَنادلــه

تلبث ثلاثا بعد عشرين ليلــــةً إلى منتهى شهرٍ وما انت كاملهُ

فلم يعش بعد هذا الا تسعة وعشرين يوما[80] .

---

[75] ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص17 . [76] الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص318 .

[77] المسعودي ، مروج ، ج3 / ص 288 ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 10 / ص60 ، 5179 .

[78] ابن الاثير ، الكامل ، ج6/ ص22 .

[79] الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج3/ ص17 ، 989 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج 10/ص 159 .

[80] المسعودي ، مروج ، ج3 / ص304 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص81 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج10/ ص163 .

كما رأى الخليفة هارون الرشيد رؤيا اهالته ، وجعلته عابسا مفكرا مهموما ، كأن كفا فيها تربة حمراء خرجت من تحت سريره وقائلا يقول : هذه تربة هارون " [81] ، ولما فرغ المعتصم بالله من بناء قصر بالميدان وجلس فيه دخل عليه الناس فعمل اسحاق الموصلي [82] قصيدة افتتحها بقوله :

يا دار غيَّرك البلى ومحاك    يا ليت شعري ما الذي ابلاك

فتطير الخليفة وتطير الناس ثم خرَّبه بعد ذلك [83] ، ويبدو ان الخليفة المتوكل على الله قد استشعر الخطر المحيط به ، وشعر بدنو اجله ، إذ ذكرت الروايات انه كان يقول في الليلة التي قتل فيها " ان من صار إلى التراب لحقيق ان يتواضع ولا يتكبر "[84] .

**4 ــ تحذيرات الرعية لهم : ــ**

قد يندفع بعض الخلفاء بتأثير عوامل مختلفة لعل ابرزها العوامل الذاتية ، والشعور الذي ينتابهم ، بأن كل الناس تابعون لسطوتهم ، وكذلك تملق المنافقين ، والمنتفعين ، والظالمين الذين تدفعهم نفوسهم إلى تقديم كل صور الطاعة والإذلال من اجل الحصول على حاجتهم من اموال او تولية على منصب ، مما يولد هذا في نفوسهم ــ اي الخلفاء ــ العظمة

---

[81] الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص439 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج10/ ص 224 .

[82] هو اسحاق بن ابراهيم بن ماهان الموصلي (ت 253 هــ) كان الرشيد يولع به له مكانه في العلم والادب والشعر اما الغناء فكان اصغر علومه ينظر ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج5 / ص173 ، 71 .

[83] السيوطي ، تاريخ ، ص 263 .

[84] المسعودي ، مروج ، ج 4 / ص113 .

والجبروت والحرص ، حتى ان أكثرهم ينسى ذكر الله جل وعلا خالقه ، فكيف بالرعية ولاسيما الفقراء والمساكين منهم ، وفي هذا الصدد يقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) " ما اسْتُخلِف من خليفة ، الا كانت له بِطانتان : بطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه "..."[85] .

ولا شك في ان اكثر الحكام تعتريهم مشاعر السطوة وانه ليس فوقهم شيء ، لذلك يحاولون قدر امكانهم القضاء على منافسيهم مهما كانوا ، ولاسيما إن ثاروا عليهم او رفعوا شعار المعارضة ، مما يدفعهم هذا ( اي الخلفاء ) إلى قتل كل من يقف بوجه سلطتهم ــ وذلك بتوجيه التهم المشينة لهم ، من اجل اسقاطهم امام المجتمع مثل تهمة الزندقة او الخيانة او تُهم اخلاقية إلى غير ذلك ــ من دون استثناء بغض النظر إن كان محقا في معارضته ، ام كان طالبا للسلطة ، وبهذه التهم قُتِل الكثير من الناس [86] ، وقد استوقفتني جملة مهمة ذكرها السيوطي وهو يذكر الخليفة عبد الملك بن مروان ، إذ عد اتخاذه الحجاج بن يوسف الثقفي واليا على العراق ، من ابرز المساوئ التي ارتكبها فيقول " لو لم يكن من مساوئ عبد الملك الا الحجاج وتوليته اياه على المسلمين والصحابة ، يُهينَهم ، ويُذِلهمْ ، قتلا ، وشتما ، وحبسا فلا رحمة الله ولا عفا عنه" [87] ، وقد فند

---

[85] البخاري ، الصحيح ، ص 1455 ، حديث رقم 7198 كتاب الاحكام ، باب بطانة الامام واهل مشورته .

[86] حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج 2 / ص85 .

[87] السيوطي ، تاريخ ، ص 174 .

الخليفة عبد الملك بن مروان ، إتباعه للقسوة وتسليط الحجاج على الناس بقوله " إنصفونا يا معشر الرعية ، تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر ولا تسيرون فينا ولا في انفسكم بسيرة ابي بكر وعمر "[88] فهو جعل الناس هم المسؤولين عن اتباعه لتلك السياسة ، لانهم متذمرون وثائرون دائما .

ان ما يرتكبه اغلب الحكام من جرائم بحق شعوبهم ، هو من وجهة نظرهم ليست جريمة ، وقد قدموا تبريرات وحجج كثيرة لافعالهم تلك ، منها الحفاظ على اللحمة بين ابناء الوطن ، وحماية الدين والمجتمع من العابثين[89]، وهذا الامر دفع الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي كانت لديه بعض الشكوك في امر محاسبة الله تعالى للخلفاء ، فسأل احد العلماء بقوله : هل يُحاسَبْ الخليفة ؟ "[90]

ساهم علماء الامة اولا وكذلك عامة الناس ، في امر تنبيه الخلفاء إلى ضرورة التخفيف عن كاهل الناس ، وتفهم مطالبهم ، لا بسجنهم وتوجيه التهم لهم ثم قتلهم ، وذلك من خلال تذكيرهم بالموت والحساب ويبدو ان ذلك قد أثر في بعضهم ولو قليلا ، وجعلهم يراجعون بعض اعمالهم ، وفي هذا الصدد وجه عبد الله بن مسعود[91] كلامه إلى الناس يدعوهم فيها إلى

---

[88] ابن قتيبة ، عيون ، ص18 . [89] ينظر الطبري ، تاريخ ، ج5/ ص171 .

[90] السيوطي ، تاريخ ، ص176 .

[91] ابو عبد الرحمن من الصحابة شهد بدر وبيعة الرضوان وجميع المشاهد تولى قضاء الكوفة وبيت مالها وصف بأنه قد ملئ علما توفي 32هـ ودفن في البقيع ينظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص 249 ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 1 / ص157 ، 5 .

الصبر على الامام الظالم بقوله " إذا كان الإمام ... جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر [92] وكتب عبد الله بن عمر بن الخطاب [93] لما بويع لعبد الملك بن مروان " .

اما بعد فإنك راع وكل راع مسؤول عن رعيته " [94]. وكذلك حذره زر بن حبيش [95] من الطمع بطول البقاء بقوله " لا يطمعك يا امير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك من صحتك فأنت اعلم بنفسك واذكر ما تكلم به الاولون :

اذا الِّرجالُ ولدَتْ اولادُهَا وَبّليَتْ مِنْ كِبَرِ اجسَادُهَـــا

وجَعلتْ اسقَامُها تَعتَادُهَـــا تِلك زروع قد دنا حَصادُهَا

فبكى عبد الملك حتى بل طرف ثوبه [96]

ولعل المجالس التي كانت تعقد في قصر الخلافة ، والتي كان يحضرها علماء ورجال دولة ، قد فسحت المجال امام هؤلاء للحديث عن أُمور مختلفة ومنها الظلم سواء من الخليفة او ولاته على الناس ، ومعاناة المظلومين ، مع الاخذ بنظر الاعتبار ، إنه قد يتم تنبيه الخليفة ليس بالقول له انت ظالم او ولاتك ، وإنما بشكل غير مباشر ، كأن تروى قصة ملك

---

[92] ابن قتيبة ، عيون ، ص15 .

[93] كان اسلامه في مكة وهو صغير ، امه زينت بنت مظعون ، هاجر مع ابيه إلى المدينة توفي 74هــ ينظر الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج1 / ص182 ، 13 .

[94] ابن كثير ، البداية ، ج 9/ ص 70 .

[95] ابو مريم كان من اعرب الناس يسأل عن العربية عاش مائة وعشرون سنة .ينظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص 427 .

[96] ابن كثير ، البداية ، ج9 / ص 73 .

من الملوك الغابرين ، للاعتبار منها ، ولا شك في ان اغلب الخلفاء في الفترة موضوع البحث كانوا ينتبهون او يستشعرون ، ما يُرادْ من بعض القصص او القصائد الشعرية التي تُلقى في مجالسهم ، إذ انها من المؤكد ، تُنبِه على حالة في المجتمع ومنها ايضا ما يذكر للتملق ورغبة في الحصول على الاموال [97] ، وإن كان اغلب العلماء قد انتفضوا وتذمروا بسبب ما آلت اليه الامة الاسلامية ، فضلا عن التجاوز الكبير للتعاليم الاسلامية وارتكاب كثير من الكبائر سواء الخليفة او رجال سلطته التي يأتي في مقدمتها قتل النفس [98] فقد روى خالد بن صفوان [99] للخليفة هشام بن عبد الملك ، قصة الملك ، الذي كان معروفا بالعلم والكثرة والغلبة ، وكان عنده رجل من العلماء ، فسأله الملك ، عن ما اغدقه الله عليه من المُلّكْ والخيرات ، فأجابه : ارأيت ما انت فيه ، أَشي ء لم تزل فيه ام شي ء صار اليك ميراثا وهو زائل عنك الى غيرك كما صار اليك ؟ قال : كذا هو ، قال : فتعجب بشي ء يسير لا تكون فيه الا قليلا ، وتنقل عنه طويلا فيكون عليك حسابا قال : ويحك فأين المهرب ؟ واين المطلب ؟ واخذته قشعريرة ، قال : اما ان تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله بما ساءك وسرك ، واما ان تنخلع من ملكك ، وتضع تاجك ، وتلقي عنك اطمارك ،

---

[97] حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج2/ ص ص 149 ، 148 .

[98] حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، مج2 / ص 138 .

[99] بن عبد الله بن الاهتم التميمي البصري من فصحاء العرب ودهاتهم جالس الخلفاء عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وابو العباس السفاح توفي 133 هـ ينظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص 403 .

وتعبد ربك ، قال : اني مفكر الليلة واوافيك السحر ، فلما كان السحر قرع عليه بابه فقال : اني اخترت هذا الجبل ، وفلوات الارض ، وقد لبست علي امساحي ، فـــان كنت لي رفيقا لا تخالف ، فلزما الجبل حتى ماتا ، ولا شك في ان القصة قد أثرت في نفسية الخليفة هشام بن عبد الملك ، الذي بكى ، حتى اخضلت لحيته ، وطي فراشه ، ولزم قصره [100].

كما حَذَّر الفقيه طاووس اليماني [101] ، الخليفة سليمان بن عبد الملك بقوله " يا امير المؤمنين ان صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفا حتى استوت في قرارها اعدها الله سبحانه وتعالى لمن اشركه في حكمه فجار " [102] وفي ذلك يقول جل وعلا " واتَّقُوا يوما تَرجِعونَ فيه إلى الله ثُمَّ تُوفَى كُلَّ نَفسٍ مَا كَسَبَتْ وهُم لا يُظلَمون " [103]، كما روى له ايضا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري [104] حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " إن اهون الخَلق على الله عز وجل من ولي من امور المسلمين شيئا فلم يعدل فيهم " [105] .

---

[100] السيوطي ، تاريخ ، ص 196 .

[101] طاووس بن كيسان احد ائمة الاعلام جمع العبادة والزهد والعلم ادرك خمسين من الصحابة توفي بمكة 106هـ ينظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص 455 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج9 / ص 249 .

[102] ابن كثير ، البداية ، ج 9/ ص 251 .

[103] سورة البقرة ، آية 281 .

[104] بن عبيد الله بن شهاب احد الاعلام من ائمة الاسلام تابعي جليل توفي 124هـ ينظر ابن كثير ، البداية ، ج9 / ص355 .

[105] ابن كثير ، البداية ، ج 9 / ص 251 .

كما وعظ عمرو بن عبيد المعتزلي [106] الخليفة ابو جعفر المنصور بقوله " لو ان هذا الامر الذي صار اليك بقي في يدي من كان قبلك ، لم يصل اليك ، وتذكر يوما يتمخض بأهله لا ليلة بعده "[107] .

ووعظ ابن السماك [108] يوما الخليفة هارون الرشيد بقوله "انك تموت وحدك وتدخل القبر وحدك ، وتُبعث منه وحدك ، فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والنار حين يؤخذ بالكظم ، وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبة تُقبل ، ولا عثرة تُقال " فجعله يبكي [109]، ووعظه في مرة اخرى بقوله " استعد لجواب الله تعالى ، فإنه يوثقك مع كل مسلم على حدة ، يطلب منك إنصافك إياه " [110]، كما إستدعى في احد مجالسه ـــ اي الخليفة هارون الرشيد ـــ الشاعر ابا العتاهية [111] وقد زخرف قصره ومجلسه فقال له : صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال :

---

[106] عمرو بن عبيد بن باب مولى لآل عرادة بن يربوع بن مالك يكنى ابا عثمان كان يرى القدر ويدعو اليه جالس الحسن البصري ينظر الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 12 / ص 164 ، 6652 .

[107] الجاحظ ، البيان ، ج 3 / ص248.

[108] محمد بن صبيح ىالعجلي الكوفي الزاهد روى عن هشام بن عروة والاعمش وآخرين ت 183هـــ ينظر ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص192 .

[109] ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص229 .

[110] الغزالي ، التبر ، ص 24 .

[111] اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان اصله من الحجاز وسكن بغداد كان يبيع الجرار وحظي عند الخلفاء ت 211 هـــ . ينظر ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج 4 / ص 5 ، 43 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج 10 / ص 281 .

عِشْ ما بــدَا لكَ سالمـــا     في ظلِ شاهقةِ القصور

تسَعى عليكَ بما اشتهيتَ     لدى الرَّواح إلى البكورِ [112]

وفي مرة اخرى قال له :

لا تأمنَّ الموتَ في طرفٍ ولا نفسٍ     ولو تمتعت بالحُجَّاب والحَرس

فبكى الرشيد بكاءً شديدا [113] .

وقد يأذن الخلفاء في مجالسهم تلك ، لبعض الناس بالدخول عليهم ، او ان يعقد مجالس لعامة الناس لعرض تظلمهم ، فقد اصدر الخليفة عبد الملك بن مروان اذنا خاصا للناس في الدخول عليه فدخل شيخ رث الهيئة ، لم يأبه له الحرس فالقى عليه صحيفة ، ثم خرج ، وإذا بها " بسم الله الرحمن الرحيم ، يأيها الانسان ان الله جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم بالحق ــ ثم قال له ــ ان اليوم الذي انت فيه لو بقي لغيرك ما وصل اليك واني احذرك يوم ينادي المنادي " [114] " أُحِشُروا الذين ظَلَمُوا وأزواجِهم " [115] فتغير وجه الخليفة عبد الملك ولم تزل الكآبة اياما في وجهه [116] ، كما وقف رجلا امام الخليفة ابو جعفر المنصور وهو يخطب بالناس قائلا له " اذكر من انت ذاكره "[117].

---

[112] ابن كثير ، البداية ، ج10 / ص 229 .

[113] ابن كثير ، البداية ، ج 10 / ص 229 .

[114] ابن كثير ، البداية ، ج 9 / ص 73 .

[115] سورة الصافات ، آية رقم 22 .

[116] ابن كثير ، البداية ، ج 9 / ص 73 .

[117] ابن كثير ، البداية ، ج 10/ ص 159 .

وقد يوجه الانتقاد الجمعي من مجموعة من الناس ، للحاكم ، عندما مثلا يشاهدوه يقدم فروض الطاعة لله جل وعلا ، وقد سفك الدماء ، وظلم الناس ، ولاسيما المعارضين ، لحكمه ، وفي هذا الصدد تذكر الروايات انه لما شوهد الخليفة هارون الرشيد في عرفات وهو حاف ، حاسر ، قائم على الرمضاء الحارة ، يدعو الله تعالى ، قال بعضهم " انظروا إلى تضرع جبار الارض بين يدي جبار السماء " [118] .

ونتيجة لكل ما ذكرناه من سوء تعامل اغلب الخلفاء مع الناس ، فقد اصبح مرضهم او احتضارهم مناسبة يفرح بها الناس ، لكونهم يتأملون ان يخلصهم الموت منهم ، فيرتاحوا من ظلمهم ، لعل ولي العهد الذي سيخلفه ، سيكون افضل منه ، فقد بلغ الخليفة معاوية بن ابي سفيان ان قوما يفرحون بموته فأنشد :

فهل من خالدٍ إن ما هلكنا وهل بالموت يا للناسِ عارُ [119]

كما خاطب الخليفة الوليد بن عبد الملك بعد وفاة والده ، الناس ، بأن الانبياء والملائكة والبشر كلهم سائرون على طريق الموت بقوله " كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على انبيائه وحملة عرشه وملائكته الموت "[120].

ولعل بعض الخلفاء ـــ ممن ضاق الناس بهم ذرعا ـــ يستفزهم ، ما يقوله الناس عنهم ، او شماتة البعض فيهم ، ولاسيما عند المرض ، وما يفعله بالانسان من تغييرات ، سواءً ضعف في البدن او اصفرار الوجه إلى

---

[118] الغزالي ، التبر ، ص 25 .
[119] الطبري ، تاريخ ، ج 3/ ص 411 .
[120] ابن كثير ، البداية ، ج 9 / ص 78 .

غير ذلك ، لذلك تجدهم يصرون على مواجهة الشامتين بهم من خلال التزين والجلوس بمظهر حسن ، لإسكاتهم ، وفي هذا الصدد يذكر انه لما اشتدت علة معاوية قال لاهله : احشوا عيني إثمدا وادهنوا رأسي ، ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهد له فجلس وأذن للناس لكي يروه فلما خرجوا عنه قال :

وتجلدي للشامتين أريهـــــم    أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها    الفيت كل تميمة لا تنفـــع [121]

**5 ــ رؤآهم التي قدموها لسياسة السلطة والرعية وهم في ساعاتهم الاخيرة قبل الموت : ــ**

مهما بلغت درجة قساوة الانسان ، وظُلمه لأخيه إلى درجة سفك الدماء ، فإنه يبقى في داخله خوف من ان هناك ، عقابا ينتظره ، على ما ارتكبه من الذنوب سواءً أكان هذا الانسان مؤمنا بوجود الخالق ، أم كافرا به ، فإن النفس البشرية هكذا خلقها الله جل وعلا تدفع بالإنسان وإن ارتكب القتل والظلم ، فإنه لا بد ان تمر عليه لحظات للندم والمراجعة ، وليس بالضرورة ان يتراجع القاتل عن القتل او الظالم عن الظلم ، كنتيجة لتلك اللحظات ، لان حب السلطة والجاه والتجبر والشهوة والمال تدفع بالكثير منا إلى عدم التنازل عنها ، الا من رحمه الله تعالى .

وقد تنازع في نفوس الخلفاء إِتجاهان : الاول منهما ، ان بعضهم لم يتعظوا بما عملوه وهم على فراش الموت ، بل كانوا يوصون بأتباع سياسة

---

[121] ابن الاثير ، الكامل ، ج 4/ ص7 .

الشدة مع الخارجين عن السلطة ، وعُذرَهم انهم يسعون بذلك الحفاظ على الدولة والدين ، اما بعضهم الآخر فقد ندموا على ما ارتكبوه بحق الناس وتحديدا معارضيهم من ظلم وتجني ، فهذا الخليفة معاوية بن ابي سفيان لما حضرته الوفاة ، سعى إلى مناجاة ربه بقوله :

إن تُناقــِش يكُــن نقاشُــك يا رَبِّ عذابا لا طوق لي بالعذاب

او تجاوزْ فأنت رَبٌّ صفوحٌ عَن مُسيءٍ ذنوبه كالتّــرابِ [122]

كما انه امر من حضره بتقوى الله بقوله " اتقوا الله فإنه لا واقي لمن لا يتقي الله " [123] .

وتمنى الخليفة عبد الملك بن مروان ، انه لو كان انسانا فقيرا يكتسب قوته يوما بيوم ، لكي يتفرغ لعبادة الله بقوله :" يا ليتني كنت غسالا او حمالا او راعيا اكسب ما اعيش به يوما بيوم ولم آل الخلافة " [124] كما انشد يقول :

فيا ليتني لم اعــنِ بالملك ليلــةً ولم اسعَ في لــذات عيشٍ نواضــرِ

وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من العيش حتى زار ضيق المقابر [125]

وقيل انه كان يندب ويندم ويضرب بيده على رأسه فلما قيل له كيف تجد نفسك ؟ قال اجدني كما قال الله تعالى " ولقد جِئْتُمونَا فُرَادَى كَمَا خلَقَنَاكُمْ أوَّل مَرَّةٍ " [126] ويروى انه قال : ارفعوني ، فرفعوه حتى شم

---

[122] ابن الاثير ، الكامل ، ج 4/ص 8 ؛ ابن طباطبا ، الفخري ، ص 125 .

[123] ابن الاثير ، الكامل ، ج 4/ ص8 . [124] السيوطي ، تاريخ ، س 173 .

[125] ابن كثير ، البداية ، ج9 / ص ص74 ، 75 .

[126] سورة الانعام ، آية 94 .

الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك لقصير ، وان كثيرك لحقير، وإنا كنا منك لفي غرور وقال :

إن تُنَاقِش يَكُن نِقَاشُكَ يا رَبُّ عَذابا لا طَوقَ لِي بالعَذَابِ

أو تُجَاوزْ فَأنتَ رَبّ صَفُوحٌ عَن مُسِيءٍ ذُنُوبُهُ كَالتُّرابِ [127]

وفي نفس الوقت كان يوصي ولي عهده ابنه الوليد ، في ضرورة الحفاظ على استمرار سلطتهم ، من خلال معاقبة المعارضين له بالسيف [128] .

ولا شك في ان ما رآه الخليفة الوليد بن عبد الملك في لحظات انتقاله إلى الدار الآخرة قد اهاله ، وهذا ما يتبين من قول ابن عمه الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تولى مهمة دفنه ، يقول : لما وضعت الخليفة الوليد في لحده إذا هو يركض في اكفانه ، يعني ضرب الارض برجله [129] وجمعت رجلاه الى عنقه[130].

ولا شك في ان موت الخلفاء وتحديدا من مَلكَ منهم ، وقَتَل ، وذَّلَ رِقاب الناس ، وكان جبارا عنيدا ، قد تكون فيها عبرة للناس ، الذين عاشوا في ظل سطوته وجبروته ، اكثر من موت الانسان الفقير ، لان التجرد من كل شي ء السلطة ، والاموال ، والجواهر ، والجواري وكل ما لذ وطاب ، وترك كل ذلك ، وتحديدا الظالم منهم ، فيه اعتبار كبير ، ومما لاحظته ان لكل خليفة لحظات اخيرة يقول فيها شيئا كأنه يندم على ما فعل

---

[127] ابن كثير ، البداية ، ج9 / ص ص74 ، 75 .

[128] اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 / ص 280 . [129] السيوطي ، تاريخ ، ص177 .

[130] ابن كثير ، البداية ، ج9 ، ص177 .

او يتمنى لو أخذ قرارا آخر غير الذي كان ، وفي هذا الصدد يخاطب الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ابن عمه الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وهو يضعه في قبره ، ويُوعظ نفسه وممن حضر معه ، وهو ينظرون إلى خليفتهم وهو بين يدي الله ، في لحظة لا يتصورها عقل أي انسان ، بقوله " لننزله غير موسد ولا ممهد ، قد خلف الاسلاب وفارق الاحباب ، وسكن التراب وواجه الحساب ، فقيرا الى ما قدم غنيا عما اخر". [131]
ويقدم الخليفة ابو جعفر المنصور اقرارا بالذنب عند موته بقوله : اللهم إن كنتَ تعلم أني قد ارتكبتُ الامور العظام جرَّأة مني عليك ، فإنك تعلم أني قد اطعتُك في أحب الاشياء اليك شهادة ان لا إله الا انت ..." [132]

ولا شك في ان الاقدار تسوق الانسان إلى الارض ، التي خلق من طينتها ، ليموت فيها ، فتذكر الروايات ان الخليفة هارون الرشيد ، قد رأى مناما ، في انه يموت في مدينة طوس [133] ، فبكى عندما وصل اليها ، وأحتضر فيها ، فقال احفروا لي قبرا ، فحفروا له ، ثم حُملَ في قبة على جمل ، وسيق به حتى نظر الى القبر ، فقال : يا ابن آدم تصير الى هذا ؟ وامر قوما فنزلوا فختموا فيه ختمة ، وهو في محفة على شفير القبر[134] وهو يقول " ما أغنَى عَنِّي مَالِيَة * هَّلَكَ عَنِّي سُلطَانِيَة" [135] ولما

---

[131] ابن كثير ، البداية ، ج9 / ص 177 . [132] ابن قتيبة ، عيون ، ص 414 .
[133] ابن الاثير ، الكامل ، ج6/ ص211 .
[134] المسعودي ، مروج ، ج 3 / ص 345 ؛ س 234 ؛ ابن الاثير ،ج 6 / ص213 ؛ ابو حنيفة الدينوري ، الاخبار ، ص 392 .
[135] سورة الحاقة ، الآيتيين 28 ، 29 .

حضرته الوفاة ، إحتبى بملاءة وجلس يعاني سكرات الموت فقال له بعض من حضر : " يا امير المؤمنين لو اضطجعت كان اهون عليك فضحك [136] وقال : اللهم انفعنا بالإحسان واغفر لنا الإساءة يا من لا يموت ارحم من يموت ، وكان يقول في تلك الحال : واسوأتاه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم " [137] .

وكان الخليفة عبد الله المأمون يتجنب نزول مدينة الرقة خوفا من الموت ، لانه نظر له اهل الفلك والنجوم ، في انه يموت بها ، فكانت مشيئة الله ان يكون مرضه في هذه المدينة ، فتطير وقال : " يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه " [138] وقوله ايضا "يا من لا يموت ارحم من يموت" [139] ثم مات فيها ، ولما وردت وفاته الى بغداد قال ابو سعيد المخزومي[140]:

هل رأيت النجوم اغنت عن المامون    او عن ملكـــــه المأســوس
خلفـــوه بعرصتـــي طرســــــوس    مثل ما خلفوا اباه بطـــــوس [141]
أحينَ دنَا ما كنتُ أرجـــــو دنـــوّه    رَمَتني عيونُ النّاس من كلّ جانبِ
فأصبحتُ مَرحوما وكنتُ مَحسَّـــدا    فصَبرا على مَكرُوهِ تِلكَ العواقبِ [142]

---

[136] ابن كثير ، البداية ، ج 10/ ص 224 .

[137] ابن الاثير ، الكامل ، ج 6 / ص 213 .

[138] المسعودي ، مروج ، ج 4 / ص 44 ؛ السيوطي ، تاريخ ، ص 247 .

[139] المسعودي ، مروج ، ج 4 / ص 44 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص432 .

[140] عيسى بن خالد بن الوليد المخزومي ( ت 230هــ ) من شعراء العصر العباسي ينظر ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ج20 / ص98 .

[141] السيوطي ، تاريخ ، ص 247 . [142] ابن الاثير ، الكامل ، ج 6/ ص213 .

وقد اوصى ممن حضر وفاته ، بأمور ارادها تقربا لله تعالى ، منها توجيهه للقبلة ، وضرورة طهوره ووضوئه ، وكيفية وضعه في القبر ، لعلها تخفف عنه الحساب ، بقوله " وجهوني وغمّضوني واسبغوا وضوئي وطهوري وأجيدوا كفني ثم اضجعوني على سريري ثم عجلوا بي " (143).

ولا شك في ان موعظاتهم الاخيرة التي قدموها لجميع من حضر لحظات احتضارهم ، كانت مؤثرة ، فمنهم من رأى ان الناس تركتهم ، ولاسيما في هذه اللحظات ، فاصبح مرحوما بعد ان كان محسودا ، ولم يمنع الملك والجاه والاموال عنهم الموت ، بل كانت سببا في زيادة ذنوبهم وخطاياهم ، يقول الخليفة هارون الرشيد " ان الخلافة لم تغن عنه شيئا بل بالعكس اضعفت علي الحساب فيا ليتتني لم اكن بشرا بل لم اكن خلقا " (144)

وكانت لحظات موت الخليفة المعتصم بالله صعبة جدا ، لانه كان يعتقد ان الموت بعيد عنه ، فما زال شابا ، لا يتجاوز عمره سبعا واربعين سنة ، ويبدو انه لم يفكر بالموت ، ولا شك في ان انشغاله بمشاكل البلاد الداخلية منها امتحان الناس بخلق القرآن ومواجهة حركات التمرد الداخلية فضلا عن الخارجية المتمثلة في تمرد بابك الخرمي والمازيار وكذلك الافشين فضلا عن حروبه الكثيرة مع البيزنطيين ، لم تدع له المجال للتفكير في الموت ، وفي هذا يقول الخطيب البغدادي " أتته المنية على غفلة " (145) إذ انه كان يردد في مرض موته " حتى إذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم

---

(143) الطبري ، تاريخ ، ج 6 / ص 125 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج 6/ ص213 .

(144) ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص 430 .

(145) تاريخ ، ج 4 / ص 115 ، 1767 .

بغتة "[146] وقوله " لو علمت ان عمري قصير ما فعلت ما فعلت " [147] ، وقوله "ذهبت الحيلة فليس حيلة " [148]" اللهم انك تعلم اني اخافك من قبلي ولا اخافك من قبلك وارجوك من قبلك ولا ارجوك من قبلي " ومن شعره في ايام احتضاره :

قرب النَّخام واعجَل يا غلام — واطرح السرج عليه واللجام

اعْلِم الاتــراك انـــي خائض — لجة الموت فمن شاء اقام [149]

وهناك رواية اخرى تذكر ان الخليفة المعتصم بالله لم يندم على ما قام به ، بل انه شرب في ليلة موته شرابا كثيرا وتعشى عشاء كثيرا ومات في تلك الليلة على الفراش ودفن في سامراء .[150]

ويبدو لنا من خلال الابيات الشعرية التي انشدها الخليفة المعتضد بالله وهو في لحظاته الاخيرة انه يعترف بأنه قتل وشتت كل المعارضين له وقد جعلته الدنيا يفتخر بنفسه بعدما اذل رقاب الناس ، لكن الموت اعاده إلى حجمه الطبيعي ، وهو لا يدري امن اهل الجنة هو ام النار ، فيقول :

تمتع من الدنيا فإنك لا تبقى — وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرَّنقا

لا تأمننَّ الدَّهر ، إني ائتمنته — فلم يُبق لي حــالا ولم يرعَ لي حقــا

قتلت صناديد الرجال فلم أدع — عدوّا ولم أمهــل على ظنـــةٍ خلقــا

وأخليت دور الملك من كل بازل — وشتتهم غـــربا ومزقتهم شــــرقا

---

[146] سورة الانعام ، آية رقم 44 . [147] ابن كثير ، البداية ، ج10/ ص 315 .

[148] الطبري ، تاريخ ، ج 6 / ص 193 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج6 / ص 525 .

[149] السيوطي ، تاريخ ، ص 263 .

[150] الطبري ، تاريخ ، ج6 / ص 193 ؛ ابن كثير ، البداية ، ج 11 ، ص 71 .

فلما بلغت النجــم عزا ورفعـــــةً ودانت رقابُ الخلق أجمع لي رقا

رَماني الردى سهما فأخمد جمرتي فها أنا في حفرتي عاجلا ملقــى

فأفسدت دنياي وديني سفاهة فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى ؟ [151]

اما بالنسبة للخليفة المكتفي بالله فقد ندم في مرض موته على اموال صرفها من بيت مال المسلمين ولم يحتج اليها بقوله " والله ما آسي إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت اليها ، وكنت مستغنيا عنها ، أخاف أن اسأل عنها ، واني استغفر الله منها " . [152]

وقد لا يتيح الوقت الفرصة للتوبة فيقتل الانسان بسرعة فقد قتل الخليفة المقتدر بالله بالسيف ثم ذبح وتركت جثته . [153]

---

[151] ابن كثير ، البداية ، ج11/ ص 101 ؛ السيوطي ، تاريخ ، ص 293 .

[152] السيوطي ، تاريخ ، ص 296 .

[153] ابن الاثير ، الكامل ، ج 8/ ص242 .

## الخاتمـــة : ــ

لا شك في ان لحظة المواجهة مع الموت صعبة جدا ، لنا جميعا ، فكيف بمن تولى امر المسلمين وهذا ثابت بالنص القرآني ، لذلك وكما يظهر من النصوص انهم ــ أي الخلفاء ــ خافوا من عقاب الله جلَّ وعلا لهم ، لانهم ادركوا حقيقة انتقالهم إلى دار آخرى ، بعدما ظن اغلبهم ، انهم قد يتنعمون فيما عاشوا فيه من النعيم فترة طويلة ، وهذه المشاعر والوصايا التي قدموها لمن جاء بعدهم ، مهمة جدا ، لانها تعبر عن حقيقة امور كثيرة حدثت في سنوات حكمهم ، تتعلق بالمجتمع ، والدين ، وسياسة الحكم ، وما ارتكبه بعضهم بحق رعيتهم ، هذا مع الاخذ بنظر الاعتبار ان الخلفاء قدموا تبريرات مختلفة لسياسة الشدة ، منها الحفاظ على الدين وابعاد المجتمع عن الفوضى والاضطرابات .

يبدو من خلال البحث ان هؤلاء ندموا على ما فعلوه وحاولوا التوبة ، وكانت وصايا بعضهم مؤثرة جدا ، ولاسيما فيما يخص تعاملهم مع الرعية في حين كان بعضهم الآخر عتيدا ، يوصي وهو في لحظات انتقاله الاخيرة ، بالشدة والضرب على ايدي الخارجين عن السلطة ، فضلا عن ذلك ، فأن الرعية ، ولاسيما العلماء منهم ، قدموا النصح والارشاد للخلفاء ، فيما يتعلق بسياستهم مع الرعية في المجالات كافة الاجتماعية والاقتصادية ، من خلال تذكيرهم بالموت ، ولا شك في ان تأثير ذلك كان وقتيا ، لانهم سرعان ما يعودون إلى سياستهم القديمة ، إذ يبدو ان بعض من يتولى السلطة ، يتنصل او قد يتجاوز أُمورا كثيرة اولها رعيته ، الذين يستمر تذمرهم وشكواهم من الاهمال ، وهذا ما يفسر سر ابتعاد العلماء عن السلطة ومتوليها .

جدول يتضمن السنوات التي استغرقها حكم الخلفاء ممن شملهم موضوع البحث

| ت | اسم الخليفة | تاريخ بداية حكمه ونهايتـــــــه | السنوات التي استغرقها حكمـــه | المصدر |
|---|---|---|---|---|
| 1 | معاوية بن ابي سفيان | 41 ـ 60 هـ | تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر | الطبري ، تاريخ ، ج3 / ص 410 |
| 2 | عبد الملك بن مروان بن الحكم | 65 ـ 86 هـ | ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر وخمسة عشر يوما | م . ن ، ج4 / ص 301 |
| 3 | الوليد بن عبد الملك بن مروان | 86 ـ96 هـ | عشر سنوات إلا شهرا | م . ن ، ج4 / ص 336 |
| 4 | هشام بن عبد الملك بن مروان | 105 ـ125 هـ | تسع عشرة سنة وسبعة اشهر واحدى وعشرين يوما | م . ن ، ج5 / ص 15 |
| 5 | ابو جعفر المنصور عبد بن محمد بن علي | 136 ـ 158 هـ | إثنتين وعشرين سنة الا ثلاثة ايام | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 10 / ص55 ، 179 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج5 / ص 293 |
| 6 | ابو عبد الله محمد المهدي بن عبد الله المنصور | 158 ـ 169 هـ | عشرة سنوات وخمس واربعون يوما | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 3 / ص 9 ، 989 ؛ الطبري ، تاريخ، ج 5 / ص 350 |
| 7 | هارون الرشيد بن محمد المهدي | 170 ـ 193 هـ | ثلاث وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج14/ص13 ، 7347 ؛ الطبري ، تاريخ ،ج 5 / ص 441 |

| 8 | عبد الله المأمون بن هارون الرشيد | 198 ـ 218هـ | عشرين سنة وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوما | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 10 / ص 181 ، 5330 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج 6 / ص 127 |
|---|---|---|---|---|
| 9 | محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد | 218 ـ227 | ثمان سنوات وثمانية اشهر ويومين | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 4 / ص 112 ، 1767 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج6 / ص 193 |
| 10 | جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم | 232 ـ 247هـ | اربع عشرة سنة وعشرة اشهر وثلاثة ايام | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 7 / ص 75 ، 3612 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج 6 / ص 248 |
| 11 | المعتمد على الله احمد بن جعفر المتوكل | 256 ـ 279 هـ | ثلاثة وعشرين سنة وستة ايام | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج4 / ص 280 ، 1993؛ الطبري ، تاريخ ، ج 6 / ص 490 |
| 12 | ابو العباس المعتضد بالله احمد بن محمد | 279 ـ 289 هـ | تسع سنين وتسعة اشهر وخمسة ايام | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج5 / ص 170 ، 2622 |
| 13 | المكتفي بالله علي بن احمد المعتضد بالله | 289 ـ 295 هـ | ست سنوات وستة اشهر وتسعة عشر يوما | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج 11/ ص 315 ، 6121 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج 6 / ص 546 |
| 14 | المقتدر بالله جعفر بن احمد المعتضد | 295 ـ 320 هـ | اربعة وعشرين سنة واحد عر شهرا وخمسة عشر يوما | الخطيب البغدادي ، تاريخ ، ج7 / ص 222، 3692 |

## المصادر والمراجع


*القرآن الكريم

1 ـ احمد حسين يعقوب ، النظام السياسي في الاسلام ( مؤسسة الفجر ، لندن ، د . ت ) .

2 ـ البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت 256هـ/ 869م) ، الصحيح ، تحقيق احمد زهوة واحمد عناية ( دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2008 ) .

3 ـ ابن تيمية ، (ت 728 هـ / 1327م) الخلافة والملك ، تحقيق حماد سلامة ، ط2 ( مكتبة المنار ، الاردن ، 1994 ) .

4 ـ الجاحظ ، عمرو بن بحر ( ت 255 هـ/ 868م ) البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبي ، ط 1 ( المطبعة التجارية الكبرى ، القاهرة ، 1926 ) .

5 ـ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط 7 ( مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964 ) .

6 ـ حسين عطوان ، الفقهاء والخلافة في العصر الاموي ، ط 1 ( دار الجيل ، بيروت ، 1991) .

7 ـ ابو حنيفة الدينوري ، احمد بن داود (ت 282هـ/ 895م) الاخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ( وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، د . ت ) .

8 ـ الخضري ، الشيخ محمد

ـ محاضرات تاريخ الامم الاسلامية الدولة الاموية ، ط 1 ( مؤسسة المختار ، القاهرة ، 2003 ) .

ـ محاضرات تاريخ الامم الاسلامية الدولة العباسية ، تحقيق ابراهيم امين محمد ، ( المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د . ت ) .

9 ـ الخطيب البغدادي ، احمد بن علي ( ت 463هـ / 1070م ) تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر ، ط 2( دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ) .

10 ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن ( ت 808 هـ/ 1405م) المقدمة ، تحقيق الاستاذ حجر عاصي ( دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1988 ).
11 ـ الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الاول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي ، ط 3 ( دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1997 ) .
12 ـ السيوطي ، جلال الدين ( ت 911هـ/ 1505م) تاريخ الخلفاء ، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي والشيخ محمد العثماني ( شركة دار الارقم بن ابي الارقم ، بيروت ، د . ت ) .
13 ـ الصابئ ، هلال بن المحسن ( ت 448هـ/1056م) تحقيق ميخائيل عواد ( مطبعة العاني ، بغداد ، 1964) .
14 ـ ابن طباطبا ، محمد بن علي (ت 709هـ / 1208م) الفخري في الآداب السلطانية (دار صادر ، بيروت ، د . ت) .
15 ـ الطبري ، محمد بن جرير ( ت 310هـ/ 922م) تاريخ الامم والملوك ، ط1 ( الاميرة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2005 ) .
16 ـ عبد الامير مهنا ، اخبار المصلوبين وقصص المعذبين في العصرين الاموي والعباسي ، ط1 (دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1990) .
17 ـ علي ابراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ( مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1972 ) .
18 ـ الغزالي ، محمد بن محمد (ت 505هـ/1111م) التبر المسبوك في نصيحة الملوك (مكتبة الكليات ، القاهرة ، د .ت) .
19 ـ فاروق عمر فوزي
ـ الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط 2 (مكتبة المثنى ، بغداد ، 1977) .
ـ العباسيون الاوائل ، ( بيروت ، 1970 ) .
20 ـ ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت 356هـ/966م) .
ـ الاغانـــي ، تحقـيق الدكتـور احسان عباس وآخرين ، ط ( دار صادر ، بيروت ، 2004 ) .
ـ مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد احمد صقر ، ط 3( مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1998 ) .

21 ـــ ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم ( ت 276 هـــ/ 889م)
ـــ عيون الاخبار ، ط1 ( دار الفكر ، بيروت ، 2002 ) .
ـــ المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط4 ( دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ) .
22 ـــ ابن كثير ، ابي الفداء الحافظ ( ت 774هـــ/ 1372م) البداية والنهاية ، وثقه وقابل مخطوطاته الشيخ علي معوض والشيخ عادل احمد عبد الموجود ، ط 2( دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005) .
23 ـــ الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـــ/ 108م) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق محمد جاسم الحديثي ( مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 2001 ) .
24 ـــ المسعودي ، علي بن الحسن (ت 346هـــ/ 957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، ط 1 ( دار القلم ، بيروت ، 1989 ) .
25 ـــ مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261هـــ/ 874م) الصحيح ، تحقيق احمد زهوة واحمد عناية ( دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2009 ) .
26 ـــ ناجي معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ( مطبعة العاني ، بغداد ، ، 1960) .
27 ـــ وفاء محمد علي ، الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين ، ( المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، 1990 ) .
28 ـــ اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت 284هـــ/ 897م) تاريخ ، ط 1 ( المكتبة الحيدرية ـــ ، قم ، 1425هـــ) .
29 ـــ ابو يعلى ، محمد بن الحسن الفراء ( ت 458هـــ/ 1066م) الاحكام السلطانية (القاهرة ، 1938 ) .
30 ـــ اليوزبكي ، توفيق سلطان ، دراسات في النظم الاسلامية ، ط 2 ( مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ، 1979 ) .
31 ـــ ابـــو يوسف ، يعقوب بـــن ابراهيـــم الانصاري ( 182هـــ / 798م) الخراج (المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1382هـــ) .

# مرايا الحيف الإنساني وانفلاتات البوح الذاتي في (إغماض العينين) للؤي حمزة عباس

**الدكتورة وسن عبد المنعم الزبيدي**
جامعة ديالى ــ كلية التربية ــ للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

**الملخص :**

**إنّ شقّ سجوف ما في داخل النص الإبداعي للوصول الى سمات التفرد ، والتميز يقتضي التوسل بالمنظومة المفهوميّة ، ومسالك الثقافة المحكمة التي ما أن يتحقق وجودها حتى تنتفي النظرة السكونيّة لتحل محلها النظرة الدينامية المرتهنة بتمظهرات الوعي الذهني ، ومحفزات العمليّة الإدراكيّة المتأتية بواسطة التمثيل الفكري المتوقد مثل سيرورة ناجعة لسبر أغوار الثراء المفعم ، والحيوية المخبوءة في ذلك النسيج المحكم سواء أكان على مبطنات الظواهر ، ومخفيات السطوح البادية ، أم على سبيل كينونة الجواهر.**

**يسعى هذا البحث إلى استنطاق سرد لؤي حمزة عباس في مجموعته ( إغماض العينين ) الصادرة في عام 2008م عن دار أزمنة في عمّان ، لاستكشاف مكامن الإشعاع ، وما يترشح عن اتساق أحجارها التي انتظمت ، وتراصفت ضمن هيكل معماري مكتمل العناصر متوهج السنا نجم عن تلاحمه ، وانسجامه تكوين كتلة بلورية مشعة في الإستثراء ، والانفتاح من النصوص ومن القراءات تتجاذبها حساسية فياضة تعبر عن**

تجارب واقعية معيشة جردت إشكاليّة الصراع الجدلي الإنساني ، وانعكاسات هذا الصراع ، ومآله الصائر على الشخوص ، والفئات والمجتمع صورا تبلور عنها خلق كيان فني سردي فريد منفتح على منافذ العقل عاكسا تشظيات الذات ، وتمزقها أمام الضغوطات الخارجية ، والداخلية الناجمة عن إرهابات السلطوية ، وتناحرات الحروب ، وما خلفته من دمار أشرأب في خلايا النفس المنسحقة جراء المحن الكبرى فإذا بالتجربة الأدبية تتحول عبر الحساسية التعبيرية معينا خصبا في الكشف عن مجسات الفكر التي غذت أدب الكاتب ، بروح وجودي وقانون فني معا ممّا يجعله أدباً متميزاً من غيره باعتماده أنساقا فكرية ، وبلاغيّة ، واجتماعيّة محمّلة بشحنات معرفيّة ثرّة تمتح من معين اللغة بأساليب خلاقة ووعي تام يرتكز على ركح ثلاثي ، فني ، إنساني ، سياسي ، وما يتم من تواشج ذلك كله من إخصاب التنافرات التي تولد تلقائيا من مكونات الخطاب الإبداعي بتعدد ملفوظاته ، وآليات تشكله ، وانتظامه فضلا عن تكثيف دلالاته .

إنّ إجراءات البحث تطمح إلى تجلية بنى النص ، وملاحقة عناصر تشكلها السردي على وفق النظرة الابستمولوجية (المعرفية) المحايثة للكشف عن الأشكال اللغوية المترعة بالقصدية ، والأسلوبية المثيرة ، وشبكاته الرهيفة ورؤاه الملفعة بالصمت المكبوت ، والغموض ، والإنزياح ، وفاعلية ذلك كله في إنتاج النص .

**المدخــل : ــ**

يتزايد الوعي بأهمية القصة يوما بعد يوم في مواكبة حقيقية لمجريات التطور الحضاري الفاعل ، فالقصة جنس أدبي استطاع أن ينحت لنفسه مكانا سنيا يتعالى وتتحدد قيمته بوصفه نسقا معرفيا وسط الأنساق الجمالية ، والثقافية ، ومما يشيد ديناميتها ويفعّل دينامية قراءتها وصيرورتها الفاعلة ما تملكه من عوامل اجتذاب لأجيال من القراء والمتلقين فلا شك في أن القصة القصيرة في سيرورة بناء مستمر كونها مرتهنة بواقع تستمد نسغها منه وتتخذه ركيزة قالبها السردي فتتواشج معه بعلائق تفاعلية تعكس تجارب معيشة لكنها ما تلبث أن تنسحب منه بإعادة تشكيله على وفق قوانين الجنس الأدبي وفاعلية الإبداع القولي بما تهيؤه لها اللغة من إمدادات تتحدد في ضوئها جمالية أنساقه وشعريتها من خلال آليات التشكل الصيغي الذي ينسرب إلى استقطاب عناصر عوالمه الدلالية وأنساقه المعرفية وما ينتج عن ذلك كله في محفل الإنتاج خطاب سردي حاضن لعوالم مكتنزة رمزا وإيحاء ومحملة بمضامين ذات أبعاد إنسانية تنطوي على كثافة تعبيرية تنفتح على باحة التأويل الرحب .

إنّ العمل الإبداعي الذي يكتنز طاقات خلاقة يتم التعبير عنها بواسطة الأسلوب السردي بسلطة فنية طاغية تنثال بكثافة مثيرة نتيجة اصطراعات ودوافع ضاغطة على ذات المبدع تسهم في تبئير الأفكار ورسم الصور الفنية بعوالم سوريالية أنيقة يتكثف فيها الرمز والبؤر الداكنة ولعبة المواربة والتعمية المقصودة التي تستفز المتلقي وتستثيره في آن

معا ولا سيما حين يتحول الحدث الاعتيادي إلى تصعيد درامي حقيقي يتجاوز معطياته المباشرة ويتجه إلى دوائر الوعي الجمالي .

من هنا تتحدد مقاربتنا لمجموعة لؤي حمزة عباس (إغماض العينين) ، فإن عملية استكناه جمالياتها تتأتى من أعماقها الكامنة ، (إغماض العينين) عدسة التصوير التي رصدت مرحلة الاستنزاف الدموي اليومي في حياة الإنسان العراقي الرازح تحت عقال الحيف الإنساني والاقتتال الفرقي المقيت وتداعياته الدامية في حقبة تاريخية شديدة العتمة ، فكما أن الشعر كان ولما يزل ديوان العرب وسجلهم فإن السرد مجس لعكس الواقع وهويته بقلم الأديب الحاذق وأسلوبه الفريد الذي يؤرخ لحقبة زمنية عاشها الإنسان العراقي كاشفا عن طرائق تفكيره وأنماط عيشه وكيفية تعايشه مع الغير في ظل موجة التغيير العاتية وطبيعة العلائق تلك، يحيل السرد فيها على أزمنة تاريخية محددة وإن لم يركّز الكاتب على الطابع الوثائقي التاريخي فهو لا يفصح عن تواريخها علنا بل يؤرخ للكارثة الإنسانية ومدياتها .

**( إغماض العينين ) ثنائية التصادمات بصريح التناقضات ومرير الاعترافات .**

إنّ إستراتيجية القراءة والتأويل هي السبيل الملائم للكشف عن المحمولات الدلالية التي تنهض بها النصوص ، ولا شك في أن تشخيص السياق التمظهري الحاضن لها هو الذي يحيلنا على فك شفرات النص الدلالية .

لعلّ أهم المفاتيح لولوج عالم الكاتب الفني يمكن رصدها من خلال العتبات أو الموجهات النصية كما يسميها ( جيرار جنيت) ، والعتبات هي صيغ تحيط بالنص من الخارج وتمسه مسا غير مباشر فهي مكملات له من الناحية الاستدلالية تؤدي دورها خارج النص لكنها تفلح في إقامة علاقتها مع الداخل النصي مما هيأ لها أن تكون جزءً مركزيا وأساسيا فاعلا في منظور المنهج النقدي الحديث بتفرعاته واتجاهاته كافة ، فهي تكشف عن طبيعة الرؤية التي يتوافر عليها النص الإبداعي من خلال شبكة من المرافقات النصية المحيطة بالمتن النصي لتشتغل في صوغ نظمها الدلالية من الداخل [1].

إن أولى محطات الصراع مع القارئ تبدأ من شفرته العلامية المتمثلة بعتبة (العنوان) ، الذي يحمل بين جنباته أسرار المأزق الدلالي وخفاياه ، به تتفتق طلاسم الانتماء والهوية وتتكشف ، ولا شك في أن الحفر وراء العنوان يمثل حضورا ماديا في متن الخطاب الإبداعي للإحساس بحضوره المعنوي ، ذلك أن للتسمية فاعليتها في كينونته (( إذ ليس للخطاب في الوجود غير اسمه ، من هنا تستمد خطرها وأهميتها ))[2]، في منح النص بعدا تاريخيا يمكن أن يكون إنجابا مفهوميا ، فالعنوان يشكّل مركز تصادم أو تفاجئ للمتلقي ، و(( يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة ، قصد استنطاقه وتأويله ، كما أنه يستطيع أن يقوم بتفكيك النص من أجل تركيبه ، عبر استكناه بنياته

---

(1) ينظر : المغامرة السردية ... ، سوسن هادي جعفر : 234ـ 235 .

(2) في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة ، خالد حسين: 105.

الدلالية ، وأن يضيء لنا في بداية الأمر ما أشكل وغمض ، وهو مفتاح تقاني يحس به السيمولوجي بنبض النص ، تجاعيده ، ترسباته البنيوية ، وتضاريسه التركيبية على المستويين الدلالي والرمزي ))[3] .

ولا شك في أن نصية العنوان ومحمولاته دلالة على وعي الكاتب بروافده التناصية من جهة وبدرجة مخاطبيه من جهة ثانية ، فهو أذن حاصل تفاعل العناصر الشفرية والمكونات الداخلية التي يتم من خلالها تكييف القارئ وتهيئته للطرح المقدم ، يرى ( بيرلمان ) إن الخطاب لكي يستمد نفاذه المطلوب عليه أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها ثم توعيتها[4] .

إن تقصي النسق الشكلي لعنوان المجموعة يحيل على انبنائه على صيغة نحوية تشير إلى إقصاء المسند إليه( المبتدأ ) ، والاكتفاء بالمسند ( الخبر) المكون من ملفوظين الأول ( إغماض) مصدر للفعل ( أغمض ، يغمض، إغماض) ، والثانية (العينين) مضافا إليه .

ينهض العنوان الرئيس بعبء الوظيفة المركزية فهو يقدم نفسه للقارئ منذ الوهلة الأولى في إطار صورة بصرية حركية تنزع إلى التمري بها بوصفها بؤرة التفجير الدلالي تتسرب من خلالها أطياف لغة الرمز الموحية بدلا من لغة البوح والتصريح ، فالمسكوت يشي بأن هناك مخبوءً أكبر من دلالة الملفوظ السطحي المنطوق به ينفتح على دلالات

---

[3] السيميوطيقا والعنونة ، جميل حمداوي :96.

[4] ينظر : مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة : 135

إيحائية تؤطر رغبة البوح لدى الأنا الكاتمة المتمثلة بالسارد . (إغماض العينين) تلك المعادلة المميتة التي تجمع بين معادلين متفارقين هما الشعور واللاشعور في علاقة عكسية إطرادية ، تلفتنا لفظة الإغماض كونها تخفي وراءها تجليات / الرؤيا / التي تستفز ذاكرة مخيلة المتلقي للدخول مع ذاكرة مخيلة الكاتب ، فمعطى الإغماض / قصير ، ولا بدّ من التفتيق في ما بعد الإغماض لا في الكيفية التي يتم فيها فعل الإغماض نفسه بل في ما وراءه من متحصلات ، فالمحدد الوصفي الذي أقترحه القاص هو محدد من نوع الموصوف وهذا ما يضفي على النصيص صيغة الوضوح المفخخ ، لأن فعل(الإغماض) فعل لا إرادي يخبئ وراءه حزمة من الافتراضات التي يقترحها المتلقي في أثناء ولوجه عالم النص [5].

لقد انبنت قصص لؤي حمزة عباس على نوع من التلاحم والانتظام تفضي جميعا إلى تمركز بعد دلالي يغلب على باقي المستويات الأخرى إذ نجد تسيد النسق الواقعي على قصص المجموعة كافة حيث يتبأر الحكي حول ثيمة الموت التي تخيم على سطح النصوص تحكي وقائع حياة يومية اعتيادية لفئات شتى يشتغل الحكي فيها على عتبة بين فضاءين : النهار بوصفه معادلا للعمل والجد ، وفضاء الليل بوصفه معادلا للراحة والهزل[6] ، إلا إننا نجد الكاتب قد خلق فضاء جديدا نجم عن تماهي الفضاءين وتحولهما إلى فضاء جديد متأرجح بينهما .

---

[5] ينظر : بنية الجسد وديناميكية المعنى الداخلي .. ، رياض عبد الواحد : 9.

[6] ينظر : هيرمينوطيقا المحكي .. ، محمد بو عزة : 118.

يشكل المسار الواقعي عالما بسيطا أليفا لكل الشخوص الذين تناولهم القاص في قصصه ، فأول ولوج لمجموعة القصص بدأ بمشهد تصويري يظهر بشاعة الموقف وقسوة الإنسان التي تظهر تلك البشاعة انطلاق الرصاصة على الطفل والتركيز على قتل البراءة ، فيتحول المكان الأليف إلى مكان معادٍ ، كانت الأمواج هادئة وحينما سمعت انطلاق الرصاصة غدت حزينة ، فكأن القاص استمد هياج الأمواج من بيئته البصرية من حيث المد والجزر والأمواج المتلاطمة التي تحدث في عملية المد الذي كان يغسل الشواطئ ويزيل ما بها من زبد . ولا احسب الدخول إلى ساحة المجموعة بهذا النص المكثف جاء اعتباطيا أو عبثيا فوضويا بل ثمة قصدية فكرية ونفسية ، فكأننا نقف أمام ثريا للنص من نوع آخر تحرك في دواخلنا إحساسا لائبا بخسارة فاجعة لا يمكن مواجهتها صاغها الكاتب لأمر في نفس السارد لا يعمل كثريا (( تقليدية)) لكنه يقدم للمتلقي إيحاءات تهيؤه نفسيا لاستقبال معطيات القراءة اللاحقة ، أكثرها حسما هو وضعنا على عتبة قدرية الموت المصنّع ــ القتل ووحشيته ــ فهدف القتل هو ((طفل )) يثير التعاطف العاصف عادة ، تلاحقه الرصاصة وهو يركض في الشوارع الموحشة ثم يستسلم عندما لا يكون هناك خلاص نهائي أبدا فتخترقه الرصاصة في لحظة (شعرية) تصممها عين سينمائية [7] ، فقد رصدت عين آلة التصوير الطفل وهو يركض في شوارع غريبة موحشة : (( رآه ، وقد اندفعت الرصاصة ، واقفا على ضفة ، تتلاطم خلفه الأمواج ، وجهه هادئ ، كما لو لم يركض في شارع أبدا ، ويداه

(7) ينظر : إغماض العينين المميت ، حسين سرمك حسن : 17.

مسدلتان ، حتى إذا اخترقته الرصاصة أغمض الطفل عينيه ، هكذا تصوره ، تاركا جسده يسقط ، بلا صوت ، على الإسفلت )) [8] .

لا شك في أن آلية توظيف الاستعارة المكنية المتمثلة بالفعل (اندفع) ، أثرها الأسلوبي الفاعل في الوجهة الدلالية للنص التي تعمل على تعميق الإحساس بفظاعة المشهد ، والاندفاع بشدة كما يندفع الكائن الحي ولا سيما الحيوان الوحشي الذي يندفع لافتراس ضحيته ولكن الاندفاع هنا بفعل فاعل وليس اندفاعا ذاتيا كما يفعل الكائن الحي ، ولا مراء في أن انتقاء هذه اللفظة تحمل في الآن ذاته دلالة اللا إنساني (الحيواني)الذي يؤدي إلى ارتباطه بجماعة إنسانية معينة ، وفي هذا صورة تمثّل القسوة واللامبالاة ، فالمشهد يوحي كأن الموت بالمجان وكأنه لم يحدث شيء بقتل الأطفال بدم بارد من غير إحساس القاتل ، بلغت الصورة معمارها المكتمل مما جعلها تؤدي أثرا فاعلا يستفز المتلقي ويدفعه إلى حركة ذهنية قوية مما يجعل حضورها محفزا نشطا وهذا النوع من التحفيز يسميه ريفاتير (( التحفيز النشط)) ، الذي لا يقف عند حدود التصوير فحسب بل هو (( تأسيس جديد ينبثق من داخل النص صورا تتحرك به الدوال نحو مدلولات تتشكل كناتج إبداعي لعلاقات الدوال بعضها مع بعض ، فهي واقع مبني لا يسبق النص ولا يلحق به وإنما ينتج عنه )) [9] ، إنه يتفاعل ويفعّل بمعنى أن الوصف فيه لا يكون مجرد حلية أسلوبية أو أنه عنصر تزيني أو زخرفي في القص

---

(8) إغماض العينين ، لؤي حمزة عباس: 11.

(9) ينظر : تشريح النص ، عبد الله الغذامي :108.

بل أنه في ذاته بعد أن كان رمزا لحقيقة اجتماعية وفلسفية وأخلاقية [10] . يتصدر فعل الإدراك البصري المشهد ومن ثم تعضد الرؤية بعض أدوات الإدراك الأخرى فتلتقي حواس الرؤية والسمع والشعور في تشكيل اللوحة أو المشهد التصويري الذي يكشف عن فنية الكاتب في العرض فقد عمل على تقديم الفكرة تقديما تمور فيه حياة الحيف والاستلاب بفعل سلطة قاهرة ، والكاتب هو : (( مصدر كل تبئير كيفما كان نوعه ، وأنه هو الذي يوّظف كلا من الراوي والمبئر لغايات محددة وخاصة )) [11]، ومن الجلي هنا أن الراوي هو راوٍ غير ملموس على الرغم من تحكمه في مجريات النص كلها فهو يرى كل شيء ولا أحد يراه ، لهذا كان ناظما خارجيا ، وليس ثمة شخصية محددة مما صرف الانتباه كليا إلى الحدث . فهذا المتن التصويري تأسيس ارتهان مصير الطفل بمصائر نماذج أخرى متعددة ومتنوعة ، وفي عملية تقديم الحدث دلالة على كونه الفاعل الأول في مسار المكونات السردية والتي سيظهرها الحكي لاحقا .

يمسك السارد بخيوط السرد المبنية على هاجس جدلي قائم على فكرة الصراع الإنساني وأبعاده الظاهرية وتجلياته العلامية القارة في النص والمتسربة إلى المتلقي . لا شك في أن البراعة الفنية للكاتب ووعيه الكبير بأسرار أحكام النص تتمثل في قدرته على الإمساك بخيط الموازنة بين الضوء المضبب والعتمة وحذقه الفني في الإبقاء على ذهنية المتلقي متأرجحا بينهما في سعي دؤوب لشده إلى أعماق النص .

---

[10] ينظر : قراءات في الأدب والنقد ، الدكتور شجاع العاني : 29.

[11] تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين : 306.

تتمفصل المحكيات إلى ما هو مركزي رئيس وفرعي جزئي تتشابك بعضها مع بعض وترتبط ضمن متوالية كبرى ثم تنتظم في أطار علاقة التجاور والتفاعل الذاتي . ( اتصال ) القصة الأولى التي تتصدر المجموعة ، ودلالة العنوان تحيل على الانقطاع والغربة ثم يأتي المتن الحكائي معززا دلالة العنوان موحيا بالاغتراب المكاني والعزلة التي تمنح القصة صبغة انفعالية تشي بحالات التوتر والتمزق والانهمار النفسي ثم نلحظ ترهين المغزى الدلالي وغموضه إلى حين تعالقه مع القصة الثالثة ( قرب المدرسة الانكليزية ) واختلاط عالم الأغراب والمهاجرين ، فالكاتب يضع المتلقي في دائرة الاغتراب وكأنه يحكم إغلاقها بـ ( لا زيارات للغرباء ) ، ليضع المتلقي في خضم متاهات التوتر والانفعال .

أثمر المناخ الفكري الذي نهل منه الكاتب معطياته المعرفية وعمق ثقافة متكاثفة عن شجرة وارفة الظلال تتمثل بقصة ( قطرة دم لاكتشاف الجسد ) ، التي تشكل أهم المحكيات فقد كان لها حضور في سياق قصص هذه الباقة لما لها من خصوصية نوعية وتميز فهي تكاد تكون بمثابة العمود الفقري في مساق القصص الأخرى ، فهي بنية سردية عميقة الدلالة محكمة النسج جاءت صهرا خصيبا من طبقات متراكبة تحركها قوى فاعلة في أصولها ومرجعياتها تعاظلت فيها أيدلوجيا الفكر وتسيد الرؤى مع أيدلوجيا التابوات المحكومة بمنظومة القيم العرفية وما يباح وما لا يباح وانصياعا لتلك المنظومة بدأت معالم جديدة تتكشف ، فإذا بالمرايا تفشي أسرار اللحظات المتهافتة لتعكس في الذهن والمخيلة رؤى متفاوتة

تطرح إشكالية تحول الوعي الفردي بالجسد المقوم التفسيري عبر مقتربات الوعي الإنساني لتلك الظواهر التكوينية وتحولات الجسد اللافتة والمستفزة في آن معا مما استحالها إلى فعل استقطابي حركي جاذب فهو ــ الجسد ــ المحصلة الفيزيائية لقانون الحياة منه تنبجس الغرائز وتتصادم في سعي للبقاء ودورانها المستمر في دائرة العيش الدنيوي يفجّر فكرة الوازع والرغبة في إشباع الحاجات الإنسانية التي يتصدرها الإشباع الغريزي والانتشاء بلذائذ الجسد ، وهكذا يتنزل الفكر والإشباع العقلي في صلب البعد الحياتي الذي يروم الإشباع هو أيضا فيتولد من ذلك مظهر جديد من مظاهر أكاسير الحياة .

يشتغل القاص في هذه القصة على النحت الفني ليشكل من خلاله نحتا ( لغويا ) يثوي بين دفتيه ( كتلة ــ فراغ) من دون الاهتمام بــ ( ضوء ــ ظل ) ، فهو ــ القاص ــ يتخلى عن التشكيل لصالح ما هو محسوس ومتمثل داخل المحك القصصي ، فالسارد يعرض ما يعرف بناءً على ما شاهد وخبر وتمثّل معترفا بالجسد ، كونه الفاعل في إقامة علاقات مع مفردات المكان ، فالجسد هو بؤرة توليد الدلالات يسهم في إدامة زخم العملية السردية ، وهذا ما يعرف بــ ( الدعم المرئي للنص ) بحسب فابرتز ، فحين يدخل الجسد في كينونته فأنه يطلب أن ينقذ مما هو فيه ، أما حين يخرج منها فهو يتضرع على الخلاص ، أما معاينة الآخر فتتم بواسطة كينونته ، فالجمل المستعادة في ذاكرة الطفل علقت اكتشاف جسده ومن ثم تعليقه على الذوات الإنسانية الأخرى التي جايلته إن هذه المعلومات السردية تغذي الحبكة وتساعد على تلغيز الشخصية [12].

---

[12] ينظر : بنية الجسد ودينامية المعنى الداخلي .. ، رياض عبد الواحد : 9.

يتمثّل الجسد بوصفه إشكالية صادمة في لحظة خاصة هي اللحظة الفاصلة بين ( الأنا المتعالية) أو ( المادة المتهابطة) في سياق مؤثث بحضور مكاني مميز عمل على تعميق الإحساس بالجسد وتأكيد سلطته في (محو) أجساد أخرى خطت من قبل في المكان نفسه [13] ، فكأني بالكاتب يطرح قضية فلسفية تفصح عن قضايا الوجود الإنساني وجدلية الحياة التي تبعث عن التساؤل الجوهري (ثم ماذا بعد ) ، فلا خلود إنساني ولا سواه فعلام التناحر والاصطراع ؟ وإني لأتنسم من الخطاب القصصي هذا روائح أبيات أبي العلاء المعري في فلسفة الحياة حين قال :

خفف الوطء ما أظن أديـــــــم الــــــ ـأرض إلا من هذه الأجسـاد
رب لحـــدٍ قد صار لحـــدا مـــرارا ضاحك من تزاحم الأضداد [14]

تعلن التراكيب الحالية أو التبعية التي تقوم على الإسناد والإضافة عن الحدث الوصفي الذي قدّم له القاص بمعطيات ظرفية قد ترد وحدها تارة أو مقترنة بالصفة التي تضاعف عملية التمييز [15]:(( من لحظة صادمة ، كثيفة ، ولا نهائية ، يتولد إحساسه بالجسد ، وهو يدخل منفصلا عنه إلى غرف الفنادق ، يتعرّى في حمام الماريوت ، تحت الأضواء الساطعة التي تمطر من أوان زجاجية ، شفيفة أو مغبشة تلتف أزهارها على نويّاتها المشعة معمقة إحساسه بجسده .. )) [16] ، فقد وقع التعيين في أول النص

---

(13) ينظر : إضاءات سردية ، الدكتور فاضل عبود التميمي : 42.

(14) شروح سقط الزند ، لعدة شراح ، القسم الثالث : 974.

(15) ينظر : في نظرية الوصف الروائي ، الدكتورة نجوى الرياحي : 13.

(16) إغماض العينين : 17.

للمعطى المكاني ( حمام الماريوت تحت) ، ثم تضيف إليه الصفة النوعية (الأضواء الساطعة) ، مزيدا في تجسيد إطار الوصف وإحداثياته .

أما المرايا المنتشرة في أجزاء المكان فتعمل على تقديمه والاحتفاء به مسرحيا فتكون المواجهة . فالشخص المتنقل في الغرفة يرى الأشياء لكنه لا يثق بما يراه بسبب من تشظي الذات وانشطارها أمام ما يعكسه الجسد من صورة تدعو إلى الملاحظة والتأمل ومن ثم تكون باعثا على الدهشة والتساؤلات ، وهي بمجموعها تنفتح على شكل الجسد محيلة رغبة السارد إلى فعل غير محدد يمارسه وهو يبصر التنقلات الجسدية وتحولاتها التي استفزت قنوات الإدراك لديه ولا سيما حضور النشاط الإدراكي البصري في صورة صريحة وفي صورة ضمنية تكشف عن كثافة الدوال على البصر منها ( يخيفه مرأى شعيرات وجنتيه ، يغمض عينيه ، ويفتح عينيه ، أمامه مرآة ، وخلفه مرآة ، يقترب من جسده لا ليدخله ويغيب فيه بل لينظر إليه ويدقق في معنى أن يكون جسده هو، يراه وقد .. ، يحلق في فضائه الشخصي ، يرى خلفيته ، خلف الستائر ، في ظلمة الحرب المطبقة ، خلف الأشجار وقد رآها ، من مكانه على الدكة ، كلما أغمض عينيه يشاهد وجه المرأة يقترب وبريق عينيها يشع ، .. .. ، التفت فرأى العمال .. أرعبه منظر الأجساد المتساقطة ، ومنظر الدم وهو يسيل )[17].

وهكذا تتحول الأجساد إلى شفرات سردية ولود للنصوص المحترسة في ركنها البعيد ، ودورة الجسد ذاته يعيد إنتاج وجوده السردي في أقصى نهايات الحقل المسوّر بتلون أشكاله وإيقاعاته ، ضمن سلسال المتواليات

---

(17) م . ن : 17 ــ 30.

القصصية الأخرى التي يأخذ بعضها بتلابيب بعض يجمعها خيط دلالي واحد يفتح المعنى على دورة الدم المسفوح في عالم (الضوء المضبب والظلمة الرمادية) بدءً من ( إغماض العينين) التي تنعكس عليها قسوة القتل ، كي يبقى البؤبؤان مفتوحين على اتساع الرابط القسري للنصوص الدموية التالية له ( رجل كثير الأسفار ، العدسة ، عينا رجل المترو ) ، ويبرز المكان الأليف مثير ا فاعلا للخوف ( غسل الوجه ، النزول إلى الظلام ، عشق الحدائق المنزلية ) ، أما قصة ( بطاقة بريد لأموات المعقل )[18]، فهي شحنات بوح تشي عن الحالات التي ينكمش بها الجسد وتشرأب الروح بمعاني الخوف والتيه إلى أقصى حدود . ولكل قصة في هذه المجموعة فرادة وتميز لما تتمتع به من مثيرات أسلوبية وفنيات سردية تغري وتغوي في آن معا بولوج عوالمها بيد أن الوقوف عليها جميعا يفضي بنا إلى الإطالة لذا فإننا سنسلط الضوء على ثلاثة نماذج قصصية (إغماض العينين ، عينا رجل المترو ، لا زيارات للغرباء) . ففي القصة الأولى يبدأ السرد فيها بضمير الغائب ، ويعد هذا السرد من أقدم الأنواع ويسمى بـــ ( السرد الموضوعي ) ، وهو تقنية يوظفها ( الراوي العليم) ، بغية تقديم رؤيته التي تكون إما رؤية من الوراء وفيها يعرف الراوي كل شيء عن الشخصية ويستشرف مستقبلها ويدخل إلى أعماقها ويتابعها ويصفها مستخدما الضمير الغائب بوصفه الوسيلة للاستيلاء على المتلقي بالطريقة التي يرغب هو بها ، فما يمتلكه الراوي العليم من المعرفة الكاملة للأشياء والشخصيات والأحداث تمكنه من وصف تلك الشخصيات بطريقة

---

[18] ينظر : فتح العينين ، محمد خضير : 18. بحث انترنيت .

موضوعية ، ومن الخارج بحيث لا يذكر إلا ما يراه المشاهد عليها حسب ، وقد يكون خارجيا أو داخليا . لذلك اقترن تمظهر الرؤية بالكيفية التي يتمظهر بها الراوي ، فكل تحديدات الرؤية (( تركز (...) على الراوي ، الذي من خلاله تتحدد (رؤيته ) إلى العالم الذي يرويه بأشخاصه وأحداثه ، وعلى الكيفية التي من خلاله أيضا ــ في علاقته بالمروي له ــ تبلغ أحداث القصة إلى المتلقي أو ( يراها ) )) [19].

من الجلي أن الراوي في قصة ( إغماض العينين ) هو راوٍ غير مشارك يسرد بضمير الغائب كل ما يحيط بالشخصية وما تفكر به أو تشعر وما ينتابها داخليا وخارجيا ، والسرد بضمير الغائب كما هو معروف رؤيا ( غير مبأرة ) أو في درجة الصفر على رأي ( جيرار جنيت ) ، وإن التبئير في درجة الصفر تبئير متغير بمعنى أن الراوي العليم يمتلك حرية التغيير لما يرويه أو ينقله للقارئ بالطريقة التي يرتئيها لأن وجهة نظره : (( ذات حقل من الشمولية ويسمى الراوي الإله فيها. والرؤية لا يمكنها أن تتوافق مع أي شخصية وبحيث يكون مصطلح التبئير أو ( التبئير في درجة الصفر) هو الأليق والأجدر )) [20]. فالراوي يحتكر وجه النظر لنفسه ، فهو الذي يرى ويتكلم وشمولية وجهة نظره هذه جعلته على دراية بالظواهر والخفايا يستطيع أن يدرك ما يدور في ذهن الشخصية ويدرك رغباتها الخفية التي لا تعيها هي ، وقد عدّ ( رولان بارت ) ، السرد

---

(19) تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين : 284.

(20) عودة إلى خطاب الحكاية ، ترجمة ، محمد معتصم : 96، وينظر:المصطلح السردي ، جيرار برنس ، ترجمة ، عابد خازندار : 78.

بضمير الغائب (( بمثابة ميثاق بين المجتمع والكاتب )) [21] ، تبعا لقدرة الروائي على بناء عالمه السردي وعلى إستراتيجيته في الإمساك بتقنياته الفنية لإثراء نصه . فالكاتب كما بينا هو الذي يوظف كلا من الراوي والمبئر لغايات خاصة ، سنحدد بعض المواضع لرؤية الراوي في
( إغماض العينين) ، وهي رؤية ( من الخلف) والراوي فيها
( عليم) ، ومستوى السرد (موضوعي) ،فالراوي في مستهل القصة يتحدث بحرية عن الشخصية والمسافة التي يقطعها إلى مكان عمله وكيف أنه جربّ أن يمشيها ولكنه ظل مصرا على ركوب الدراجة (( ... يسير إلى جانب الرصيف منتظرا أن يخلو الشارع من السيارات ليخفف من
سرعته ويغمض عينيه تاركا العالم ينسحب من على جانبيه من دون أن يراه ، ... ))[22] ، نلاحظ هنا أن الراوي العليم قد لجأ إلى توظيف آلية الوصف إلى جانب السرد ضاخا شحنات فنية في جو القصة ، فهو يصف ما تفكر به الشخصية وهي تنتظر أن يخلو الشارع لكي تمتع نفسها بإغماضة عينين مصحوبة بتقليل السرعة ، ثم يضيف كيف يركن دراجته على جدار مخزن المواد الطبية ثم يدخل إلى مشاعر الشخصية وإحساسها بقوله : (( هو يحس بنفسه مندفعا في ظلمته الرمادية المحببة ، ظلمة يشوبها ضوء مضبب بعيد ، لم يدرك إن كانت سعادته في الظلمة التي يتحرك في دواخلها ، أو في الضوء الذي لا يكاد يميّز مصدره ... )) [23]، يتبين من هذا النص أن الراوي يتحرك ضمن دينامية الوعي العليم لرصد

---

[21] التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف ، عبد الحميد المحادين : 62.

[22] إغماض العينين : 35.

[23] م . ن : الصفحة نفسها .

الشخصية بكل تفصيلات سلوكها المألوفة في مكان عملها : (( أخذ يشغل وقته بتنظيم بعض من صفحات سجل المراجعين ، يرسم حقولا بخطوط طولّية وأخرى أفقية ، ثم يختم بطاقات دفتر الغد ، وبعد أن يتناول طعامه ينهض حاملا كوبه الأبيض بحبة الكرز الصغيرة المرسومة على ظهره بغصنها الدقيق ، سيظل الكوب على المنضدة حتى انتهاء الدوام فهو يفضل أن يتناول شايه رشفات متباعدة .... ))[24] ، نستشف من هذا النص أستشرافا زمنيا للسرد نتلمسه في قوله (سيظل الكوب على المنضدة .. ) ، ولكن زمن السرد يتراوح بين الحاضر والمستقبل إلا في السطرين الأخيرين حيث نلمح استرجاعا لزمن مضى قبل حين ، حين رأى رجلا يطلق النار على رأس رجل معصوب العينين في ساحة المركز الصحي الذي يعمل فيه .

يتحكم الراوي العليم في تنظيم إستراتيجية السرد في القصة كونه ملما بكل ما في الشخصية وما عليها وما يحيط بها ، فالراوي إن صح التعبير يحرك مسار الوقائع منطلقا من السرد بضمير الغائب مستعينا بصوت الراوي .

وفي قصة ( رجل كثير الأسفار) ، أسس القاص نصه على تصور عجائبي طمح من خلاله إلى تكوين رؤية مغايرة للأشياء تهز المتلقي وتدهشه ، ولا شك في أن (( الكتابة المتشبعة بروح (الفانتاستيك ) مغامرة واستجلاء للبقايا والهوامش والمقصي من كينونتنا المحاصرة بضغط القوانين والمحرمات وشتى أنواع الرقابة ))[25].

---

[24] م . ن : 37.

[25] مدخل إلى الأدب العجائبي ، تودوروف، ترجمة ، الصديق بوعلام : 7.

إن الإجراء الفني لتشكيل الخطاب قائم على التنويع ، ما بين الماضي والحاضر والمستقبل ، يتبنى الكاتب فيه نمط السرد المتزامن (( قصد الإيهام بتزامنية الأحداث حيث تبدو الأحداث وعملية السرد كأنهما متزامنتان ... بقصد الرفع من حدة التوتر لدى المتلقي لاستيلاد الإدهاش والحيرة )) [26] ، لجأ القاص فيه إلى تجريد الشخصية كما يجرد الرسام عملا تشخيصيا لا يبقي منه أي ملمح من ملامحه الخارجية وكأنه يريد أن يحيل القارئ بقوة إلى ما خلف الحقيقة البصرية الظاهرة للعيان ، ولكي يلعب القاص لعبته العجائبية التي تنتمي إلى الفضاء السوريالي الذي أعد له مسرح الأحداث إعدادا جيدا في محاولة لخلق جو ( فانتازماغوري ) ، يتخلله الغموض والتناقض وكأنه يوحي لنا بأن هذا المشهد الغرائبي هو أقرب إلى طبيعة العقل الباطن الذي يسرب لنا صورا يعوزها النظام والمنطق والدقة [27] .

حرص الكاتب على أن يكون السارد في القصة ، إذ يروي كل شيء من منظوره الخاص ناطقا بضمير ( الأنا ) ، منذ أولية الحكي الذي جاء إجابات لتساؤلات غائب لم نلمس حضوره على سطح النص ما خلا ترهين النص باتجاهه ، ولربما يكون هذا السائل من خيال القاص نفسه أو صدى لصوته الداخلي المنصهر وعمق المحنة فهو يلوذ بالتخفي والتواري عبر المراوغة اللغوية التي تحيل بدلالة الملفوظ على الغائب ، يبدأ النص بـــ (( سألني بماذا تفكر هذه الأيام ؟ استغربت لسؤاله كأني أسمعه للمرة

---

[26] شعرية الرواية الفانتاستيكية ، شعيب حليفي : 126.

[27] ينظر : بنية النص الفنتازماغوري في إغماض العينين ، عدنان حسين أحمد : 7.

الأولى ، وكان بودي أن أقول له أفكر بكتابة قصة عن رجل يسافر كثيرا بين البصرة وبغداد ، منذ سنوات وسفره مستمر بحكم عمله [28] .

ومما يلاحظ الدقة المتناهية في اختيار الألفاظ ووضعها موضعها ، فلا شك في أن استدعاء الفعل المضارع المبني للمجهول (يُذبح) بدلا من الفعل ( يقتل ) كون الأول يختزن طاقة دلالية مشبعة تشتغل على الظاهر والخفي الذي يمارس ضغطا شديدا على الذهن ؛ لما يحمله من ترميز مضاعف ينبئ عن القسوة اللا متناهية وبشاعة الفعل اللا إنساني .

ومن اللافت للنظر إن التفجر الصوتي الذي أحدثه أصداء حرف السين بصفيره العالي في النص عمل على شحن النص بطاقات صوتية تضع المتلقي في حالة تفاعل مع الحدث والشخصية من خلال ذلك التصعيد النفسي للأسى المتأتي من إيقاعات الصوت في عملية تجاوب امتدت لتشمل الاستحواذ على حواس القارئ التي منها يتولد الإدراك الجمالي بقيمة النص إيقاعيا ودلاليا .

إن الفكرة الكبرى لغرائبية النص هنا توضح عمق المأساة الإنسانية والمحن الكبرى التي يواجهها الإنسان المستلب مرفودا بأسلوب نقدي لاذع للواقع المعيش ، يجسده الفم المملوء بالتراب وفي ذلك إلماح لحقيقة الحياة والفناء ،هذا وقد بدا الكاتب حريصا على خلق اشراقات الأمل بفتح العينين ونفض التراب والنهوض من على الأرض وتحدي الموت في سبيل كسر قيود الظلم والانتفاض على كل المظاهر السيئة التي خلفتها الحروب

---

[28] إغماض العينين : 39 ــ 40.

المقيتة ، هدف القاص من خلال ذلك كله إلهاب القارئ بغرائبية الحدث المحكي بمثيرات أسلوبية .

منتهى المجموعة ( لا زيارات للغرباء) ، عنوان يقدح شرارة الشعرية ليضعنا على أعتاب التخييل والتحليق في فضاء الإبداع والتفتيق عن خبايا الجمالية .

يلجأ القاص إلى توظيف تقنية السرد الذاتي ليكشف عن طيات نفسه يعريها بصدق ، يفضح نياتها متخذا من نفسه ومن غيره موضوعا لسرده يحكي عن نفسه وعمّا يمت إليه بصلة من مقربيه ( أخيه ، والده ، ابنه، أخته ، صديقه، ..) ، في حياته ، فهو لا يجمل ماضيه وماضيهم بل يعريه ويكشفه بصدق ليقدمه كما هو لا كما يجب أن يكون وهذا ما يتجسد في هذه القصة ، إذ يتناوب السرد صديقان يتراسلان ويستذكران ماضيهما وعلاقتهما معا ، فالسرد هنا ( ذاتي ) ، والراوي يعرف بقدر الشخصية لأنه هو الشخصية ومركز الأخبار السردي ووجهة النظر ( مصاحبة أو مجاورة ) أو ( الرؤية مع ) أو التبئير الداخلي ) ، والراوي بممارسته لهذه التقنية (( يتمكن من ممارسة لعبة فنية تخوله الحضور وتسمح له بالتدخل والتحليل بشكل يولّد الإقناع ))[29] ، وهذه اللعبة الفنية تجسد الرؤية المصاحبة كما يسميها (تودوروف) ، بوصفها رؤية تنطلق من أسلوب السرد الذاتي كما بينا سابقا .

وهذا السرد ينفتح على الضمائر المتعددة مع وحدة المرجع ، فقد يستخدم الكاتب ضمير المتكلم أو المخاطب وهو يقصد نفسه أو (نحن )

---

[29] تقنيات السرد الروائي عند غادة السمان ، فيصل غازي النعيمي : 96.

بطريقة اعترافية على طريق السيرة الذاتية [30] ، بمعنى أن كل معلومة سردية أو كل سر من الأسرار المسرودة تغتدي مصاحبة مع ( أنا الراوي ) ، إذ تسمح له بالسرد في الزمن الحاضر الذي كأنه الماضي ومع السرد تنهض مسافة زمنية هي مسافة التحول بين ما كان وما غدا عليه ، انطلاقا من المسافة التي (( تنهض عليها الذاكرة وتسمح بإعادة النظر والنقد والتقييم ))[31] لحياته الماضية فيكشف فيها أشياء لم تكن تخطر على باله من قبل فيتوهم بإقناع نفسه والآخرين (( مستعينا بهذا الضمير الإيهامي ومحاولا إقناعنا من ثم بواقعية ما مرّ به )) [32]، إذ يمثل ضمير ( الأنا ) في النص السردي الأول : (( خفق قلبي ذات يوم في أحد شوارع المدينة عندما أصبح أحدهم قبالتي كان يشبهك ، انتظرت أن يمرّ لكي أتأكد أنه ليس أنت ، ثم اتكأت على جدار قريب وتنفست بعمق ، كان خوفي عظيما أن أفقدك هناك لأجدك هنا )) [33]، عمد الراوي إلى أسلوب السرد المباشر وبدأ يروي بضمير (الأنا ) ليكشف عن طيات نفسه للمتلقي ولتسجيل ذكرياته كاشفا عن حالته وتوجسه النفسي وارتباط الشخصية بالماضي وتأثره به ، ويفصح عن معاناته ورؤاه وهواجسه ، فضمير الأنا يتمتع بقدرة الإحالة على الذات المتكلمة ــ ذات الراوي الشخصية ــ بسبب تماهيهما ، ومن سرده الذاتي بضمير المتكلم قوله : (( سأرسل لك صورة

---

[30] ينظر : تقنيات السربين النظرية والتطبيق ، الدكتورة آمنة يوسف : 35.

[31] ينظر : تقنيات السرد الروائي ( مرجع سابق) : 95.

[32] تقنيات السرد بين النظري والتطبيق :38

[33] إغماض العينين : 92.

عائلية في رسالة قادمة ، لقد ذكرتني عبر طلبك الجميل بأننا لم نلتقط صورة ، أنا وبتول وسمية منذ أن سافرنا عدا صور المعاملات الرسمية )) [34].

ومن ثم يعود السرد إلى الوراء عبر تقنية الاسترجاع (flash back) ، من خلال استرجاعات الشخصية أو الراوي الشخصية قوله : (( أفكر في كتابة قصة أخرى عن المعقل ، ما يلح عليّ منه اسم بطلها : عبد الكريم بدر ، ارتسم أمامي من دون أن أبحث عنه ، كما لو كان منتظرا في جانب ما من ذهني وما أن بدأت خيوط الحكاية تنتظم حتى أخذ يضيء ليذكرني بنفسه ، ربما كان قد أضاء قبل انتظامها ، لكن لا يمكنني القول بأنني سأكتب القصة استجابة لحضور الاسم ولقوة إلحاحه ، فلم يسبق لي أن كتبت قصة على هذا النحو، ... ))[35] . من اللافت للانتباه هنا أن الكاتب يستخدم ما وراء السرد في قصة قصيرة حين يجعل الشخصية تكتب قصة داخل قصة وهذا لعمري تطور في مجال القصة القصيرة لم نألفه لدى القصاصين العراقيين ما خلا الروائيين .

إن أهم ما يميز هذه القصة الإسترجاعات الزمنية ، فالراوي مرة يسرد عن الحاضر وأخرى يعود إلى الماضي مسترجعا ما كان بينه وبين صديقه أو ما كان فيه من ذكريات بيته القديم والزقاق والرائحة وابنة الجيران التي يتلهف لرؤيتها ، وهناك تحولات في الأمكنة فهو مرة في العراق وأخرى في ليبيا وثالثة في دولة أوربية ، ولا شك في أن الكاتب

---

(34) م . ن : 93.

(35) م . ن : 93 ــ 94.

عندما ينتقي مكانا لإحداثه فإنه حريص على أن يكون لهذا الفضاء أثر نفسي ( سيكولوجي ) يتناسب والمضمون الدلالي للنص، فالمكان (( إذن مهما بدا محايدا ، فإنه يثير قدرا من المشاعر في نفس المتعامل معه ، فيكتسب منذ رؤيته بعدا نفسيا يختلف من مكان لآخر ، ويختلف انعكاس المكان الواحد من شخص لآخر ، إضافة إلى وجود نسق من الأمكنة الموضوعية ترتبط مسبقا بنسق من الحالات النفسية يصل بعضها إلى الشكل المرضي ( ......) فلكل مكان بعده النفسي سواء أتخذ البعد شكلا مُرضيا أو غير مُرضٍ ... ))[36]، ويتجلى احتفاء القاص بالمكان عميقا حين يكشف عن ولعه بمدينته البصرة التي بسطت هيمنتها على فضاء النصوص بحضورها الفاعل ، إذ جسدت تجارب حسية لها عمق ومساحة وزوايا نظر ، وقد كان لحضورها أبعاد نفسية واجتماعية وأيدلوجية وفي أحيان كثيرة يكون الإلحاح عليها أثرا في ترسيخ فكرة التشظي والانهمار النفسي وعجز الإنسان عن إدراك حالات تحول الطبائع وتقلبات الذات أمام مجريات الحياة وهذا ما عبرت عنه القصص صراحة وضمنا .

وقد يضعنا الراوي ضمن مسارب خاصة تختزن في سياقها الشديد التكثيف فكرة ما تقبع في إحدى حجرات الذاكرة وزوايا الباطن ، وهذا ما نستشفه من محاورة الراوي لنفسه وكيفية وصفه لمشاعره تجاه منحوتة لجواد سليم (( أشعر أنني فرح ، رغم أن لا شيء يدعو لذلك . أتذكر منحوتة لجواد سليم .. امرأة خصبة العري ، يمناها مرفوعة ، منها يتدلى قلب فاتن الاستدارة ، ولأن المسافة بين القلب والذراع يوحدها خيط شفيف

---

[36] قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر ، صلاح صالح : 55.

لم أكن أتصور القلب مرتفعا إلى الذراع .... )) [37] ، إن هذا الاستذكار للمنحوتة والدخول في أعماقها ووصف ما يحسه تجاهها يعبر عن مثالية هذا الراوي أو حرمانه على ما أظن من جسد المرأة ويجسد رغبته العارمة فيه .

يشخص المحكي في نصوص لؤي حمزة عباس تجربة الحيف الإنساني وإشكالية القدر ووحشية الموت المصنع ، يفصح عن محنة الذات والمصير سواء أكان فرديا أم جماعيا ، محنة الذات المستلبة وعجزها عن مقارعة الكارثة أو إمكانية استيعابها أو حتى فهمها ؛ لأنها تفوق في عتوها مستوى التحمل والإدراك ، بيد أن اشراقات الأمل لم تكن بغائبة عن خيال الكاتب في محاولته لالتقاط إشعاعات الضوء غير المضبب ليعيد للذات توازنها المفقود ولا سيما حين يتقاطع الشعور واللا شعور فلا حياة للأخير وإن تسيّد في آن ما ، فلا بد للصبح من أن يتنفس أجواء الحياة الحرة في بلد آمن مطمئن يسود فيه التآخي والمحبة والاحترام.

---

[37] إغماض العينين : 95 .

**الخاتمــة : ـــ**

يمكننا تلخيص أهم النتائج والملاحظات العلمية التي قد تتخذ طابعا إشكاليا لارتهانها بطبيعة الأدب المتموجة فهو ينأى عن الجمود والثبات ، لذا فلا ندّعي أن قراءتنا هذه نهائية إذ يبقى البحث خاضعا لتعدد القراءات وتنوع المناهج والرؤى ، ولعلّ أبرز النتائج التي توصلنا إليها ، الآتي :

(1) إغماض العينين مجموعة قصصية مملوءة بالظواهر الفنية والمزايا الفريدة والسمات الأسلوبية التي لا يتسع صدر هذا البحث لاستيعابها لكثرتها إلا إننا توقفنا عند الظواهر التي يمكن لأي قارئ حصيف أن يلتقطها بيسر بسبب هيمنتها على فضاءات النصوص .

(2) إن إستراتيجية القراءة والتأويل هي السبيل الملائم لكشف المحمولات الدلالية التي تنهض بها النصوص ، ولا شك في أن السياق الحاضن لها هو الذي يحيلنا على فك شفرات النص الدلالية .

(3) يتحدد السرد بقلم الأديب الحاذق وأسلوبه الخلاق الذي يؤرخ لحقبة زمنية شديدة العتمة عاشها الإنسان العراقي كاشفا عن طرائق تفكيره وطبيعة تعايشه مع الغير ، يحيل السرد فيها على أزمنة تاريخية محددة وإن لم يركّز الكاتب فيها على الطابع الوثائقي فهو لا يفصح عن تواريخها علنا بل يؤرخ للكارثة الإنسانية وتداعياتها الدامية .

(4) ارتهان قصص المجموعة بواقع تستمد نسغها منه وتتخذه ركيزة قالبها السردي إذ تتواشج معه بعلائق تفاعلية تعكس تجارب معيشة لكنها ما تلبث أن تنسحب منه بإعادة تشكيله على وفق قوانين الجنس الأدبي وفاعلية الإبداع القولي متخذة من اللغة منطلقها الأساسي وصولا إلى الجماليات المرجوة .

(5) أنبنت قصص المجموعة على نوع من التلاحم والانتظام تفضي جميعا إلى تمركز بعد دلالي يغلب على باقي المستويات الأخرى ، إذ نجد تسّيد النسق الواقعي في أغلبها حيث يتبأر الحكي حول ثيمة الموت التي تخيم على سطح النصوص .

(6) تتمفصل المحكيات إلى ما هو مركزي رئيس وفرعي جزئي تتشابك بعضها مع بعض وترتبط ضمن متوالية كبرى ثم تنتظم في إطار علاقة التجاور والتناسل الذاتي .

(7) أثمر المناخ الفكري الذي ينهل منه الكاتب معطياته المعرفية وعمق ثقافته المتكاثفة عن ثمار ناضجة جسدتها نماذجه القصصية في هذه المجموعة المتميزة وعيا وإبداعا .

(8) أستطاع الكاتب أن يوظف تقنيات السرد بنوعيه ( الموضوعي ) مستخدما فيه ضمير الغائب بوصفه الوسيلة للاستيلاء على المتلقي بالطريقة التي يرغب هو بها ، و( السرد الذاتي ) ليكشف عن طيات نفسه يعريها بصدق ، متخذا من نفسه ومن غيره موضوعا لسرده ، يقدمه كما هو لا كما يجب أن يكون ، وهو بهذا يمارس لعبة فنية بغية الإقناع .

(9) لجوء القاص إلى توظيف العجائبية التي تنتمي إلى الفضاء السوريالي لخلق جو ( فانتازماغوري) هدف من خلاله إلهاب القارئ بغرائبية الحدث المحكي بمثيرات أسلوبية وشعرية .

(10) يشخص المحكي في نصوص المبدع لؤي حمزة عباس تجربة الحيف الإنساني وإشكالية القدر التي تشي عن محنة الذات والمصير سواء أكان فرديا أم جماعيا .

(11) بدا الكاتب حريصا على انبثاق اشراقات الأمل لتجاوز ثقل المحنة في محاولة لالتقاط إشعاعات الضوء غير المضبب ليعيد للذات توازنها المفقود .

(12) استطاع الكاتب أن يستخدم ما وراء السرد في قصة قصيرة حين يجعل الشخصية تكتب قصة داخل قصته وهذا لعمري تطور لم نألفه لدى القصاصين العراقيين ما خلا الروائيين .

**المصـــــادر : ــ**


(1) إضاءات سرديّة ، قراءات في نصوص عراقيّة ، الدكتور فاضل عبود التميمي ، المطبعة المركزية في جامعة ديالى ، 2010م .

(2) إغماض العينين ، لؤي حمزة عباس ، دار أزمنة للنشر والتوزيع عمّان ط1، 2008م .

(3) إغماض العينين المميت ، دراسات في أدب لؤي حمزة عباس القصصي ، حسين سرمك حسن ، دار الينابيع ، سورية ــ دمشق ، ط1، 2010م .

(4) بنية الجسد ودينامية المعنى الداخلي في ( إغماض العينين ) ل ــ لؤي حمزة عباس ، رياض عبد الواحد ، مجلة المحلاج ، بحث انترنيت .

(5) بنية النص الفنتازماغوري في إغماض العينين للؤي حمزة عباس ، عدنان حسين أحمد ، مجلة المحلاج ، بحث انترنيت .

(6) تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ــ لبنان ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1993م .

(7) تشريح النص ، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، عبد الله محمد الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ــ المغرب ، ط1، 2006م .

(8) تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق ، الدكتورة آمنة يوسف ، دار الحكمة ، صنعاء ، 1996م .

(9) تقنيات السرد الروائي عند غادة السمان ، فيصل غازي النعيمي ، ( رسالة ماجستير ) كلية التربية ــ جامعة الموصل ، بإشراف الدكتور إبراهيم جنداري ، 1999م .

(10) التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف ، عبد الحميد المحادين ، مجلة البحرين الثقافية ع 18، لسنة 1998م .

(11) السيموطيقيا والعنونة ، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج25 ، ع3 1997م .

(12) شروح سقط الزند ، لعدة شراح ، القسم الثالث ، القاهرة ، 1945م .

(13) شعرية الرواية الفانتاستيكية ، شعيب حليفي ، المجلس الأعلى للثقافة ــ مصر ــ ط1، 1997م .

(14) عودة إلى خطاب الحكاية ، جيرار جنيت ، ترجمة ، محمد معتصم ، المركز الثقافي العربي ــ المغرب ــ ط 1 ،2000م .

(15)في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة ، خالد حسين ، دار التكوين ، دمشق 2007م .
(16) في نظرية الوصف الروائي ، الدكتور نجوى الرياحي القسنطيني ، دار الفارابي ، بيروت ــ لبنان ، ط1، 2008م .
(17)قراءات في الأدب والنقد ، الدكتور شجاع العاني ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط1، 2000م .
(18) قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح ، دار شرقيات للنشرــ مصر ــ ط1 ،1997م .
(19) مدخل إلى الأدب العجائبي ، تودوروف ، ترجمة ، الصديق بو علام ، دار شرقيات ، ط1، 1994م .
(20)مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر ( دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد ) محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، دار الانتشار العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط1، 2008م .
(21) المصطلح السردي ، جيرار برنتس ، ترجمة ، عابد خازندار ، المجلس الأعلى للثقافة ــ مصر ــ 2003م .
(22)المغامرة السردية ، جماليات التشكيل القصصي ، رؤية فنية في مدونة فرج ياسين القصصية ، سوسن هادي جعفر ، دار الثقافة والإعلام ، الشارقة ،2010م.
(23)هيرمينوطيقا المحكي ، النسق والكاوس في الرواية العربية ، محمد بو عزة ، دار الانتشار العربي ، بيروت ــ لبنان ــ ط 1، 2007م .

# الأَعــراب
# وأثرهم في النحو واللغة
# دراسة وصفية

**الدكتور حسين محيسن البكري**
كلية التربية للبنات– جامعة بغداد

**الملخــص :**

**عوَل علماء العربية الأوائل كالخليل والكسائي ويونس وسيبويه والفراء على الكلام الفصيح من أشعار الأعراب وأقوالهم في وضع أصول العربية ومقاييسها ، فضلا عن الكشف عن دلالات المفردات وأبنيتها الصرفية 0**

**وتعد البادية مهد الفصاحة والصفاء ، لعدم اختلاط سكانها بمن جاورهم من الأقوام كالفرس والروم ، وعليه خرج علماء العربية إلى البادية يطلبون اللغة من الأعراب فكان لهم عظيم الأثر في الدرس النحوي واللغوي ويظهر هذا واضحا في كتاب العين وكتاب سيبويه ، إذ عدت أشعار الأعراب وأقوالهم الشاهد الأساس بعد القران الكريم في وضع أصول العربية ومقاييسها 0 وهذا البحث يرصد طائفة من الشواهد الشعرية والنثرية لأعراب فصحاء في تأصيل القاعدة النحوية والأبنية الصرفية فضلا عن بعض الظواهر الصوتية والدلالية 0**

## المقدمـــة :

تحرى علماء العربية الأوائل كالخليل والكسائي ويونس وسيبويه والفراء الفصاحة في جمع اللغة في أطوارها الأولى ، ووضع أصول النحو العربي ومقاييسه ، وتفسير المفردات وبيان بنائها الصرفي ، فلم يجدوا بدا من الخروج إلى البادية ينابيع تلك الفصاحة والسماع عن فصحائها وتدوين تلك المسموعات في قراطيسهم فضلا عما يحفظونه عن ظهر قلب 0 فقد خرج الخليل الى البادية وسمع الكثير عنهم ثم عاد الى البصرة ومعه هذا الكنز اللغوي فأفرغه في كتابه العين 0 وعندما سأله الكسائي يوما من أين علمك هذا ؟ قال : من بوادي الحجاز ، ونجد ، وتهامة 0 فخرج الكسائي إلى البادية يسمع عن الأعراب فروى الكثير عنهم حتى قيل : عاد وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر . وخرج الأزهري إلى البادية أيضا ومكث فيها أربعين عاما يسمع عن الفصحاء ويحفظ كل ما هو فصيح فأفرغه في معجمه تهذيب اللغة 0 وعليه فان الأعراب الفصحاء اثروا بما صنفه علماء العربية تأثيرا واضحا من خلال أشعارهم وأقوالهم ، فضلا عن آرائهم النحوية ،إذ كان عدد منهم نحاة فاخذ عنهم النحو أهل البصرة وأهل الكوفة 0

وتناول هذا البحث عددا من المسائل النحوية والدلالية والصرفية كالتقديم والتأخير والحذف ودلالات حروف المعاني ونيابة حروف المعاني بعضها عن بعض ، سبقها مدخل ذكرت فيه معنى الأعراب والعرب واشتقاقهما والموازنة بينهما ،وختم البحث بأهم النتائج 0

أما المصادر فكانت متنوعة إذ اشتملت على كتب اللغة ، والنحو ، والتراجم ، والحديث والشعر ، والتفسير 0

ختاما فإني أضع هذا البحث أمام الدارسين عسى إن ينتفعوا به في دراساتهم 0

الأعراب والعرب لفظان من الجذر الثلاثي ( عرب) بمعنى بيَّن وأفصح ، يقال : أعرب الرجل في كلامه ، أبان وأفصح ، ومنه الحديث : ( الثيبُ يُعربُ عنها لسانُها ) [1] والعُربُ بضم العين وسكون الراء ، والعَرَبُ ، بفتح العين والراء (جيل من الناس خلاف العجم ، ومعناهما واحد ، مثل العُجم والعجم [2]0 والأعراب هم سكان البادية ، واحده م أعرابي ، بإضافة ياء النسب إلى أعراب ، فليس له واحد من لفظه فيفرق بين المفرد والجمع بياء النسبة ، وهو اسم جنس جمعي 0 قال سيبويه : (000 وتقول في الأعراب : أعرابيٌ ؛ لأنه ليس له واحد على هذا المعنى ، ألا ترى أنّك تقول : العرب ، فلا يكون على هذا المعنى ؟ فهذا يقويه ) [3]0والاعرابي البدوي يكون ( صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلأ ، وتتبع مساقط الغيث سواء كان من العرب أو من مواليهم ) [4]0 فالأعراب هم الفصحاء الخلص ، ذوو لغة صافية ونقية بعيدة عن الفساد واللحن 0 ولم يكن الأعراب شعراء ورواة للشعر فحسب وإنما كان منهم

---

[1] ينظر غريب الحديث لابن الجوزي 77/2 . والنهاية 421/3 .

[2] اللسان (عرب) 1/ 586 ، وينظر المصباح المنير ( عرب) 400/2 .

[3] الكتاب 3/ 379 ، وينظر اللسان ( عرب) 1/ 586 .

[4] اللسان (عرب) 586/1 .

نحاة كعمار بن عقيل ، فأخذ عنهم أهل المصرين ؛ البصرة والكوفة كما كن عدد منهم رواة للحديث ، وقراء ، وعلماء مشاهير 0وشاع بين المستشرقين والعامة أن الأعراب منافقون وكافرون مستندين إلى قوله تعالى ( الأعراب أشد كفرا ونفاقا ) [5]وهؤلاء في الحقيقة قوم من بوادي العرب قدموا على النبي –صلى الله عليه وسلم – في المدينة طمعا في الصدقات ، لا رغبة في الإسلام ) فوصفهم الله تعالى بالكفر والنفاق 0 فهم يظهرون الإيمان وليسوا بمؤمنين لقوله تعالى(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا )[6] 0

العرب واحدها عربي كما إن الأعراب واحدها أعرابي 0 وقيل: سموا عربا ( لان البلاد التي سكنوها تسمى العربات )[7] 0

وهذا القول غير مسلم به ، فالعرب سموا عربا لكثرة تنقلهم من موضع إلى آخر لتتبع مساقط الغيث والنبات لرعي أنعامهم وقوتهم ومعيشتهم 0 والعرب إما عاربة وإما مستعربة ، فالعاربة هم الخلص ، والمستعربة ليسوا بعرب خلص [8]، فالعربي كما حكى الأزهري إذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن فصيحا وجمعه العرب [9]، وهذا بخلاف

---

[5] سورة التوبة / 97 .

[6] سورة الحجرات / 14 .

[7] المصباح المنير ( عرب) 400/2 .

[8] ينظر اللسان ( عرب) 1/ 586 .

[9] ينظر: م0 ن : (عرب) 586/1 .

الأعرابي وهو الفصيح القح الذي سكن وسط الجزيرة العربية ولم يتصل بالأعاجم ممن عاشوا في أطراف الجزيرة . ويقال ( العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان وهو اللسان القديم ، والعرب المستعربة هم الذين تكلموا بلسان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وهي لغات الحجاز وما والاها )[10] 0

لقد كانت الجزيرة العربية المنبع الصافي النقي للغة ، فلم يخالطها الفساد واللحن ، وعليه فقد كان علماء العربية الأوائل كالخليل والكسائي يخرجون إلى البادية لسماع اللغة من أفواه فصحاء الأعراب وتدوين مسموعاتهم في القراطيس فضلا عما حفظوه ،( فالخليل مع براعته وعظمته وذكائه اعتمد في كل ما جمعه من اللغة في مؤلفه العين وفي كل ما بنى عليه قواعد النحو واللغة على المسموع عن الأعراب وقد سأله يوما الكسائي من أين علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة [11] فكان قول الخليل مشجعا للكسائي إذ حذا حذوه، فقد خرج إلى البادية ليسمع من أفواه فصحاء الأعراب فعاد إلى بلده ومعه كنز هائل من مفردات اللغة وتراكيبها من أشعار وأقوال ،حتى قيل عنه بأنه أنفد خمس عشرة قنينة حبر غير ما حفظه [12]0 فعلماء العربية لم يسمعوا عن أهل الحضر أو المدر 0 قال ابن جني مبينا علة ذلك في باب (ترك الأخذ عن أهل المدر كما اخذ عن أهل الوبر) قال فيه (وعلة امتناع ذلك ما عرض

---

[10] المصباح المنير ( عرب) 400/2 .

[11] نزهة الألباء / 43 ، وينظر الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه / 131.

[12] الخصائص 2/ 5 .

للغات الحاضرة ، وأهل المدر من الاختلال ، والفساد ، والخطل ، ولو علم أن أهل مدينة ما باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم ، كما يؤخذ عن أهل الوبر 0 وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل الوبر من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك ما يرد عنها ، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا ، وان نحن انسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ، ويقدح فيه وينال ويغض منه ) [13] 0 وقال أيضا : ( قد كان طرأ علينا احد من يدعي الفصاحة البدوية ، ويتباعد عن الصنعة الحضرية فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له ، وميزناه تمييزا حسن في النفوس موقعه ) [14]0

وقد أخذ علماء العربية اللغة ممن وفد إليهم من الأعراب النحاة والشعراء والرواة ،فقد روي أن أبا علي الحرمازي الأعرابي قدم البصرة واستقر فيها فسمع عنه العلماء ، وكان راوية شاعرا [15] 0 وفي طبقات النحويين واللغويين أن بعض أعراب مضر مثل عقيل وقشير نزلوا البصرة في محل أصابهم ،فتعلم عندهم أبو زيد الأنصاري [16] 0 وفي الفهرس أن ابن أبي صبح الأعرابي نزل بغداد وكان شاعرا فصيحا فاخذ عنه العلماء

---

[13] م0 ن : 7/2 .

[14] م0 ن : 2/ 7 .

[15] ينظر الفهرست / 76 .

[16] ينظر: طبقات النحويين واللغويين /213 وما بعدها .

ومات في بغداد [17]0 وكان أبو البيداء الأعرابي شاعرا نزل البصرة وكان يعلم الصبيان باجرة واخذ عنه العلماء [18].

وكانت تعقد مجالس للمناظرات النحوية والصرفية يحضرها الأعراب كما قال السلامي .: ( حضر مجلس الكسائي . أعرابي وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك ، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتدِ إلى ما يقولون ففارقهم وأنشد :[19]

قد كان أخذهم في النحو يعجبني    حتى تعاطوا كلامَ الزنج والرومِ

بمفعل فاعل لا طاب من كلم    كأنهُ زجــلُ الغربانِ والبـــومِ

تركــتُ نحوهـــم والله يعصمني    من التقحّـــمِ في تلك الجراثيـمِ

ومن المناظرات النحوية المناظرة التي عقدت في حضرة خالد بن برمك المسماة بالمسألة الزنبورية التي كانت بين الكسائي وسيبويه وحضرها أعراب الحطمية وهي ( كنت أظن أن العقرب أشد لُسعةً من الزنبور فإذا هو إياها ، أو فإذا هو هي) .

فذهب سيبويه إلى أنه لا يجوز أن يقال : ( فإذا هو إياها ) بل يجب أن يقال : ( فإذا هو هي ) ، أما الكسائي فقد ذهب إلى انه يجب أن يقال : فإذا هو إياها ) وقد انتصر هؤلاء الأعراب للكسائي [20]0

---

[17] ينظر الفهرست / 77 .

[18] ينظر : م0 ن : 70 .

[19] ينظر : أخبار النحويين البصريين / 60 .

[20] ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ( م99) 2/ 702 .

مما تقدم يظهر جليا الأثر الكبير لفصحاء الأعراب في النحو العربي والتصريف والدلالة اللغوية ، بمعنى أن أقوال الفصحاء من أعراب البادية كانوا رافدا ثرا من روافد ما صنفه علماء العربية الأوائل في علوم العربية 0 وساعرض عددا من المسائل اللغوية لبيان هذه الحقيقة 0

- كان سيبويه ينقل كثيرا من أقوال الأعراب الفصحاء في كتابه في تقويم القاعدة النحوية، والأبنية الصرفية ، ودلالات المفردات منها ما رواه عن بعضهم في حذف الجار والمجرور إذا دل عليه دليل ، إذ قال: ( .. ومثل ذلك قول الشاعر، وهو بعض الأعراب :

إنَّ الكريمَ وأبيك يَعتمِلْ إنْ لم يجد يوما على مَنْ يَتَّكلْ

يريد : يتكل عليه ، ولكنه حذف ، وهذا قول الخليل)[21]

- كما روى عن أبي مُرهِب في باب نصب المصدر بإضمار فعل متروك إظهاره في معنى التعجب ، قال : ( ومما ينتصب فيه المصدر على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، ولكنه في معنى التعجب قولك كَرَما وصَلَفا ، كأنه قال ألزمك الله و أدام لك كَرَما وأُلزِمتَ صَلَفاَ [22] ولكنهم خزلوا الفعل ههنا كما خزلوه في الأول ، لأنه صار بدلا من قولك : أكرم به ، وأصلف به ، كما انتصب مرحبا ، وقلت (لَكَ) كما قلتَ (بِكَ) بعد مرحبا ، لتبين مَنْ تعني ، فصار بدلا في

---

[21] الكتاب : 3/81-82 .

[22] الصلف : مجاوزة القدر في الظرف والبراعة .

اللفظ من رَحُبَتْ بلادكَ . وسمعتُ أعرابيا وهو أبو مُرهِب يقول كَرَما ، وطول أنفٍ ، أي أكرم بكَ ، وأطْول بأنفك)[23]. فقد عضد سيبويه القاعدة بقول الأعرابي أبي مُرهب لتأكيدها وتقويمها 0 كما روى عن أبي مهدية الأعرابي بيتا في النسب إلى ما هو محذوف اللام نحو عِضة ، وشفة ، وسنة ، قال : (تقول في عضة عضويٌّ ، على قول الشاعر : [24]

هذا طريقٌ يأزمُ المازما وعِضواتٌ تقطعُ اللهازِما

وهذا يعني أن ما كان محذوف اللام ترد هذه اللام إليه عند جمع المؤنث السالم وكذلك عند النسب ، فنقول : عضويٌّ ، وشفويُ ، وسنويٌّ ، لأن جمع المؤنث السالم ، والنسب يجريان مجرى واحد 0 فقد بنى على قول هذا الأعرابي قاعدة نحوية0 وكذلك روى عن أعراب آخرين كابي حرام العكلي ، وأبي ثروان العكلي ،وأبي السوار الغنوي ، وأبي الجراح ، وأبي الدينار ، وأبي زياد وغيرهم 0

- وفي ابهام العدد من الليالي والأيام حكى الكسائي عن أبي الجراح الأعرابي قوله :

---

[23] الكتاب 328/1.

[24] الكتاب 3/ 360 ، البيت في الخصائص 1/ 137 والإنصاف 315/2 وشرح ابن يعيش38/5 ، واللسان (أزم ) 0 والبيت رواه الأصمعي عن أبي مهدية الأعرابي ذكر ذلك محقق الخصائص 173/2.

( صِمنا من الشهر خمسا ) [25] والوجه ان يقال ( خمسة ) لان الذي يصام الأيام لا الليالي ، والأيام مذكرة ، ولكنه غلب الليالي على الأيام 0 وعليه جاء قول الشاعر[26]:

وإلا فسيري حيثُما سار راكبٌ تيمَّمَ خمسا ليس في سيرهِ تيمُ

أراد : خمسة أيام 0

وكقوله تعالى : ( والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ) [27]0 أي : وعشرة أيام 0

ويبدو أنَ هذه سنة لغوية اعتادها فصحاء العرب في كلامهم 0

- وفي نعم ويئس خلاف بين النحويين هل هما فعلان أو اسمان ؟ فقد ذهب البصريون إلى أنهما فعلان بدليل اتصال الضمائر بهما ، ووافقهم الكوفيون الا الفراء إذ ذهب إلى أنهما اسمان محتجا بما حكاه عن أعرابي او اتصالهما بالضمائر بهما بأنه بشروه بمولوده ، فقيل له : نعم المولودة مولودتك ، فقال : (واللهِ ما هي بنعم المولودة ، نصرها بكاء ،وبِرُها سرقةٌ ) [28] 0 مخالفا في هذا الرأي ما ذهب إليه شيخه الكسائي من أنهما فعلان متابعا في ذلك البصريين 0 وما ذهب إليه البصريون هو الصواب ، وعليه خرج قول الأعرابي على جعل

---

[25] معاني القران / 89 ، وينظر غريب الحديث لابن سلام 2/ 60 وشرح جمل الزجاجي30/2 .

[26] شرح جمل الزجاجي 30/2 ، واللسان ( تيم) ، والبيت بلا عزو .

[27] سورة البقرة /234 .

[28] النحو العربي مذاهبه وتيسيره /47 .

جملة نعم وبئس مفعولين لقول محذوف واقع صفة لموصوف محذوف وهو المجرور بالباء ، والتقدير : ما هي بمولودةِ مقولِ فيها نعم المولودة ، وأقيم المعمول مقامهما مع بقاء نعم وبئس على فعليتهما [29]0

- كما أجاز الفراء تكرار المضاف والمضاف إليه واحد في نحو : ( قطع اللهُ يدَ ورجلَ من قالها ) [30] 0محتجا بقول أبي ثروان العكلي : ( قطع اللهُ الغداةَ يدَ ورجلَ من قالها ) ، قال : ( وسمعت أبا ثروان العكلي يقول : ( قطع اللهُ الغداة يدَ ورجلَ من قالها ) يجوز هذا في الشيئين يصطحبان ، مثل اليد والرجل ، ومثل قوله : عندي نصفُ أو ربعُ درهم _، وجئتك قبلَ او بعدَ العصرِ 0 ولا يجوز في الشيئين يتباعدان ، مثل الدار والغلام ، فلا يجيزون : اشتريتُ دارَ أو غلامَ زيدٍ 00وما أشبهه ) [31]0 فالفراء سمع عن أبي ثروان وبنى عليه رأيه ، وهذا ما نجده في كل آرائه ،يسمع عن الأعراب الفصحاء الذين يثق بهم ثم يبني عليه آرائه .

وما ذهب إليه الفراء مخالف للبصريين ؛ فإنهم يقدرون محذوفا في مثل هذه العبارات 0 فاصل : ( قطع الله يد ورجل من قالها ) : قطع الله يد من قالها ، ورجل من قالها ، أي يحذف المضاف إليه ويبقى المضاف كحاله 0 قال ابن عقيل : ( يحذف المضاف إليه ويبقى المضاف كحاله ،

---

[29] ينظر الإنصاف ( 14) 61/1 وينظر شرح ابن عقيل 3/ 191 .

[30] معاني القران 2/ 322 وينظر المقتضب 4/ 227 والنحو الكوفي 48-49 .

[31] شرح ابن عقيل 3/ 79 .

فيحذفون تنوينه ، وأكثر ما يكون ذلك إذا عطف على المضاف اسم مضاف إلى مثل المحذوف من الاسم الأول ،كقولهم : (قطع الله يد ورجل من قالها ) ، التقدير : قطع الله يد من قالها ورجل من قالها ، فحذف ما أضيف إليه ( يد) وهو (من قالها) لدلالة ما أضيف إليه (رجل) عليه [32]

وهذا التأويل ما ذهب إليه سيبويه [33] 0 وعندي ما ذهب إليه الفراء هو الأوفق ؛ لأننا بموجبه لا نحتاج إلى التأويل أو التقدير .

- كما أجاز الفراء إعراب صدر العدد المركب بإضافته إلى عشر نحو : جاء احدُ عشرِك ، عند نوي الأسماء لا العدد وذلك في الشعر ، قال : ( ولو نويت أن تضيف الخمسة إلى العشر في شعر لجاز ، فقلت : ما رأيت خمسةَ عشرِك قط خيرا منها ؛ لأنك نويت الأسماء فلم تنو العدد ) [34]0 وقد عضد رأيه هذا بما سمعه عن أبي ثروان العكلي وهو قوله :

كُلِفَ من عنائِهِ وشِقوتِه بنتَ ثمانيَ عشرَ من حجتِه [35] الأصل : ثمانيةَ عشرَ . 0 وتابع الدكتور مهدي المخزومي الفراء في رأيه في تجويز إعراب العدد المركب قياسا إذا أضيف استنادا إلى ما سمعه الفراء

---

[32] ينظر الكتاب 2/ 205 .

[33] معاني القران 1/ 347- 348 .

[34] م0ن : 1/ 347- 348 .

[35] ينظر مدرسة الكوفة / 140 وينظر شرح الأشموني 4/ 70 .

عن  أبي فقعس الأسدي ، وأبي الهيثم العقيلي : ما فعلت خمسةُ عشرِكَ ؟[36] .

ومن سنن العرب في كلامها إتباع الخفض الخفض إذا أشبهه ، قال أبو ثروان :

تريك سنةَ . وجهٍ غيرِ مقرفةٍ          ملساءَ ليس بها خالٌ ولا ندبُ

بجر (غير) إتباعا لوجه ، والقياس النصب على الاستثناء ، أو صفة لسنة 0 قال الفراء : ( .قلت لأبي ثروان وقد أنشدني هذا البيت بخفض (غير) : كيف تقول تريك سُنَةَ وجهِ غيرِمقرفةٍ ؟ قال : تريك سُنَةَ وجهٍ غيرَ مقرفةٍ 0 قلتُ لهُ : فأنشدني ، فخفض ( غير) ،  فأعدت القول عليه ، فقال ، وكان إنشاده على الخفض ) [37]0

الإتباع هو التوافق الصوتي بين الصوائت ، فاتبعوا الكسر الكسر ، واتبعوا الضم الضم ، واتبعوا الفتح الفتح  0 وكان فصحاء الأعراب حريصين على التوافق الصوتي بين الصوائت كما كانوا حريصين على هذا التوافق بين الصوامت في كلامهم 0

- وأجاز الفراء نصب الاسم على الاستثناء بعد  (إلا) عندما يكون الكلام منفيا في نحو: ما قام احدٌ إلا زيدا ، والمشهور أنه بدل من ( احد) وقد عضد قوله بما أنشده أبو ثروان العكلي ، قال : ( وأنشدني أبو ثروان :

ما كان منذُ تركنا أهل أسنمةٍ          إلا الوجيفَ لها رِعيٌ  وٌ لا علفُ

---

[36] معاني القران 2/ 9 .

[37] ينظر : م0 ن 1/ 122 .

ورفع غيرهُ ) [38]0 فقد نصب (الوجيف) على الاستثناء والكلام منفي0

قال : ( ومن العرب من يرفع ما تقدم في إلا على هذا التفسير ، أنشدونا :

با لثني أسفل من جَمّاءَ ليس لهُ        إلا بنيهِ وإلا عِرسَهُ شيَعُ

وينشد : إلا بنوه وإلا عِرسُهُ ) [39]0 يظهر من هذا أن الاسم

الواقع بعد، إلا يجوز فيه الوجهان : النصب على الاستثناء ، والرفع على البدل عندما يكون الكلام منفيا 0

والمشهور أنه بدل من متبوعه [40] 0

- وذهب الفراء إلى أن اللام بمعنى ( أن ) في نحو : أردتُ أن تذهبَ ، وأردتُ لتذهبَ لان اللام ، وأن تطلبان المستقبل ، ولا يصلحان الماضي ، قال : ( صلحت اللام في موضع أن في أمرتك ، وأردت ؛ لأنهما يطلبان المستقبل ، ولا يصلحان مع الماضي ، ألا أنك تقول : أمرتك أن تقوم ، ولا يصلح : أمرتك أن قمت ، فلما رأوا (أَنَّ) في غير هذين تكون للماضي والمستقيل واستوثقوا لمعنى المستقبل لان اللام في معنى كي [41]0

وعضد رأيه بقول أبي ثروان ، قال : ( وربما جمعوا بين ثلاثهن ، أنشدني أبو ثروان :

أردتُ لكيما لا تُرى لي عثرةٌ        ومن ذا الذي يُعطى الكمالَ فيكتملُ

---

[38] ينظر م0 ن 122/1 .

[39] ينظر شرح ابن عقيل 2/ 212 .

[40] معاني القران 183/1.

[41] م 0ن 1/ 183 ، وينظر معاني القران وإعرابه 2/ 42 .

فجمع بين اللام وبين كي ) [42]0 وعد الزجاج ما ذهب إليه الفـراء غلطا ، إذ لا يجيز أن تقوم لام الجر مقام (أن) وتؤدي معناها [43] لان ( ما كان في معنى أن دخلت عليه اللام ، تقول : جئتك لكي تفعل كذا وكذا ، وجئت لكي تفعل كذا وكذا وكذلك اللام في قوله ( يريد اللهُ ليبين لكم ) كاللام في (كي) المعنى أرادهُ اللهُ عز وجل للتبيين ) .[44]

- كما ذهب الفراء إلى أن كل بمعنى الاستفهام إذا تقدمت الكلام في نحو كلَ الناسِ أكرمتُ ، فهي بمعنى : هل أحد إلا أكرمت ، قال : ( ومما يشبه الاستفهام مما يرفع إذا تأخر عنه الفعل الذي يقع عليه قولهم : كل الناس ضربت ، وذلك أن ( كل) مثل معنى : هل احد إلا ضربت [45] وعضد رأيه بقول أبي ثروان :

وقالوا تعرَّفها المنازلُ من منى		وما كلُ من يغشى منى أنا عارفُ

برفع كل ، وذكر انه لم يسمع أحدا نصب ( كل ) [46]وانشده أبو الجراح الأعرابي

أرجزًا تريدُ أم قريضا		أم هكذا بينهما تقريضا

كلاهما أجده مستريضا

---

(42) معاني القران وإعرابه 2/ 42 .

(43) م0م 42/2 .

(44) معاني القران 1/ 101 .

(45) م 0 ن 202/1.

(46) م0ن 1/ 202 الرجز لحميد الأرقط كما في المخصص 10/ 132 والتاج (قرض ) وهو للأغلب العجلي كما في اللسان ( رجز ) .

فرفع كلا وبعدها أجد ، لان المعنى : ما منهما واحد إلا أجده هينا مستريضا [47]0

وهذا الذي ذهب إليه الفراء شاذ عند البصريين لا يعبأ به 0

- وذهب الفراء إلى أن أصل ( لكَنَا هو الله ربي ) [48]: لكن أنا هو اللهُ ، فخفف الهمزة ، فسقطت لالتقاء الساكنين ، وأدغموا النون في النون ، فصارت ( لكنَا ) ، معضدا هذا القول بما انشده أبو ثروان :

وترمينني بالطرفِ أي أنتَ مذنبُ وتقلينني لكنَ إياكِ لا أقلي [49]

وهو يريد : لكن أنا لا أقلي ، فترك الهمز 0والى مثل هذا قال الكسائي: ( سمعتُ بعض الأعراب يقول : إنَ قائمٌ ، يريد : إن أنا هو قائمٌ ، فترك الهمز و أدغم ) [50] 0 وهذا يعني أن ( لكنًا ) تقع في ثلاثة مقاطع صوتية ، طويل مفتوح ، وطويل مغلق ، وقصير : ل–ً. + ك–. ن + ن–ً. بتخفيف الهمزة والإدغام 0

ل – ً + ك – ن + ء – ّ + ن – ً بالهمز . ، فالذي حصل . . اسقاط المقطع الثالث وهو الهمزة وقاعدتها وفي تسهيل الهمزة في قوله تعالى : ( لا تقصص رؤياك على أخوتك ) [51] قال : ( وإذا تركت الهمزة من ( الرؤيا) قالوا الرويا طلبا للتخفيف ، وإذا كان من شأنهم تحويل

---

[47] سورة الكهف / 38 .

[48] معاني القران 2/ 67 – 68 .

[49] ( 50) م 0 ن 2/ 68 .

[50] م0 ن 2/ 68 .

[51] سورة يوسف / 5 .

الهمزة ، قالوا : لا تقصص رُيَّاك في الكلام ، فأما في القران فلا يجوز لمخالفة الكتاب ) [52] 0 وعضد رأيه بما انشده أبو الجراح :

لعرضٍ من الأعراض يُمسي حمامُهُ يُضحي على أفنانهِ الغين يهتفُ

أحبُ إلى قلبـي من الديـكِ رُيَّـةُ وبابٍ إذا ما مال للغلق يصرِفُ

أراد : رؤية ، فلما ترك الهمز وجاءت واو ساكنة بعدها ياء تحولتا ياء مشددة ، كما يقال : لويته ليًا، وكويته كيًا ، والأصل : كويا ولويا ، وإن أشرت إلى الضمة قلت : رُيَا ، فرفعت الراء ، فجائز [53] 0 وعلى هذا جمهور القراء 0

- وفي بناء ( عورة) ذكر أن جمهور القراء قرأوا ( عَورة ) بفتح العين وسكون الواو ، وان يعضهم قرأ ( عَوِرَة ) بكسر الواو على وزن ( فَعِلَة ) ، وفي كسر العين احتج بما انشده أبو ثروان :

لهُ الشدَّةُ الأولى إذا القَرنُ أعوِرا [54] 0 ومعنى اعور الشيء بدت منه عَورة ، وأعورَ الفارس إذا كان فيه موضع خلل للضرب 0

- وفسر الفراء المفردة ( اشتروا ) في قوله تعالى : ( بئسما اشتروا به أنفسهم )[55] بأنها بمعنى ابتاعوا ، والمفردة ( شروا) في قوله تعالى : ( وشروهُ بثمنٍ بخسٍ دِراهمَ معدودة ) [56] ، بأنها بمعنى باعوا ،

---

[52] معاني القران للفراء 1/ 348 .

[53] ينظر0 ن 348/1 – 349 ، وينظر ديوان الأدب 1/ 22 .

[54] معاني القران للفراء 362/2 .

[55] سورة البقرة / 90 .

[56] سورة يوسف / 20 .

قال : ( قوله : اشتروا : معناه والله اعلم : باعوا به أنفسهم ، وللعرب في ( شروا ، واشتروا ) مذهبان ، فالأكثر منهما أن يكون شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا 0 وربما جعلوهما في معنى باعوا ، وكذلك البيع ، يقال : بِعتُ الثوبَ ، على معنى أخرجته من يدي ، وبعته : اشتريته ، وهذه اللغة في تميم ، وربيعة ، سمعتُ أبا ثروان يقول لرجل : بِع لي تمرا بدرهم ، يريد : اشتَرِ لي ) [57] 0فالفراء سمع عن هذا الأعرابي في معنى ابتاع وبنى عليه رأيه في تفسير هاتين المفردتين 0 وهذا هو منهجه في كتابه 0

- وفي تفسير ( الداءة ) قال الزمخشري : ( داء الرجل يَداء داءا ، فهو داءٌ ، والمرأة داءة ، وتقديرهما فَعْلَ ، وفَعْلَةُ ) [58] 0 وعضد قوله يقول أعرابية :

كحِلني بما تُكحَلُ　　　　　بهِ العيونُ الداءة [59] 0

وعدً ( داء ) نظير (شاء ) في أن عينه حرف علة ولامه همزة أصلية ، غير منقلبة 0

وسأل أبو عبيدة أمَ الهيثم الأعرابية ، وقد وفدت إلى العراق وأهل اللغة في سبيل جمعها ، فذهب أبو عبيدة ومعه عدد من علماء العربية ليأخذوا عنها اللغة ، فلما دخلوا عليها وجدوها مريضة ، فقال لها أبو عبيدة : ممَ

---

(57) معاني القران 1/ 48 .

(58) الفائق في غريب الحديث 1/ 444 .

(59) م0ن : 1/ 444 .

علتك يا أم الهيثم ؟ فقالت : ( كنتُ وحمى بدكةٍ ،فشهدتُ مأدبةً ،فأكلت جُبجُبَةً من صفيفٍ هِلِعةٍ ، فاعترتني زُلُخَةُ . فقلنا لها ، يا أم الهيثم ، أيَ شيء تقولين ؟ فقالت : اوَللناس كلامان ؟ ما كلمتكم إلا الكلام العربي الفصيح [60] .

إن هذه الأعرابية الفصيحة تكلمت بألفاظ بدت غريبة ، ولكنها ترادف ألفاظا عندهم ، فهي تعني : ( أنها كانت مستوحمة للدسم ، فشهدت مأدبة ، فأكلت مصرانا من شواء عنزة ، فأصابتها آلام في ظهرها )[61] .

---

[60] المزهر 2/ 316 .

[61] محاضرات في فقه اللغة ( الدكتور 0 إسماعيل الطحان ) 89 .

## النتـائج :

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها ما يأتي :

أولا- أثَر الأعراب الفصحاء تأثيرا بينا في النحو واللغة من خلال إشعارهم وأقوالهم ، فعدت الشاهد المهم في بناء القاعدة النحوية بعد النص القرآني 0

ثانيا – لم يتوقف جمع اللغة على خروج علماء العربية إلى البادية والسماع عن الأعراب فحسب وإنما اخذوا ممن وفد إليهم كابي مهدية وأبي حرام العكلي وأم الهيثم وغيرهم 0

ثالثا – تحرى علماء العربية الفصاحة في جمع اللغة ،فلم يأخذوا إلا عن الأعراب الفصحاء ، فمن لم يكن فصيحا تركوا الأخذ عنه 0

رابعا – إن الأعراب الذين وفدوا إلى العراق شاركوا في المناظرات النحوية كما حدث السلامي بأنه ( حضر مجلس الكسائي إعرابي وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك ،ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد الى ما يقولون ففارقهم ) 0

وكما هو معروف عن المسالة الزنبورية التي دارت بين الكسائي وسيبويه في حضرة خالد بن برمك وهي : ( كنت أظن أن العقرب اشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها أو فإذا هو هي ) وحضر هذه المناظرة عدد من أعراب الحطمية 0

خامسا – لم يكن الأعراب شعراء ورواة فحسب وإنما كان عدد منهم نحاة اخذ عنهم البصريون والكوفيون كعمارة بن عقيل ، كما كان منهم قراء كأبي الجراح وأبي ثروان العكلي ، فاخذ علماء العربية الأوائل عنهم هذه القراءات شواهد نحوية لأنها تحمل لغات لقبائل مشهود لها

بالفصاحة 0 وكان سيبويه من الذين يكثرون من الاحتجاج بالقراءات القرآنية 0

**المصـادر : ـ**


* المصدر الأول القران الكريم

1 - أخبار النحويين البصريين : أبو سعيد السيرافي ( الحسن بن عبد الله ت 368 هـ ) تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي / ط1، 1374هـ 1955م .

2 - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : أبو البركات الأنباري ( عبد الرحمن بن محمد ت 577هـ ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة التجارية الكبرى – مصر ط4 ، 1380هـ - 1961م .

3 - تاج العروس : الزبيدي ( السيد محمد مرتضى الحسيني ت 1205هـ ) منشورات مكتبة الحياة – بيروت ( د–ت ) 0

4 - تهذيب اللغة : أبو منصور الأزهري ( محمد بن احمد ت370 هـ ) تحقيق عبد السلام محمد هارون – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – القاهرة 1371هـ - 1953م .

5 - الخصائص : أبو الفتح ( عثمان بن جني ت 392هـ ) تحقيق محمد علي النجار / دار الكتب المصرية – القاهرة 1371هـ - 1953م .

6 - ديوان الأدب : الفارابي ( إسحاق بن إبراهيم ت 350 هـ ) تحقيق احمد مختار عمر ، مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس - القاهرة 1396هـ - 1976م .

7 - ديوان جرير : اعتنى به وشرحه حمدو طماس – دار المعرفة – بيروت ط3 ، 1429 هـ - 2008م .

8 - الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : الدكتورة خديجة الحديثي ، مطبعة المجمع العلمي ، ط2 ، 1431 هـ - 2010م .

9 - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ) : الأشموني (علي بن محمد ت 929هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد 1375 هـ - 1955م .

10 شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور ( علي بن مؤمن ت 669هـ تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، منشورات وزارة الأوقاف العراقية ، دار إحياء التراث الإسلامي 1400هـ - 1980م .

11 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت 796 هـ - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر وتوزيع دار التراث – القاهرة ، ط20 ، 1400 هـ - 1980م .

12 شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش ( بن عل ي ت643 هـ ) ادارة الطباعة المنيرية . مصر ( د0 ت ) 0

13 -طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي ( محمد بن الحسن ت 379 هـ) تحقيق محمد . أبو الفضل إبراهيم ، مصر ط 1، 1374هـ - 1954م .

14- غريب الحديث : ابن الجوزي ( عبد الرحمن بن علي ت 597 هـ ) تحقيق عبد المعطي امين . قلعجي ، دار الكتب المصرية - بيروت ط1 ، 1405 هـ - 1985م .

15- غريب الحديث : ابن سلام ( أبو عبيد القاسم بن سلام ت 224هـ ) تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي – بير وت عبد المعيد خان ط1 ، 1396هـ .

16 - الفائق في غريب الحديث : الزمخشري : محمود بن عمر ت ( 538هـ) تحقيق علي محمد . البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة – بيروت ( د- ت ) 00

17 - الفهرست : ابن النديم ( محمد بن إسحاق ت 385 هـ )
تحقيق 0 ن محمد احمد ،المكتبة التوفيقية –مصر، (د.ت)
18- الكتاب : سيبويه ( أبو بشر عمرو بن عثمان ت 180 هـ ) تحقيق
عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي – مصر ط4 1426هـ .
19- لسان العرب : ابن منظور ( محمد بن مكرم ت 711 هـ ) دار .
صادر ، بيروت ، ط1، 1954م.
20- محاضرات في فقه اللغة : الدكتور إسماعيل الطحان ، مكتب رنا .
للطباعة ، بغداد ، ط1 .
21- المخصص : ابن سيده ( علي بن إسماعيل ت 458 هـ ) ،
المكتب التجاري للطباعة والنشروالتوزيع ، بيروت ( د 0 ت ) 0
22- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : الدكتور مهدي
المخزومي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصرط2 1377 هـ
- 1956م
23- المزهر في علوم العربية وأنواعها : جلال الدين السيوطي
( عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911 هـ )تحقيق محمد احمد جاد
المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ،
مصر ، ط3 ( د 0 ت ) .
24ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : الفيومي ( احمد
بن محمد ت 770 هـ ) المكتبة العلمية ، بيروت ( د 0 ت) .
25- معاني القران : الفراء ( أحمد بن يحيى بن زياد ت 207هـ ) قدم
له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار
الكتب العلمية – بيروت ط1 1423 هـ - 2002م
26- معاني القران : الكسائي ( علي بن حمزة ت 189هـ ) ، أعاد
بناءه وقدم له الدكتور عيسى شحاته ، دار قباء للطباعة والنشر ،
القاهرة 1998 م .

27- معاني القران وإعرابه : الزجاج ( إبراهيم بن السري ت 311 هـ ) ، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت ط 1، 1408هـ - 1988م .
28- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري :( عبد الله بن يوسف ت 761 هـ ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني القاهرة( د ت) .
29- المقتضب : المبرد ( محمد بن يزيد ت 285هـ ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة – ( د 0 ت ) .
30- النحو العربي ، مذاهبه وتيسيره : الدكتور محمد جيجان والدكتور محمد صالح التكريتي ، مطبعة وزارة التعليم العالي - بغداد- 1992 م .
31- النحو الكوفي ، مباحث في معاني القران للفراء : الدكتور كاظم ابراهيم كاظم ، عالم الكتب – بيروت ط1 1418هـ - 1998م .
32- نزهة الألباء في طبقات الأدباء : أبو البركات الأنباري ( عبد الرحمن بن محمد ت 577هـ ) ، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي – مطبعة المعارف – بغداد 1959م .
33- النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير ( المبارك محمد بن محمد ت833 هـ ) : تحقيق طاهر احمد الزاوي ، ومحمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ط1 1399هـ - 1979م .

# المستويات اللغوية في النص
# إعادة توصيف في ضوء الدرس اللساني الحديث

**الدكتورة هدى محمد صالح الحديثي**
كلية الدراسات الإسلامية والعربية ــ دبي

**الملخــص :**

**يتعرض البحث لاعادة وصف المستويين التركيبي والدلالي ولعدم تمكن التوفيق بين الثوابت اللغوية العربية ومصطلحات المنهج اللساني ، ومن خلال ذلك عالجت الباحثة موضوعها مشيرة الى أسس البحث اللساني العربي وهو المعيارية والوصفية محاولة ايجاد هيكل بنيوي لوصف اللغة العربية .**

**المقدمـــة :**

تُعَدُّ الجملة أكبر وحدة لغوية ؛ وبترابطها المتتالي مع غيرك من الجمل تتشكل هيكلية النص الذي هو بنية أعلى من الجملة ، يقوم على مجموعة من العلاقات بين مكوناته المعجمية والتركيبية والدلالية مشكِّلا منظومة متكاملة يكون فيها كل مقطع لساني حلقة بين الأشياء والوقائع والمرموز إليها ، والمتقبل لذلك المقطع ( المتلقي ) ، هذه العلاقة ليست عفوية أو اعتباطية وإنما هي علاقة ناتجة من عقد مزدوج بين ضغوط الدلالة من الرصيد المعجمي وضغوط الإبلاغ القائمة على التسليم بمجموعة من القوانين الضابطة لتركيب مقاطع الكلام ، فهي ليست عملية رصف للكلمات المأخوذة من المعجم مباشرة بل ان المنشئ بقدرته اللغوية وحسه بمعرفة معاني الكلمات هو الذي يتحكم بطريقة استعمال إمكانات

اللغة المتاحة للتعبير على وفق معيار الموقف أو المقام ، إلى جانب مراعاته ضوابط اللغة وقواعدها . ومن خلال ذلك يتحول النص إلى بنية لسانية تنسجم فيها الوظائف التركيبية والبلاغية المرتبطة بأثر النص في المتلقي لتشكل نسقا مرتبطا بالفعل لتواصلي ، آخذا بعين الاعتبار الاتساق المعجمي القائم على مبدأي التكرير والنظام .

وقد حاول اللسانيون العرب إيجاد هيكل بنيوي لدراسة اللغة اعتمدوا فيه على النظرية اللسانية الغربية واتخذوا من العربية الفصحى حيزا لدراستهم خططوا من خلاله تقسيما إجرائيا منهجيا للغة قائم على ثلاثة مستويات : المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي معتمدين اتجاها توفيقيا في دراساتهم . ولو نظرنا إلى جهود اللسانيين العرب لوجدنا ارتباطا كبيرا بينها وبين النظرية اللسانية الغربية وقد ترتب على ذلك توجيه نقدهم للنظرية النحوية العربية من حيث النظام المعتمد في وصف اللغة أولا ثم تقديم تلك النظرية الغربية التي بنت عليها وجودها من خلال الدعوة إلى ( الوصفية ) التي هي نتاج محض لهذه النظرية الغربية ثانيا – وقد نتج عن ذلك كله الدعوة إلى إعادة النظر في منهجية اللغة العربية وطريقة تناولها ، ولعل التقسيم الثلاثي للمستويات اللغوية الذي تبنته النظرية الغربية قد ظهر جليا في تبني تمام حسّان إيّاه لأنه يعتقد جازما أن كُل دراسة لغوية في كل لغات العالم لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، وهذا لا يستبعد المبحث الدلالي من دراسات اللسانيين العرب لكنهم ربطوه بوظيفة اللغة ولهم أن يجعلوه مستوى مستقلا من مستويات اللغة .

وقد ارتبطت اللسانيات العربية ارتباطا مباشرا بالنظرية اللسانية الغربية ، لكننا نجد علماءنا حين يؤلفون في اللسانيات يكتبون مصنفات في نقد النحو وإعادة وصف اللغة العربية القديمة من دون أن يتنبهوا إلى أنهم يلزمهم معالجة لغتهم العربية معالجة معاصرة ، مما حدا بهم إلى ضرورة البحث عن هيكل بنيوي لدراسة اللغة العربية معتمدين بذلك على مقولات من النظرية اللسانية الغربية من دون أن يراعوا النتائج السلبية التي تتولد عن ذلك لكنهم على الرغم من ذلك كله انتهى الأمر بهم إلى اختيار العربية الفصحى ميدانا للبحث الألسني ، ولعل اعتماده المستويات اللغوية الثلاثة في دراسة النصوص ( الصوتي والصرفي والتركيبي ) يمثل أول خطوة منهجية أفلح فيها اللسانيون العرب ، وهذا التقسيم الثلاثي فيه شمولية تتسع للبحث الألسني الذي توسعت فيه مستوياتهم عن بعض آخر من ألسنيي العرب فعند ريمون طحّان على سبيل المثال كانت المستويات اللغوية ستة أُضيف إليها المستوى المعجمي أو اللغوي والمستوى الجملي ومستوى الأساليب [1] ، إلى جانب ذلك فإن عددا من اللسانيين العرب لم يجعلوا الدلالة مستوى من مستويات اللغة بل يعدون اللغة جهازا شكليا يعمل بآلية مستقلة عن وظيفته الدلالية .

وإذا بحثنا في دراستنا اللغوية فيمكننا المقاربة بين المصطلح اللساني ومفهوم علم اللغة عند العرب ، وتنوع اللسان العربي يعني تنوع لهجات القبائل العربية ، وقد استعمل القرآن الكريم لفظة ( لسان ) بمعنى لغة كما في قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ

---

[1] ينظر : الألسنية العربية 1/ 21- 25 .

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ }[2] فعلم اللغة يقابل اللسانيات ، وقد أخذ هذا العلم حقه الواسع في دراسات علمائنا الذين أبدعوا في التفسير والتعليل والوصف والتقعيد ، وهذا كله معروف بالنشاط الألسني وإن لم يطلقوا عليه المصطلح نفسه ؛ على أن في إشارات الفارابي ( ت 337هـ ) أدلة دامغة على ماهية المصطلح اللساني نفسه حين يقول : (( علم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى :

علم الألفاظ المفردة وعلم الألفاظ المركبة ، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة ، وقوانين الألفاظ عندما تكون مركبة ، وقوانين تصحيح الكتابة ، وقوانين تصحيح القراءة وقوانين الأشعار )) [3] مختصرا علم اللسان في ضربين أساسيين هما : حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما ، وعلم ما يدل عليه شيء منها ، والآخر : علم قوانين تلك الألفاظ ، وجملة ذلك كله عند الفارابي يقابله في المصطلح اللساني الحديث علومٌ كالمعجمية Lexicology والصرف Morphology والشعرية Poetics ، والتركيب Syntactic ، وهذا جميعه يشكل محور الدراسات اللغوية العربية والغربية على حد سواء ، وما يؤيد ذلك ويثبت امتداده في الدرس اللغوي العربي القديم مقولة ابن خلدون في مقدمته التي جعل لها فصلا تناول فيه علوم اللسان العربي وأركانه وهي أربعة عنده : اللغة والنحو والبيان والأدب [4]، وقد حرص العرب على حفظ اللسان العربي من خلال وضع القواعد

---

[2] سورة إبراهيم ، الآية (4) .

[3] إحصاء العلوم ، ص57-59 . وينظر : أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة ، ص2 .

[4] ينظر : مقدمة ابن خلدون 1/ 453 .

والقوانين اللغوية تلك القوانين التي إن حاد عنها العربي انحرف عن وجهة اللغة العربية الفصيحة فكان المنهج الوصفي هو المنهج المتّبع في الدرس اللغوي العربي القديم جامعا بين النصوص اللغوية وناظرا فيها مستقريا تراكيبها مميزا ما بينها من علاقات ثم تصنيفها إلى مجاميع لغوية وأبواب نحوية كباب الفاعل وباب المفعول و ... الخ باعتبار أن اللغة هي الوسيلة التي يوصل بواسطتها الإنسان أفكاره إلى الآخرين ، وقديما أدركوا اجتماعية اللغة ، فالنطق اللساني مركب من حروف تلتئم لتكون كلمات تدخل في تراكيب يتكون منها النص أو الخطاب ليحمل معنى مفهوما وقد أشار الشهرستاني إلى هذه الدائرة اللغوية المغلفة بقوله : (( ان كل الحروف والكلمات محالها اللسان وكل المعاني أو المفهومات محالها الجنان وبمجموع الأمرين سمي الإنسان ناطقا ومتكلما حتى لو وجدت اللسانية منه دون المعاني الجنانية لسمي مجنونا لا متكلما إلا بالمجاز ولو وجدت المعاني الجنانية منه دون الألفاظ اللسانية سمي مفكرا لا متكلما إلا بالمجاز ))[5] مشيرا إلى ارتباط اللغة بالفكر أو العقل ارتباطا لا يمكن لأحدهما وجود معقول بدون الآخر ، وهذا ما أشار إليه ديكارت ، فاللغة عنده هي التي تميز الإنسان عن سائر الحيوان ، ومنطوقية اللغة عند الإنسان تمييزا له عن الحيوان تستند إلى ركيزتين أساسيتين هما : ممارسة التفكير وممارسة الحياة الإجتماعية ، فضلا عن انها سبيل الكشف عن النفس والآخر والكون .[6]

---

[5] نهاية الإِقدام في علم الكلام ، ص285–286 .

[6] ينظر : علم اللغة العام / توفي الشاهين 14 .

وهذه الإشارات الغربية ليست بعيدة عن علمائها فقديما ربط عبد القاهر الجرجاني بين العقل واللغة بقوله : (( ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف يتصور ان يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق ))[7] فهذه العلاقة بين الفكر واللغة تهدف إلى إبراز المعنى المراد لأن اللغة نظام لربط الكلمات على وفق مقتضيات دلالتها العقلية [8]، وهذه الإشارات من أبرز ما تميزت به جهود علمائنا من إشارات إلى النشاط العقلي عند العرب ، إلى جانب ما وضعوه من علل نحوية وقوانين في علم الإعراب وما للعامل اللفظي والمعنوي من أثر في دلالة النص ، إلى جانب إشاراتهم إلى امتلاك الإنسان كفاية لغوية عامة تمكنه من تعلم لغة أخرى غير لغته الأم وهذا ما أشار إليه ابن جني حين أقرّ بوجود قوانين مشتركة متشابكة بين اللغات ليؤكد أن (( العجم العلماء بلغة العرب وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم فإنّ قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية وتؤنسهم بها وتزيد من تبنيهم على أحوالها لاشتراك العلوم اللغوي واشتباكها وتراميها إلى الغاية الجامعة لمعانيها )) [9] أما العرب فقدرتهم على الاكتساب اللغوي في رأي ابن جني مختلفة فيقول : (( واعلم أنّ العرب يختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة يكره ، فمنهم من يخفّ ويسرع قبول ما يسمعه ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ، ومنهم من

---

[7] دلائل الإعجاز ص95 .

[8] ينظر : تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام ، ص28 – 29 .

[9] الخصائص 244/1 .

إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت في كلامه ))[10]

وفي هذه النصوص وما يشبهها إشارة واضحة إلى معرفة علمائنا بما يسمى بـــ (( الكليات اللغوية التي أشار إليها تشوميسكي [11] في نظرية التحويلية وهي عنده على ثلاثة أنواع : الكليات الجوهرية والكليات الصورية والكليات التنظيمية ، فأما الجوهرية فهي اشتراك اللغات عامة باحتوائها على فئات الاسم والفعل والحرف ، وأما الصورية فتشمل القوانين المشتركة بين اللغات وأما التنظيمية فتظهر الطريقة التي تترتب بها قواعد كل مستوى من مستويات اللغة وتحدد تداخل العلاقات فيما بين هذه القواعد كما انها ترتب إجراء القوانين في كل مستوى قياسا إلى المستوى الآخر وإلى قوانين من نوع آخر .

ولكن هذا الاشتراك المعرفي في الكليات بين اللغات لا يعني تطابقا تاما أما معرفة أوجه الاختلاف وخصوصية كل لغة عن الأخرى فإن ذلك مهمة عالم اللسانيات إذ عليه أن يكتشف المشترك بين اللغات ، وما يميز كل لغة عن الأخرى ، على الرغم من الاشتراك في المستوى الظاهري من اللغة ، إلا أن المستوى العميق لها يشير إلى اختلاف بعض الضوابط والقواعد الكلية بين جميع اللغات .

ان هذه الكليات اللغوية الثلاث هي ذاتها الصورة اللغوية أو المستويات اللغوية التي من خلالها انطلق اللسانيون العرب في دراسة النص فمثلا الصورة السميوتركيبية تفترض وجود نموذج نحوي يمثل معيارية لغة ما ، والصورة السميوتداولية تفترض حضور نموذج

---

[10] المصدر نفسه 384/1 .

[11] ينظر : الألسنة ولغة الطفل العربي ، ص141 ، والمبادئ والأعلام ، ص264 .

تواصلي ، والصورة السميودلالية تفترض حضور نموذج للواقع ؛ وبموجب هذه الصور الثلاث تتم العملية اللسانية وتتجسد إلى الواقع بكونها أنماطا تحويلية ، فيتحول المعيار اللساني الأولي ( النحوي ) في بعض المواقع من النص إلى معيار دلالي ، وهكذا يمكن أن يقع تحويل وانزياح في النص على مستوياته الثلاثة : انزياح في التداول بين الدليل والمرسل والمتلقي ، وانزياح في الدلالة أي في العلاقة بين الدليل والواقع وانزياح بين الدلائل جميعا .

وجميع تلك الإشارات تعد مشتركا لغوية فكل إنسان يمتلك نواميس كلية تمكنه من استعمال ملكته اللغوية التي زودته بها بيئته التي يعيش فيها ، وقد أشار علماؤنا القدامى إلى ذلك مما يدلل على وجود جذور تاريخية للمنهج اللساني ، فالنصوص العربية القديمة في دراسات علماء اللغة تشير إلى معرفة العرب بمستويات الأبنية واعتبار البنية الذهنية أصل كل بنية منطوقة ، وان هذه الأخيرة لا يلفظها الفم قبل صياغة يقبلها النظام النحوي ، ولعل أسس عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم قد اختصرت كل ذلك ، فضلا عن دراسات علماء آخرين سبقوه أو تبعوه معتمدين أسسه ، فنظرية المعنى عنده تقوم أساسا على الربط بين المعنى ومدلوله الأول ثم كيف ينتقل من المعنى الأول إلى معنى ثان عن طريق المعقول ، وهكذا في إشاراته إلى العلاقات السياقية من خلال التركيب والاستبدالية من خلال المجاز والإيقاعية من خلال مذاقات الحروف . لذا نقول من الضروري في أي جهد ألسني لأية لغة ، معرفة مكثفة لمعطيات اللغة المدروسة نفسها والإحاطة بكل أصولها ومفاهيمها آخذين بعين الاعتبار أن الفرضية الأساس في دراسة أية لغة يجب أن تقوم على معادلات وخطوات

لجملة أمور أشار إليها العرب بأن تأتي بألفاظ تعبر عن معان في الذهن فتقدم شرارة العلاقة بين هذه الألفاظ لتوصل المعنى المراد . ولا شك أن أية لغة مهما كان جنسها لا تتمثل إلا من خلال مفرداتها المنتظمة في تراكيب ، وهذه التراكيب هي محور الفائدة التي يتوخاها المتلقي [12] ، وهذا هو المستوى الجمالي للنص ، آخذين بعين الاعتبار أن النص مجموعة تراكيب وأشكال نحوية تتحدد هيئاتها من تنوع ارتباطات المفردات الداخلة في تكوينها ، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني من خلال تشبيه عملية إنشاء النص بصياغة قطعة من الذهب أو الفضة أطلق عليها عملية الصياغة في قوله : (( واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة ... فتتحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان ... ))[13] ، أي ان النص القائم على تعدد الجمل إنما يرتكز أساسا على الجملة باعتبارها أصغر نسق في داخل النص ، وهذا النسق اللغوي يمثل خيطا يربط بين مجموعة من الأجزاء يقوم التركيب فيها بوظيفة هامة هي تحديد الكيفية التي تترابط عليها هذه الأجزاء [14] ، وجميع هذه الأجزاء تتوافر فيها علاقات تمثل تلازما يشير إلى المعنى الواحد الممثل للنص كليا .

---

[12] ينظر : معجم علم اللغة النظري الدكتور محمد علي الخولي ، ص157 .

[13] دلائل الإعجاز ، ص370 – 371 .

[14] ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق – خليل عمايرة ، ص99 ، وكذلك ينظر : البنبة التحتية بين عبد القاهر وتشومسكي ، مجمع أقلام 1983م .

ومما يستدعي تنوع الأشكال اللغوية في داخل ذلك النص إنما هي الحاجة أو القصد ، فعلى سبيل المثال هناك أسماء تسبق بأداة تعريف ، أو أداة تنكير أو لا تسبق بإحداهما وهناك ضمائر وأسماء إشارة تحل محل الاسم الظاهر وهناك أفعال لازمة وأخرى متعدية ... الخ بحيث ان كل شكل من هذه الأشكال اللغوية يجب أن يملأ بكلمات مناسبة تؤدي إلى تناسب الأنساق اللغوية على اختلاف أنواعها داخل الوحدة اللغوية الكبرى (النص)[15]الذي ترصد من خلال صورته النهائية جميع الخواص الشكلية التي تصيب الجملة وتصفها بدقة[16] ؛ وهذا ما يمكن أن يعد منطلقا للأسلوبية التركيبية التي هي فرع من البحث الألسني الحديث ، قائمة في أساسها على مجموعة من العلاقات داخل بنية التركيب النحوي ، وهي وحدات معنوية صغرى تبنى على علاقات توزيعية [17] تتخذ من النص ركيزة للوصول إلى قيمتها التعبيرية عن طريق حركيتها ومتغيراتها ، حيث يمثل قصد المتكلم الأساس في حركية المفردة اللغوية وعملية اختيارها ؛ وليس شرطا أن يكون المعنى المقصود متحققا من عمدة التركيب المسمى بالمسند والمسند إليه بل قد يكون الجار والمجرور أو أي عنصر لغوية ليس بمسند أو مسند إليه في اصطلاح النحاة ، كالجار

---

[15] ينظر : مبادئ علم الأسلوب العربي / شكري عياد ، ص52 .

[16] ينظر : جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، الدكتور محمد عبد المطلب ، ص153 – 159 .

[17] ينظر : أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث – الدكتور توفيق الزيدي ، ص140 .

والمجرور والظرف ... الخ وهي المتعلقات في اصطلاح البلاغيين ، هو بيت القصيد بؤرة التركيب ، معنى ذلك إن عملية الاختيار لبناء النص هي عملية خلق للمعنى في الوقت نفسه ، فقيمة المفردة في حركيتها وقيمتها المعنوية في داخل النص لا في موقعها الإعرابي ، وعليه يجب أن نميز بين حركة اللفظة التي تخرق الثوابت النحوية المحققة لغرض أسلوبي يثير انتباه المتلقي ويحظى بقبوله ، وبين حركة اللفظة التي تخرق الثوابت النحوية لتشوش ترتيب التركيب وتفقد النص قيمته المعنوية المطلوبة فيرفضها المتلقي ؛ واختيار طريقة ما في التعبير وتفضيلها على أخرى يعد مؤشرا أسلوبيا لبنية التركيب لكونها تقدم نموذجا لفهم حاجات المتكلم في التعبير عن ذاته ، فتعدد طرق الاستدلال في داخل النص وتنوع أساليبه يمنحه خصائص إبداعية تعد ركيزة تثير انتباه المتلقي وتبلغه حاجات المتكلم ومقاصده ؛ ولا يتم ذلك إلا باعتماد المتغير الألسني في ترتيب الكلمة وموقعها في بنية التركيب من خلال خرقه الثوابت النحوية في تلك البنية عن طريق التقديم والتأخير مثلا أو تغيير العلاقة الإعرابية أو الاستبدال بين الصيغ على مستوى التركيب وعلى مستوى المعاني ( الاستعارة والكناية والتشبيه ... الخ ) ؛ هذا أولا ، وثانيا : أن تخضع تلك الخروقات إلى ما يسوغها ضمن الثوابت الكلامية المتعارف عليها في كل لغة ، لكي يصل المتكلم في نصّه اللغوي ـــ بعد مراعاة هذه الأعراف الكلامية ـــ إلى ما يحقق نفعية الخطاب اللغوي ليصبح النص ناطقا بجماليات تلك اللغة ولسان حالها ، وسمات بنياتها [ خصائصها الألسنية ] التي تتميز بها تراكيب بعينها عن سواها .

وقد أقتضى المنطق اللغوي أن تختلف طرائق اختيار المفردات وتعلقها ببعضها ، وذلك لأن النص من خلال جمله وتراكيبه سيكون الوسيلة التي تنقل للمخاطب معلومة يجهلها[18] ؛ ولا نعني بذلك أن قيمة النص تنحصر في نفعيته الإخبارية من خلال صحة التركيب النحوي ومطابقته للثوابت اللغوية أو مخالفتها مخالفة تسوغ قبوله كلاميا ؛ بل ان قيمته تتجاوز النفعية الإخبارية إلى الجمالية الفنية المثيرة انتباه المتلقي ، فالنص لا يلقى استحسانا إلا إذا تطابق غرض المتكلم مع حاجة المتلقي ليحقق بذلك مبدأ إِلابلاغية والبلاغية في الوقت نفسه من خلال مستويين ؛ أولهما : بنائي توزيعي للمفردات على وفق مواقعها ؛ وثانيهما : دلالي سياقي ينطلق من الرتبة إلى الوظيفة الجمالية ؛ لأن النص ما هو إلا صور لفظية للأفكار اعتمادا على صياغة مجموعة من الجمل في قالب واحد يمثل هوية النص ، من منطلق كون الجملة تعبيرا لغويا عن قضية كما عرفها ادوارد سابير ؛ والتقى به معه فندريس [19] إذ عدَّها الصيغة التي يعبر بها عن الصورة اللفظية والتي تدرك بواسطة الأصوات ... وبعضُها يتكون من كلمة واحدة : تعال ولا ، وواأسفاه وصفه ، فكل واحدة من هذه الكلمات تؤدي معنى كاملا يكتفي بنفسه ، وهو مفهوم الجملة عند العرب والغرب وهي ما كان يفيد معنى يحسن السكوت عليه .

ومن خلال رصد العلاقات اللغوية المتنامية في داخل النص ، فإن ذلك سيفضي إلى إيقاع شبكة من العلاقات المعتمدة على أنساق قد تكرر ،

---

[18] ينظر : النحو العربي والدرس الحديث ، الدكتور عبده الراجحي ، ص35 .

[19] ينظر : اللغة / فندريس ص101 .

وصور جمالية تؤلف شكلا مميزا يتمحور حوله النص ، يكون مفتاحا لرموز العمل الإبداعي بحيث يتجاوز مرحلة التعامل مع الصورة الإبداعية باعتبارها كيانا مستقلا في داخل النص أو ظاهرة فردية مجردة تطفو على السطح الى تشكيلة متناسقة في محاورها المختلفة لتعطي النص قيمته الفنية بعد اختراقه من داخله ، وصولا إلى علاقاته الداخلية .

وهذه الاختراقات هي أساس التحليل الألسني للنص والتي لا يمكن التعامل معها بتجرد وإنما يكون الرصيد التراثي أساسا في فهمها وتوظيفها بحيث يمكن عقد مصالحة قديما وحديث هذه الدراسات او مزاوجتها ، ليبقى النص كائنا حيا يمد يد الوصل بين الأطراف جميعها على اختلاف اتجاهاتها وتنوع مشاربها . ولعل مثل هذه المزاوجة بين ما هو قديم [ الموضوع اللغوي العربي ] والمنهج المستعار [ الحداثة وآفاقها ] قد فتح الباب واسعا أمام تيار تطبيقي خالص ، أفلح فيه بعضهم حين كان وسطيا انطلق من تراثه إلى الحداثة على وفق مقاربات منهجية ورؤى معرفية مشتركة بين اللغات جميعا ، إذ فشل بعضهم الآخر حين انحرف عن الجادة متنكرا لكل قديم متهما إياه بالعقم لم يجد فيه طائلا ، وهذا ما دعا إلى إعادة النظر في بعض الدراسات اللغوية ، تمثل ذلك في مشروع البحث اللساني العربي الصحيح القائم على مقاربات منهجية بين القديم والجديد مدركا أن الدرس العلمي للظاهرة اللغوية يجب أن يمثل إنجازا معرفيا يحسب لنا وليس علينا ، وسبيل ذلك يتجسد في الارتكاز على مقوماتنا اللغوية ( ثوابت اللغة ومتغيراتها عند علمائنا القدامى ) والاستفادة من توظيفها وإذابتها في بوتقة الحصيلة اللسانية وبذلك تنقل جهود علمائنا اللغوية

القديمة منها والمعاصرة إلى دائرة الوعي اللساني الذي تتناغم فيه الموضوعات والمنهج تناغما يحافظ فيه على خصوصيتنا اللغوية ويأخذ بأيدينا حيث تواصلية المعرفة واجتماعية اللغة وبذلك تكون خارجا دائرة المنهج الواحد لكن ضمن دائرة تداخل وجهات النظر وتباينها أخذا وعطاء ، فنكون توفيقيين في الرؤى والمنهج وبذلك لا ننكر غربية المنهج اللساني من حيث مسمياته ومصطلحاته الإجرائية ورؤى فكرية مثلث وجود تلك الأمم بشكل لا يتعارض مع خوضنا غمار هذا المجال الغربي والتسلح بثقافة لسانية [ ألسنية ] متينة قبل تبني أي منهج حديث ، من خلال معرفة القواعد الكلية وخصائص اللغات وأوجه التشابه والاختلاف بينها لتهيئة الأدوات التي تُمكِّن لمستعمل اللغة بها الانتقال من معرفة غير واعية إلى معرفة واعية بحيث يصل إلى إمكانية تحليل المكونات الأساسية والروابط التي بواسطتها يتوصل الإنسان إلى استخدام الرموز اللغوية في كل لغة كما ينبغي .

لأن غايتنا من اللغة ألا تنفصل مكوناتها النصيّة عن وظيفتها الابلاغية والبلاغة حقا ، بل نريد أن يتحقق تَفاعل بين العناصر اللغوية في داخل النص ، ليعطي أثره في سياق مقالي أو خارج المنطوق أو المكتوب ، لأن النص مجموعة او يُحقِّقَ تفاعلا عناصر لغوية مرتبطة تواصليّا بسياق المقام تكتفي جملة بذاتها في إبراز تعالق عناصرها من خلال الارتكاز إلى الوظائف والمقاصد اللغوية التي اعتمدها من كليات تلك اللغة واستثمار الإمكانات اللغوية في المخزون الذهني وذات المتلقي تمثل استحضارا لحالته الإدراكية والثقافية كي يظهر النص على أنه نتاج مؤثر يمثل مجموعة عناصر بنائية جعلت منه كلا متكاملا بعيدا عن منطق الخطأ

والصواب ، وهذا ما أشار إليه سيبويه في تقسيمه الكلام إلى مستقيم وقبيح وحسن و.... الخ وتبعه الجرجاني في دلائلهِ وتفاوت المنشئين وقدراتهم التأثيرية في المتلقي ، ليجسد بذلك قيمة التقاليد البلاغية التي تؤدي دورا مؤثرا في بناء العبارة فنيا متعاونة مع مباحث النحو واللغة تجسيدا ينتقل بالنص من معياريته النحوية إلى وظيفته الدلالية فتكون المعاني بإزاء الألفاظ أساسا في تشكيل صورة النص في سياقه الدلالي المميز، لأن النص ليس إلا مجموعة جمل يضمها سياق تكونه بنى لغوية هي لبنة النص في طابعها النسقي بكل ما يعرض له من مقومات لغوية ، فتنتقل الثوابت النحوية بكل حقائقها التحويلية إلى منطقيته الأدبية من خلال مراعاة معيار التحكم في العلاقات في داخل النظام اللغوي المستقر في الذهن منتظم العلاقات في القدرة الكافية المنبثقة عن منطق العقل ، ومراعاة أحكام العلاقات النحوية واعتبارها أساسا في إنشاء النص يجنب الناتج الدلالي أن يكون تراجعيا بتصريفه الدوال إلى أشتات معجمية لا قيمة لها ، فإذا روعي ذلك تحول إلى نسق إبداعي خارجي لحركة ذهنية داخلية تحولا يراعي فيه ثنائية المتكلم والمتلقي ، لأن ذات المتلقي تمثل القدرة الخاصة على استقراء الصيغة النصية ، فعملية بناء الأسلوب تعتمد على ربط الاختيارات اللغوية بقيمتها الجمالية ، وحينئذا تكون مهمة المتلقي الروحية لفك النص لغويا وتركيبيا ثم إعادة بنائه دلاليا للوصول إلى بؤرة النص وغايته متابعا دواله وفضاءاته المتاحة له وفقا لثقافته وأحاسيسه من خلال تفسيره الإشارات اللغوية للنص ، وتدرجه التعبيري وصولا إلى الاتساق في النص الذي يعكس على ذوقه نوعا من الانطباع الجمالي والاحساس بالمتعة الفنية .

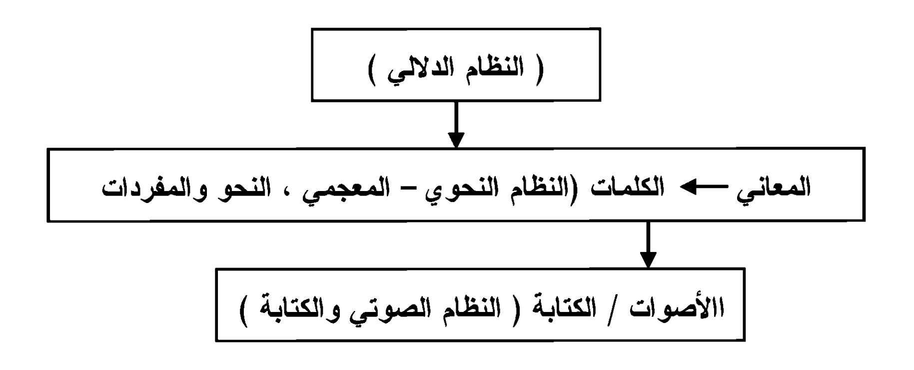
وخلاصة ذلك : أنه ينبغي على الباحث الألسني الالتزام بمعرفة كيفية استخدام الرموز اللغوية سواء كانت نفسية أم ذهنية ، وقدرته على تفسير نشأة الصيغ التي بنيت عليها لغة النص ؛ لأن عمل الألسني يعتمد على أسس ابرزها : دراسة قدرة المتكلم على إنتاج جمل غير محدودة من قواعد محدودة وتفسير ذلك على وفق أسس منهجية تنبثق من ذات المنهج ، أي نقل ثوابت اللغة إلى حاضر يتمثل فيه النص دلاليا مؤثرا ومثيرا ، باعتماد المنطق اللغوي في تفسير الظاهرة النصية إلى جانب استنباط القواعد التي تتمكن من توليد جمل صحيحة وهذا ما لخصّه تشومسكي بقوله : (( ان على النظرية اللسانية بصفة خاصة أن تعكف على العلاقات بين مجموع الجمل والجمل الموجودة عند الملاحظة وان تحاول شرحها ؛ إنها بعبارة أخرى مدعوة إلى شرح قدرة المتكلم على إرسال الجمل الجديدة وتفسيرها وعلى رفض مقاطع أخرى جديدة على أنها مرغوبة انطلاقا من تجربة لسانية محدودة ))[20] ؛ فالمتكلم لا ينطق اعتباطا ولكنه يصدر عن قدرة وملكة تنظم الإنجاز اللغوي على وفق معايير داخلية تكفل صحة النظام اللغوي واعتباره معيارا تحكميا يستقر في القدرة الكامنة ويتمثله المتكلم ضمنا وإن لم يصرح به ، لأن قواعد اللغة الكامنة في عقل أهل اللغة يكتسبها الفرد في طفولته ، تتخذ أشكالا لغوية تجسدها عملية الكلام قادرة على ضبط نظامه اللغوي ، أما المتكلم فهو المنجز للشكل اللغوي على وفق بنية عميقة تستبطن القواعد ضمنا في تنسيق يتوافق فيه التمثل الدلالي [ المعنى ] مع الشكل النحوي المناسب

---

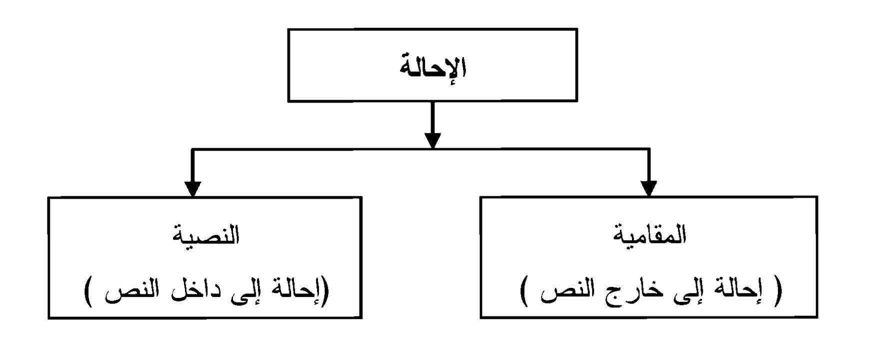
[20] مدخل في اللسانيات ، ص172 .

له ، وبذلك يعد النص اللغوي المتكامل هو ذلك النص الذي يحظى بتوافق بين قدرة المتكلم ومثاليته اللغوية وقدرته الكامنة المكونة لمخزونه اللغوي .

ومهما تكن الأشكال اللغوية ومهما اختلفت دلالتها فإن البحث الألسني نظر إليها من مستوياتها الأساسية الثلاثة [ الصوتي والصرفي والتركيبي ] وبعبارة أدق فإن كل نص متمثل في تحول المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات وكتابة يمكن رسمها بالمخطط الآتي :




أي أن الاتساق يقوم بين ذلك كله ، وإذا تحقق الاتساق بكونه مفهوما دلاليّا فإنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة في داخل النص ، وأبرز أدوات الاتساق : الإحالة ونعني بها أن العناصر اللغوية في داخل النص لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل ، كالضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقاربة ، وهذه لا تخضع لقيود نحوية بل لقيود دلالية وهي وجود تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه وتتمثل الإحالة بنوعين إحالة نصيّة وإحالة مقامية .




أما العنصر الثاني فهو الاستبدال ، وهي عملية تتم في داخل النص بتعويض عنصر بعنصر آخر كأَن يحل الضمير محل الاسم الظاهر وتتم عملية الاستبدال في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات ، وهذا خلافا للإحالة التي تتم في المستوى الدلالي ؛ إلا أن أهمية الاستبدال تتجلى في كونه وسيلة أساسية تعتمد على اتساق النص ، وعلى سبيل المثال أقول : كتابي ممزقٌ لا أستطيع القراءة فيه ← يستبدل بقولي سأشتري كتابا آخر جديدا لأتمكن من القراءة .

استبدلت الجملة الاسمية بجملة فعلية ، ويمكن التمثيل بالشاهد القرآني الآتي للغرض البلاغي نفسه :

قال تعالى { الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ }[21] يقابله قوله تعالى في غرض إباحة الطلاق نفسه في الشاهد الأول : { فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ }[22] .

فالشاهد الأول كان غرضه الإباحة عَّبر عنه بجملة أسمية .

والشاهد الثاني غرضه الإباحة أيضا لكن استبدلت به جملة فعلية ، هكذا .

---

[21] سورة البقرة ، الآية (229) .

[22] سورة البقرة ، الآية (231) .

ومن أدوات الاتساق أيضا الحذف ، ويتم في داخل النص بوجود عنصر مفترض في النص السابق يطلق عليه القرينة أو الدليل وهذا شرط لابد منه لقبول الحذف ، وهو لا يختلف عن الاستبدال كثيرا مع فرق بينهما يسير هو أن الاستبدال يترك أثرا في النص أما الحذف فلا يخلِّف أثرا ، أقول مثلا : اشتريت كتابا .

فيسألني آخر : كم ثمنه ؟

يأتي الجواب بلا علاقة بين السؤال والجواب من حيث الماهية / فالجواب مثلا / خمسة دراهم .

أما المكوِّن الأخر في عملية الاتساق فهو : الوصل ، ويقصد به تحديد الطريقة التي يتم فيها ربط اللاحق بالسابق بانتظام ، أي تعلق الألفاظ ببعضها أو الجمل بعضها ببعضها الآخر لأن النص جمل متتالية متعاقبة تدرك بوصفها وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة بين أجزاء النص ، ويختلف مظهر الوصل عن الإحالة والاستبدال والحذف بكونه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث المفترض فيما سبق أو يلحق .

ولعلّ أدوات العطف ، واستئناف الجمل فيما بينها ومجيئها سببا لبعضها كقول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكهم

ان السفينة لا تمشي على يبس

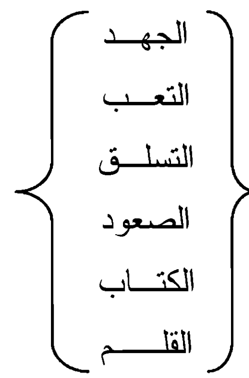
من الشواهد على مظهر الوصل .

وأما الاتساق المعجمي فيمثل النظهر أو المكون الخامس لمظاهر الاتساق النصي ، وهذا يختلف تماما عن جميع ما سبق لأنه لا يتحدث

عن عنصـــر مفترض ولا عن وسيلة شكلية ( نحوية ) للربط بين عناصر النص ؛ ويشمل هذا الاتساق المعجمي نوعين أساسيين هما : التكرير ، والنظام .

فأما التكرير فيتطلب إعادة عنصر معجمي أو مرادف له أو شبهه أو مطلق أو اسم عام فمثلا نقول :

شعرت بالتعب عند صعود الجبل




فالجهد والتعب مترادفان ، والصعود والتسلق مترادفان .

أما الكتاب والقلم فهما مطلقان أو عامان لا علاقة لهما بهما .

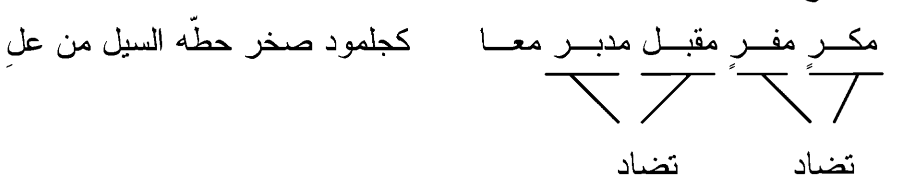
أما النظام فهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك ، فنجد في قوله تعإلى :{ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ }[23] أن الذكر والأنثى غير مترادفين لكنهما يمكن وجودهما في خطاب واحد في أداء معنى نصِّي معين مفهوم وهكذا مع كل الكلمات المتضادة ، تضادها لا يعني عدم إمكانية ربطها واحتوائها في داخل نص

---

[23] سورة النساء ، الآية (11) .

واحد تحكمه علاقات نسقية تجعله مفهوما مقبولا ، وفي قول امرئ القيس أوضح من دليل على ذلك حين يقول :

مكـــرٍ مفـــرٍ مقبـــلٍ مدبـــرٍ معـــا كجلمود صخر حطّه السيل من علِ




وقد يشكل التضاد عنصر صعوبة عند بعض القراء لكن القارئ المدرك لأسرار اللغة وعلاقاتها النسقية يتمكن من تجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا حدسه اللغوي ومعرفته بمعاني الكلمات إلى غير ذلك من قدراته اللغوية ، لتكون وسائل الاتساق مجتمعة في نص ما هي الوسيلة لإدراكه جملة فجملة مقطعا فمقطعا ... الخ .

وعود على بدء فإن توصيف نص ما على وفق مستوياته اللسانية الثلاثة كان محط اهتمام علمائنا قديمهم وحديثهم وفي هذا البحث أرى اننا معنيون بالوقوف عند توصيفها حديثا ليس تجاوزا للقديم بل على العكس فعلماؤنا أغنوا اللغة بمستوياتها كافة في مصنفاتهم اللغوية والنحوية والصرفية وكتب العلل وعلوم البلاغة .

لذا وجدت ضرورة إشباع البحث بما يتلاءم وعنوانه ، فوجد ، ان المستوى الصوتي حديثا إنما ينضم تحت علمين هما الفونيطقيا والفونولوجيا ، فأما الأول فقد تطور في إطار الثقافة اللسانية الإنكليزية أساسا عند الكسندر ميكيفل بل وجونز وهنري سويت معتمدا الوصف الفيزيائي والفسلجي لأصوات اللغة ، أي إخضاع دراسة الصوت البشري لمعطيات العلم الحديث كالفيزياء والفسلجة .

أما الفونولوجيا فهي علم تشكل في إطار اللسانيات البنيوية في حلقة براغ حتى تطورت مفاهيمه على يد سوسير ، ويقوم هذا على أساس التقابل والاختلاف بين الفونيمات ، أما الدراسات اللسانية العربية فقد

اهتمت بدراسة الأصوات انطلاقا من البنيوية الوصفية ، وقد اعتمد اللسانيون العرب على ركيزتين أساسيتين للوصف العام للصوت هما : المخارج والصفات وقد أشبع سيبويه ولغويو العرب هاتين الركيزتين بالبحث الوافي ، وتحت مظلة المستوى الصوتي يندرج المستوى الصرفي القائم على رصد للتغيرات الطارئة على صيغة من الصيغ وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولهـــا : تغيير صرفي يتعلق بالاشتقاق .

وثانيها : تغيير صرفي صوتي يتمثل في تأثر التغيير الصوتي في بنية الصيغة صرفا .

وثالثها : تغيير صوتي بحت يتعلق بتعامل الأصوات[24].

وهنا يستوقفنا اللسانيون العرب وموقفهم من النظرية الصرفية العربية القديمة ، متهمين إياها بالقصور وغلبة الدراسات النحوية على الصرفية عند العرب ، زاعمين أن العرب القدامى قصروا جهودهم فيها على تغيرات الصنعة وأحكامها ويرى كمال بشر أن العرب اعتمدوا فكرة الأصل وفكرة النظام[25] . أما تمّام حسّان[26] فقد حاول رسم الخطوط المنهجية للنظام الصوفي عند العرب في محاولة لجعلها دعائم ثلاث هي :

1 – مجموعة المعاني الصرفية وتصريف الصيغ .

2 – مجموعة المباني – بعضها صيغ مجردة وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أدوات .

3 – مجموعة العلاقات العضوية الإيجابية وهي وجود ارتباط بين المباني وبعض القيم الخلافية أو التقابلية .

---

(24) ينظر : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث / الدكتور الطيب البكوشي ، ص19 .

(25) ينظر : دراسات في علم اللغة / القسم الثاني ، 108 .

(26) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص33–86 .

أما المستوى التركيبي فقد شكلت النظرية النحوية المنظومة الكبرى في المصنفات العربية منذ القرن الثاني الهجري بوصف العربية واستقرائها .

أما جهود اللسانيين العرب فقد توجهت بالنقد متكئين على مفاهيم لسانية غربية دعتهم إلى أن يطالبوا بدراسة النحو دراسة شكلية بعيدا عن جوهر النظرية النحوية العربية ، كذلك وجدوا في الإعراب مشكلة تزيد من صعوبة اللغة وتقيد من انتشارها فانحرفوا إلى دراسة الكلام بوصفه بناء شكليا ، وكان على اللسانيين الدخول إلى مفهوم الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الأساسية في المستوى التركيبي ، وخلصت إشكالات اللسانيين في دراسة هذا المستوى إلى انقسامهم إلى فريقين : فريق دعا إلى إلغاء الإعراب ، وفريق رأى في الإعراب أنه في صميم اللغة العربية ومن أهم سماتها .

أما الجملة فقد حاول اللسانيون العرب تحديدها وأولوها اهتماما تجاوز كونها صورة لفظية للفكرة أو وظيفتها رافضين منطقية الجملة ، فنجد عبد الرحمن أيوب يرفض تفسيرات النحاة لحالات حذف المبتدأ والخبر ويرى أن الإعراب يكون واحدا إذا احتوت الجملة على العناصر نفسها والوظائف التركيبية نفسها .[27]

أما تمّام حسّان فأقام رأيه في الجملة على العلاقات السياقية ومفهوم التعليق مستفيدا من آراء عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ، ويرى أن التعليق هو الإطار الضروري للتحليل اللساني معرفا إياه بكونه إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية .[28]

---

[27] ينظر : دراسات نقدية في النحو العربي ، ص162 .

[28] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص189 .

ومما لا شكَّ فيه أن الكلمة هي محور السياق ودراسة العلاقات بين الكلمات هي أساس النحو الوظيفي أي مبدأ العلاقات التوزيعية وصولا إلى العلاقات التركيبية ، وقد امتد هذا إلى المستوى الدلالي القائم على مبدأ العلاقات الاستبدالية باعتماد مبدأ الاختيار منطلقا ألسنيا في تحديد الظاهرة اللغوية من خلال قانون الترابط والتبعية بين مادة اللغة وموضوعها والنظر إلى التركيب نظرة دلالية تستوعب كل عناصره على أساس التنسيق الكامل بين وجود العنصر الوظيفي والمطلب الدلالي الذي استدعاه ، ذلك لأنه البنية المشكلة في النمط المناسب قد توزعت الأدوار الوظيفية فيها بمقتضى الدلالة فاختلاف البنيات التشكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلالي وفقا لحالات الاستعمال ووظيفة الظاهرة اللغوية تتحد وبالقدرة الإيحائية الخاصة في سياق معين .

إن إعادة وصف المستويين التركيبية والدلالي على وفق أسس اللسانيات ترتب عليها إشكالات منهجية لم يتمكنوا من خلالها التوفيق بين الثوابت اللغوية العربية ومصطلحات المنهج اللساني لذا دعوا إلى دراسة هذين المستويين دراسة شكلية وإلغاء كثير من الثوابت كظاهرة الإعراب وأقسام الكلام والعلامة الإعرابية ، وخلاصة ذلك كله ان مبدأ الوصف وارتباطه بالموضوعية عند اللسانيين العرب لم يحقق حيادية المنهج ولا سيما أنهم استمدوا فكرة الوصف من المنهج الإنكلوأمريكي نزوعا نحو الإنثروبولوجي والسلوكي السائدين في ذلك المنهج ، مما انسحب إلى إجراءات منهجية من قبيل الاستقراء والملاحظة والتصنيف والتقعيد ؛ وبذلك نقف عند ركيزتين أَساسيَّتين في البحث اللساني العربي هما : المعيارية والوصفية محاولين إيجاد هيكل بنيوي لوصف اللغة العربية بالاعتماد على أسس لسانية غربية .

# لامية ُالعربِ بينَ النفي والاثباتِ

**الدكتورعبد اللطيف حمودي الطائي**

جامعة بغداد – كلية الآداب

**الملخص :**

**تعــدُّ لامية العرب من غــُرر القصائد الجاهلية وعيونها ، التي صورت حياة الإنسان العربي في صحراءٍ مترامية الأطراف ، قلَّ ماؤُها وعشبُها ، وعانى سكانها من شظف العيشِ وضنكهِ ، فهيَ خيرُ مثالٍ على تلك الحياة القاسية ، والقصيدة أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، وهي من بنات أفكار الشاعــر الفاتك ، الصعلوك الشَنــفْرَى الأزْدي ونظمهِ ، ومطلعها هو :**

**أقِيمُوا بَني أُمِي صُدورَ مَطِيَكُمُ      فإنـــِّي إلى قَوْمٍ سِواكُمُ لأمْيَلُ**

**لقد اختلفت المصادر في نسبة هذه القصيدة وتقاطعت ، وظلت تتأرجح بين من يعزوها للشاعر الصعلوك الشنفرى الأزْدي ، وبين من يقول : صنعها خلف الأحمر ونحلها للشنفرى ، وسأقوم بجمع الأقوال التي تعزو اللامية للشنفرى والآراء التي تقول صنعها خلف الأحمر ونحلها الشنفرى في ملف واحد وبعد المدارسة والتحليل سأعزو اللامية لقائلها الحقيقي .**

**المقدمـــة :**

تعـــدُّ لامية العرب من غـــُرر القصائد الجاهلية وعيونها ، التي صورت حياة الإنسان العربي في صحراءٍ مترامية الأطراف ، قلَّ ماؤُها وعشبُها ، وعانى سكانها من شظف العيشِ وضنكهِ ، فهيَ خيرُ مثالٍ على تلك الحياة القاسية ، والقصيدة أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، وهي من بنات أفكار الشاعـــر الفاتك ، الصعلوك الشَنـــْفَرَى الأزْدي ونظمهِ ، ومطلعها هو :

أقِيمُوا بَني أُمِي صُدورَ مَطِيَكُمْ          فإنـــِّي إلى قَوْمٍ سِواكُمْ لأمْيَلُ

لقد اختلفت المصادر في نسبة هذه القصيدة وتقاطعت ، وظلت تتأرجح بين من يعزوها للشاعر الصعلوك الشنفرى الأزْدي ، وبين من يقول : صنعها خلف الأحمر ( ت 180هـ ) ونحلها الشنفرى ، وذلك لأسباب كثيرة لسنا بصدد الخوض في غمارها ، ولكن يمكننا القول : إنَّ عدم انصياع خلف الأحمر لرغبات الخلفاء العباسيين وأمرائهم ، ورفضه مدحهم وحضور مجالسهم ، شأنهُ شأنُ معاصرهِ الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ت 175هـ ) ، الذي رفض الرضوخ لرغبات العباسيين ومطالبهم ، وبسبب هذا الرفض ، تصدى لهُ الرواة من ذوي النفوس المريضة ، وأصحاب الضمائر الضعيفة والميتة ، ممن يلهثون وراء المال والشهرة الزائفة وإرضاء الحكـّـام ، فباعوا ضمائرهم ومهنتهم الشريفة بثمن بخس ، فأخذوا على عاتقهم تشويه سمعة خلف الأحمر ومكانته ، وتصويره للجمهور ، وتقديمه على خلاف حقيقته ، فوضعوا على لسانهِ ما لم يصح

قوله من مثل قوله [1] : ( كنتُ آخذُ من حمّاد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبلُ ذلك مني ويدخله في أشعارها ) ، هذه الرواية ساذجة ومتكلفة ، والوضع فيها واضح مكشوف يكاد يصرخ بوجه قارئه قائلا : أنَّـــها موضوعة ومفتراة ، فكيف يأخذ الصحيح من الأشعار ويعطيه المنحول ؟ وكيف يقبل الرواة بعد ذلك الأخذ برواياته ؟ إذا علمنا أنَّ خلفا هو معلمهم [2] ، فإذا كان حال المعلم هكذا ! فما بالك بتلاميذه من الرواة ، فهم أيضا وضَّاعون ، ليسوا بثقة ، والواقع يشير إلى خلاف ذلك ، فرواة البصرة ، هم أكثر الرواة توثيقا ، ثُمَ هل يعقل أنَّ رجلا صاحبُ بضاعةٍ يقول للناس : بضاعتي سيئة ورديئة فلا تشتروها ؟ وهذا يؤكد أنَّ الرواية موضوعة ، وليست صحيحة ، وهذا هو معنى القول المنسوب لخلف الأحمر ، ولست هنا بصدد تبرئة خلف الأحمر بما علق به من تهمٍ زائفةٍ ومفتراة ، بقدر ما يعنيني إثبات اللامية للشنفرى ، ولكنـــِّي أقول : إنـــَّي كتبتُ بحثا نشرتهُ في مجلة آفاق الثقافة والتراث الإماراتية [3] برأ خلفا مما ألصِقَ به من تهمٍ زائفة .

**تعريف بشخصية الشنفرى :**

الشنفرى لقبٌ لأشهر شاعر صعلوك ، وهو من فتاك العرب وذؤبانِها ، وقد غلب لقبهُ على اسمه ، والشنفرى تعني عظيم الشفتين ،

---

[1] الأغانـــــي : 92/6 .

[2] المذاكرة في ألقاب الشعراء : 76 ؛ نزهة الألباء : 70 .

[3] مجلة أفاق الثقافة والتراث الإماراتية ؛ العدد 49 لسنة 2005م .

وقيل تعني الأسد أو الجمل الكثير الشَعر [4] ؛ فيما قال الجوهري [5] : ( الشنفرى اسمهُ لا لقبه ) ، وأما اسم الشنفرى ففيه خلاف ؛ فهو : عامر بن عمرو الأزْدي [6]، وشمس ابن مالك الأزْدي [7]وعمرو بن مالك الأزْدي [8] ، وثابت بن أوس الأزْدي [9]، ولكن اللافت للنظر ما قالهُ العيني من أنَّ اسمه هو [10] : ( عمرو بن براق ) وهذا وهمٌ منه والصواب أنَّ عمرو بن براق من الصعاليك المصاحبين له ، وكذلك حدث وهم في اسمه عند السيدين عبدالجبار تعبان ، وسليمان القرغولي حينما جمعا شعره وقالا : إنَّ اسمه هو[11] : ( ثابت بن جابر ) نقلاً عن كتاب البرصان والعرجان ، وسبب الوهم أنَّ عبدالسلام محمد هارون محقق الكتاب ذكر ذلك ؛ والصحيح أنَّ هذا الاسم هو للشاعر الصعلوك تأبط شرا المصاحب له ، والشنفرى هو من بني الحارث ابن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ [12]. فقد عاش

---

[4] شرح ديوان الحماسة للتبريزي : 52/2 ، أعجب العجب في شرح لامية العرب : 3.

[5] الصحاح : 71/2 ؛ خزانة الأدب : 16/2 .

[6] العمدة : 331/1 .

[7] أعجب العجب في شرح لامية العرب : 148 .

[8] الأعلام : 258/5 ؛ معجم الأدباء والمؤلفين : 11/8 – 12 .

[9] دائرة المعارف : 588 .

[10] المقاصد النحوية على هامش الخزانة : 117/2 .

[11] البرصان والعرجان : 256 (ينظر الهامش) ؛ معجم ألقاب الشعراء : 128 .

[12] الاشتقاق : 35 .

الشنفرى قبل الإسلام ، وهو من رآبيل العرب الذي كانوا يغزون على أرجلهم عدوا [13] والشنفرى كان أسودَ البشرة ، وهو من أغربة العرب ، وهم الذين لحق بهم السواد من طرف أمهاتهم اللواتي كُنَّ من الإماء[14].

ولامية العرب هي من غرر القصائد الجاهلية ، وكانت منتشرة على نطاق واسع ، على الرغم من أنَّ الشعراء الصعاليك كانوا منقطعين عن المجتمعات ، بعيدين عن المجالس والمحافل ، حيثُ تنشد القصائد ، وبعد ذلك يتداولها الرواة ، فتنتشر وتشيع بين الناس ، ومع ذلك لم يشكك أحدٌ من الرواة في نسبتها إلى الشنفرى ، وكانت الإشارة الأولى إلى نحلها هيَ في القرن الرابع الهجري ، وذلك بعدما بدأ العلماء الرواة بتدوين أشعار العرب ، وكان من ضمن ما دونوه أشعار الصعاليك ، قصائد الصعاليك هي من نمط خاص من الشعر يمتاز بالقِصَر؛ فضلا عن الألفاظ الوعرة والغريبة والوحشية ، ولما كانت لامية العرب قد آنمازت عن غيرها بطولها الذي بلغ السبعين بيتا [15]، وسلاسة أبياتها ووضوح معانيها ، ولذلك بدأت الآراء تتجاذبها بين رفض غير مسوغ ، وقبول غير مطمئن ، وسنقف على الآراء الرافضة لها والمؤيدة ، وحسب سياقها الزمني .

---

[13] التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 167/1 .

[14] المزهر : 269/2 ؛ الرآبيل : هم الصعاليك الذين يغزون ويعدون على أرجلهم ، فهؤلاء لم تلحقهم الخيل ، أعجب العجب في شرح لامية العرب : 4 .

[15] ديوانه : 66 – 90 .

**أولا :** بعد تدوين شعر الصعاليك وانتشاره بين الناس ، لم يقل أحد : إنَّ القصيدة منحولة ، ولكنَّ أول اشارة إلى أنــَّها منحولة ، كانت في القرن الرابع الهجري ، فقد نصَّ على نحلها العالم الراوية أبو بكر بن دريد (ت321هـ) ، حينما نقل عنه تلميذه أبوعلي القالي (ت 356هـ) وذلك في معرض مدح القالي لخلف الأحمر ، وعلمه الغزير بالشعر ، وتمكنه منه وإعجابه به [16]، وليَ عدة ملاحظات على هذه الرواية تتمثل فيما يأتي :

1) أول من أطلق اسم لامية العرب على هذه القصيدة ، هو سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه ت 23هـ) في قوله[17]: ( علموا أولادكم لامية العرب ، فإنــَّها تعلمهم مكارم الأخلاق ) ، وأكد هذه التسمية (لامية العرب) كلٌّ من : أبو البركات عبدالله بن الحسين [18]، وسليمان بيك بن عبد الله بيك الشاوي [19] ، وأحمد بن مصطفى المعروف بطاش كُبري زادة [20] .
2) مخطوطة ديوان الشنفرى كتبها العالم الراوية ، أبو فيد مُؤرج بن عمرو السدوسي (ت 196هـ) ، وصنع منها ديوان شعر الشنفرى ، وقصيدة لامية العرب من ضمن القصائد المخطوطة ، وبذلك تكون

---

[16] أمالي القالي : 156/1 ؛ طبقات النحويين واللغويين : 162 – 163 .

[17] الغيث المسجم في شرح لامية العرب : 27/1 .

[18] رشف الضرب من شرح لامية العرب :70 .

[19] سكب الأدب على لامية العرب : 89 .

[20] مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم :225/1 .

اللامية قيد التداول ويتناقلها الرواة منذ العصر الجاهلي إلى عصر التدوين ، وقد حقق الأستاذ الدكتور علي ناصر غالب الديوان المخطوط تحقيقا علميا ممتازا ، والقصيدة ضمن الديوان المحقق وتحت التسلسل السابع [21] وتبنتْ نشر ديوان الشنفرى ، دار اليمامة في الرياض ، في المملكة العربية السعودية سنة 1998م ، وتمتْ فهرستهُ في مكتبة الملك فهد الوطنية ؛ وقبل طباعته النهائية ، أُوكلتْ مهمة مراجعتهُ إلى الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع ؛ أستاذ الأدب العربي الجاهلي في كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، وكتبَ مقدمتهُ الأولى شيخ المحققين المرحوم الأستاذ حمد الجاسر والذي أكد فيها ، ومن خلال دراساتهِ أنَّ اللامية للشنفرى وقد استشهد في المقدمة بعدة أبياتٍ منها ، فضلا عما سبق فقد نسبها العالم اللغوي والنحوي ابن جني إلى الشنفرى في روايةٍ مقروءةٍ على شيخه أبي علي الفارسي[22] ، ومعنى مقروءة ، أنـــَّها كانت مكتوبة ، ولو كانت شفوية لقالوا : أنشدها ، لأنَّ القراءة للرواية المكتوبة ، والإنشاد للرواية الشفوية ، وبذلك بطــَلتْ بدعة انتحالها التي شاعت في القرن الرابع الهجري .

3) أما ما ذُكِرَ عن ابن دريد من أنَّ خلف الأحمر صنعها ، ثم نحلها للشنفرى ، فهذا أمرٌ غير منطقي ، وغير مقبول ، لأنَّ ابن دريد لم

---

(21) ديوانه : 66 .

(22) سر صناعة الإعراب : 46/1 ؛ المنصف : 15/3 ؛ ويلاحظ ديوانه المحقق : 32 .

يذكر ذلك ، والرواية مفتراة عليه ، وهي متجنية كاذبة ، فابن دريد كان ممن يجلون خلف الأحمر ، ويحترمون شخصه وعلمه وذلك على لسان أبي علي القالي نفسه ؛ فقد كان يقول ويكرر [23] : ( كنتُ أنا كثير التعطف للأصمعي فكنتُ أسأل أبا بكر ابن دريد كثيرا عن خلف والأصمعي أيهما أعلم ؟ فيقول لي : خلف ، فلما أكثرت عليه انتهرني وقال : أين الثماد من البحور) الذي يقرأ النص بتمعن وتجرد ، يشعر أنّ أبا علي وعلى الرغم من معرفتهِ بأنَّ خلفَ الأحمر كان أعلمُ من الأصمعي (ت 216هـ) ، فإنـــَّهُ كان يلحُ بإصرار على إعادة السؤال على شيخهِ أبي بكر ابن دريد ، لعله يسمع جوابا مخالفا للإجابات السابقة ، فيثبته ويسقط الإجابات الأخرى ، ولما كان ابن دريد يمتلك عقلية علمية فذة ، أحسَ بأنَّ القالي يريد تحريف الحقيقة ، فزجره وانتهره قائلا : إنّ علم خلف الأحمر ، غزير مثل البحر البعيد القرار ، فيما يكون علم الأصمعي ثمادا ، أي قليلا ضحلا قياسا إلى علم خلف الأحمر ، ومن هنا نفهم التحامل الذي يحملهُ أبو علي القالي على خلف الأحمر ، ولو على حساب تحريف الحقائق علما أنَّ أبا علي القالي لم يطعن بخلف الأحمر بشكل مباشر ولكنـــَّهُ كان يتخفى وراء قناع وجعل مصدر روايته ابن دريد ، لعله يزيد التهمة قوة وقبولا عند الدارسين والباحثين ، وكان ابن دريد يدرك مرامي القالي ؛ لذلك كان يزجره وينهاه ، وأنا أرجح أنَّ القالي صنع هذه الرواية بعد وفاة ابن دريد إنْ صحت الرواية ولم تكن موضوعة على القالي .

---

[23] معجم الأدباء : 128/18 .

4) أبو علي القالي نفسه يدحض رواية النحل السابقة ، ويؤكد أنَّ اللامية هي للشنفرى رواية عن شيخهِ ابن دريد ، وذلك في كتابه النوادر [24] والذي كتبهُ بعد كتاب الأمالي ، ومن هنا أقول : إنَّ رأيَ أبي علي القالي المعول عليه هو الأخير ، وليس الأول – إذا صح الرأي الأول للقالي – وبذلك يكون خبر الأمالي موضوعا عليه ، علما أنَّ الأمالي هو من كتابة تلامذتهِ ، والنوادر كتبهُ القالي بخط يدِّهِ ، وما يُؤخذ من الرجل من فمهِ ، وبطريق مباشر أصدقُ مما يُؤخذ من غيرهِ ، وبطريق غير مباشر ، أو أنـــَّهُ حدثتْ صحوةُ ضمير عند القالي في أواخر عــُمرهِ ، فصحح ما أملاهُ سابقا ، فنسب اللامية للشنفرى ، ولم يقل صنعها خلف الأحمر .

5) هذا أبو المنذر سَلمة بن مُسلم العــَوْتبي الصحاري ، وهو من علماء النسب وصاحب كتاب الأنساب ، ((وهو كتاب مخطوط لم يحقق بعد )) ؛ وقف عليه الدكتورعلى ناصر غالب خلال تحقيقه الديوان ، يؤكـــد صحة نسبة اللامية للشنفرى ، وذلك من خلال استشهاده بأثني عشر بيتا الأولى من القصيدة[25].

**ثانيا** – روى المرزباني ( قال الأصمعي [26]: كنت بين يدي الرشيد في يومٍ قــَرٍّ ، إذ دخل سُعيدُ بن سَلم ،

فقال : يا سُعيدُ أنشدني في البرد فأنشدهُ لمرة بن محكان السعدي :

---

[24] نوادر أبي علي القالي : 203 – 206 .

[25] مخطوطة كتاب الأنساب للصحاري .

[26] نور القبس المختصر من المقتبس : 134 .

وليلة مـــن جُمادى ذاتِ أنديَةٍ لا يُبصِرُ الكلبُ من ظَلمائها الطُنُبا

لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتـــى يلفَّ خَيشـــومهُ الذَّنبـــا

فقال أريد أبلغ من هذا فأنشدتهُ :

وليلةٍ قَرٍّ يصطلي القوسَ ربُّها وأقـــدُحهُ اللاتـــي بهـــا يتنبَّـــلُ

فقال : يا أصمعي حسبك ما بعد هذا شيء ! )) .

الأصمعي في هذا النص لا ينسب البيت للشنفرى ؛ وهو من لامية العرب ، فالأصمعي وهو في حضرة الرشيد العباسي ، لا يريد أنْ تظهر روايتهُ محدودة ، فاتكأ على رواية خلف الأحمر ، ولكنهُ غيَّبَ اسم الشاعر والراوي خوفا من الرشيد ؛ لأنَّ راوي اللامية ممن يتعارضون عقائديا وسياسيا مع الدولة العباسية والمناهضين لهم ، فلا يسمح الرشيد ، ولا غيره من العباسيين لكائن من يكون ، ذكر أسماء من يعارضونهم وأشعارهم ، فضلا عن أنَّ الأصمعي نفسه كان يتقاطع مع الأحمر عقائديا ، لذلك فهو لا يروي شعره . ولما كان خلف الأحمر علوي الهوى ، فهو إذن من الذين لا يُسمح برواية أشعارهم ، ورواياتهم الإخبارية ، وهذا التقاطع العقائدي والسياسي كان سببا في تغييب اسم الشاعر وراويها .

**ثالثا** – هذه طائفة من كبار العلماء الرواة ، ممن نقلوا لنا أشعار العرب الجاهلية والإسلامية ودونوها في المجاميع والكتب المختلفة ، وهم جميعا يؤكدون صحة نسبة اللامية للشنفرى وهم كلٌ من :

1) ابن جني في المنصف ، والمحتسب ، (ت 293هـ) .
2) الشمشاطي في الأنوار ومحاسن الأشعار (ت 377هـ) .

3) أبو أحمد العسكري في المصون في الأدب (ت 385هـ) .

4) أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين (ت 395هـ) .

5) المرزوقي في شرحه ديوان الحماسة (ت 421هـ) .

6) الشريف المرتضى في أماليه (ت 436هـ) .

7) المعري في رسالة الغفران (ت 449هـ) .

8) العكبري في شرحه اللامية (ت 456هـ) .

9) أبو عُبيد البكري في معجم ما استعجم (ت 487هـ) .

10) القاضي التنوخي في القوافي (487هـ) .

11) التبريزي في شرحه ديوان الحماسة (ت 502هـ) .

12) الزمخشري في شرحه أعجب العجب في شرح لامية العرب (ت538هـ) .

13) ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (ت 542هـ) .

14) أسامة بن منقذ في المنازل والديار (ت 584هـ) .

15) صلاح الدين خليل بيك الصفدي في الغيث المسجم (ت 764هـ) .

ثم توالت الشروح والاستشهاد بها في كتب النحو والأدب منسوبة للشنفرى ، حتى العصر الحديث ، أقول بعد كلِّ هؤلاء العلماء الثقات ، هل يمكن لأحد أنْ ينسب اللامية لغير الشنفرى ؟ وهل كلُّ هؤلاء العلماء الرواة كانوا مغفلين حتى يقبلوا برواية قصيدة منحولة ويذيعوها بين الناس ، بالتأكيد لا يصح ذلك ، ولا يقبلون به ، فهي إذن من إبداع الشنفرى وليس خلف الأحمر .

**رابعا** : المستشرقون المؤيدون والمعارضون لصحة نسبة القصيدة للشنفرى : فمن المؤيدين لصحة نسبتها المستشرق الألماني جورج ياكوب الذي أسماها نشيد الصحراء ، وأيد ياكوب المستشرقان جايريللي ، بروكلمان [27] وغيرهما ، وأما المستشرقون الشاكون بصحة نسبتها للشنفرى ، فهو المستشرق الفرنسي بلاشير [28] ، المستشرقون المؤيدون هم من العلماء المنصفين ، أما الشاكون فهم من المتحاملين على الإسلام ولغته العربية ، وهدفهم الطعن في كل ما هو عربي إسلامي خدمة لمآربهم الضيقة ، فالمستشرق الألماني تيودور نولدكه – على سبيل التمثيل – الذي كتب بالألمانية تاريخ القرآن ، وحياة محمد ، ودراسات في شعر العرب القدماء ، قد أساء إلى القرآن الكريم وعدَّهُ من بنات أفكار الرسول محمد ، وكذلك أساء إلى رمز الإسلام وقدوة المسلمين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) لذا يجب التعامل مع أفكار نولدكه الهدامة بحذر شديد ، فالذي يطعن بالقران ويشكك بنزوله من الله ، وينتقص من شخصية الرسول ، ألا يطعن بالأدب ! فهو إذن ينفث سموم الحقد والكراهية في جسم الأدب العربي [29] أما المستشرق الفرنسي بلاشير فقد قال [30] :

---

[27] تاريخ الأدب العربي ؛ بروكلمان : 106/1 – 107 .

[28] دائرة المعارف الإسلامية : 395/13 – 396 ؛ تاريخ الأدب العربي ؛ بلاشير : 111/2 .

[29] الأعـــــلام : 79/2 .

[30] تاريخ الأدب العربي ( بلاشير ) : 1 / 130 .

(( لا يسعنا إلا  مشاطرة الدكتور طه حسين حكمه القاسي على هؤلاء المخبرين تاركين جانبا تملقهم وبراعتهم التطفلية ) ، أراد بلاشير بالمخبرين العلماء من رواة الشعر العربي ، إذن بلاشير وباعترافه يتفق مع طه حسين بالتشكيك بنزاهة العلماء من رواة الشعر العربي ، وبذلك ينضم  بلاشير إلى طه حسين في محاولاته البائسة لنسف التراث الأدبي للعرب وإنكاره ، ومحاولة استئصال جذوره ، وبلاشير جيءَ به لتحقيق ما عجز عن تحقيقهِ سلفه السيئ  الصيت مارجليوث ، والعمل على بث الشك والريبة ، فضلا عن زعزعة ثقة القارئ العربي بتراثه العربي ، وذلك من أجل تمزيق وحدة المجتمع العربي الإسلامي ، فوجد نولدكه وبلاشير ضالتهما في لامية العرب فانضموا الى قائمة المشككين بصحتها  .

فهل بعد مواقف المستشرقين من الإسلام والنبي العظيم ، والقران الكريم ، والتراث العربي ، نعولُ في أحكامنا على ما يقوله نولدكه وبلاشير ؟

**خامسا** : وعلى نسق المستشرقين نجد ثلاثة من أساتذة الأدب المعاصرين ، يرفضون صحة نسبة القصيدة للشنفرى وهم : السيد مصطفى صادق الرافعي في كتابه ((تاريخ آداب العرب)) [31] ، والدكتور محمد مهدي البصير في كتابه ((عصر القران)) والدكتور يوسف خليف في كتابه ((الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)) [32] فقد سار هؤلاء الأساتذة

---

[31] تاريخ آداب العرب : 395/1 – 396 .

[32] عصر القرآن : 78 .

على خطى أسلافهم الرافضين لصحة نسبة القصيدة للشنفرى ، فالرافعي حكم على القصيدة بلا حجة وبلا دليل ؛ ونحن نقول له : البينة على من ادعى ، فما هي بينتك يا رافعي ؟ أما ما قاله الدكتور البصير من أنَّ [33] : (( القصيدة تسيءُ إلى سمعة العرب وتصفهم باللصوصية وقتل النساء وتيتيم الأطفال ...الخ )) ؛ فالسؤال هنا موجه للجميع ، ألم يكنْ العرب قبل الإسلام يعيشون في الظلمات ؟ وجاء الإسلام لينقلهم منها إلى النور ، ومن تلك الظلمات الصعلكة والفتك . أما قتل النساء ، ألم يكنْ العرب يئدون البنات ؟ وهو قتلها في مهادها ؛ ويقوموا بالغارات المتبادلة فيما بينهم ، وما يترتب عليها من قاتلٍ ومقتول ، وثأر وطلب للثأر ، وما ينجم عن ذلك من أيتام وأرامل ومعوقين ، فضلاً عن سبي النساء والأطفال ، وقتل المعارضين لهم من الرجال والنساء ، فهل بعد هذا كان المجتمع العربي قبل الإسلام مثاليا ؟ فإن كان كذلك ، فلِمَ بعث الله تعالى نبيه الكريم محمدا ( صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ) ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأما الدكتور يوسف خليف فعذره أنه درس الشعراء الصعاليك فاجتهد ورأى ، وهذا رأيه ، ونحن نحترم رأيه وإنْ كان مخطئا .

**سادسا** : بعد ذلك وجدنا عشرة باحثين محدثين يؤيدون صحة نسبة القصيدة للشنفرى وهم :

1) الدكتور محمد بديع شريف في تحقيقه كتاب ((لامية العرب أو نشيد الصحراء)) .

---

(33) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : 179 – 181 .

2) الدكتورعبدالمعين ملوحي في كتابه ((اللاميتان – لامية العرب ولامية العجم )).

3) الدكتور محمود العامودي في تحقيقه شرح ((لامية العرب للنقجواني)) .

4) الدكتوريوسف اليوسف في كتابه ((مقالات في الشعر الجاهلي)).

5) الدكتورمحمد خير الحلواني في تحقيقه ((شرح اللامية للعكبري )).

6) الدكتورعـــبداللطيف حمودي الطائي في كتابه ((إشكالية الرواية والرواة)) .

7) الدكتور علي ناصر غالب في تحقيقه ((ديوان الشنفرى)) .

8) الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع في مراجعته ((ديوان الشنفرى)) المحقق .

9) شيخ المحققين المرحوم حمد جاسر في كتابته لمقدمة ((ديوان الشنفرى المحقق)) .

10) الأستاذ عبدالعزيز ابراهيم في لامية العرب الذي رجح فيه نسبة اللامية إلى الشنفرى [34] .

فالمجموع يكون عشرة أساتذة محدثين مؤيدين ، وثلاثة رافضين بالنسبة للعرب . وأما المستشرقون فهم أكثر من ثلاثة يؤيدون صحة النسبة ، وإثنان فقط هما الرافضان ، والحكم لأصحاب الإنصاف والعدل ، هل الكثرة من العلماء القدامى والمحدثين فضلا عن المستشرقين على صواب ؟ وهل القلة القليلة صاحبة الرأي الضعيف والمتذبذب ، على صواب .

---

[34] لامية العرب – لعبدالعزيز إبراهيم : 23- 61 .

**سابعا :** وأما ما توصلت إليه بعض الدراسات من استنتاجات من أنَّ كثيرا من ألفاظها إسلامية[35] ولا يمكن الاطمئنان إليها وقبولها ، لأنَّ ما يُـبنى على خطأ ، تكون نتائجه بالمحصلة النهائية غير صحيحة ، وسأفند مثالا واحدا من هذه الاستنتاجات ليطلع القارئ الكريم على تحميل النصوص فوق طاقتها ، ولـيَّ عنق الحقيقة لصالح غرض معين ! والمثال هو [36] :

وفي الأرضِ منأىً للكريمِ عن الأذى وفيها لمن خافَ القِلى متغزَّلُ

علق الباحث على البيت قائلا : فيها معنى قوله تعالى في المستضعفين[37]: { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها }

وقوله تعالى [38]{ وضاقت عليكم الأرض بما رحبت } .

تعليق الباحث لا ينسجم مع الشاهد ، بل يدخل ضمن تناص الشعر الجاهلي مع القرآن الكريم [39]، وذلك لأنَّ العرب لم يكونوا وثنيين بالمعنى المطلق ، فهم يعرفون الله والأنبياء والرسل ، والديانات السابقة لهم مثل الحنيفية واليهودية والنصرانية ، والشعر الجاهلي حافل بالكثير من هذه الشواهد ، وسأورد مثالا واحدا على ذلك هو قول الشاعر حاتِم الطائي[40] :

أمَا وَالذي لا يعلم الغيبَ غيرُهُ ويُحيي العظامَ البيضَ وَهِيَ رَميمُ

---

[35] لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر : 13 .

[36] ديوانـــــه : 67 .

[37] سورة النساء ؛ الآية : 97 .

[38] سورة التوبة ؛ الآية : 25 .

[39] تناص الشعر الجاهلي مع القران الكريم ؛ بحث ألقيتــُهُ في المؤتمر العلمي لكلية الآداب – جامعة تكريت لسنة 2011م .

[40] ديوان حاتم الطائي : 184 .

عندما ندقق النظر في قول حاتِم الطائي ، سيتأكد لنا بما لا يقبل الشك أنَّ الرجلَ لم يكنْ مشركا ، ولا وثنيا ، بل كان من الموحدين الأحناف الذين يؤمنون بالله وحده لا شريك له ، والأحنافُ هم بقايا دين نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وهم يؤمنون بأنـــَّهُ لا يعلم الغيبَ إلا الله وحده ، وأنـــَّهُ هو وحدهُ يُحيي ويُميت ، شأنهم في ذلك شأنُ أصحابُ الديانات السماوية الأخرى ، والقرآن الكريم أكدَ هذا في علم الغيب مع ما قاله حاتِم الطائي ، وصدَّقهُ في قوله تعالى [41] : { عالمُ الغيْبِ فلا يُظهِرُ على غيبهِ أحدا } ، ولكن اللافت للنظر هو الشطر الثاني من قول حاتِم الطائي يتطابق مع القرآن الكريم ، ففيه الآية : {... قالَ منْ يُحيي العظامَ وهيَ رَميمٌ }[42] ، وذلك التطابق المطلق يؤكد أنَّ العربَ يعرفون الديانات السماوية ويؤمنُ بها كثيرٌ منهم ، وحاتِم نفسهُ يقسمُ باللهِ قسما جازِما، وكأنـــَّهُ مسلمٌ ، سمِعَ القرآنَ الكريم ، وآمنَ به ، علما أنَّ حاتِما الطائي مات قبل الإسلام بأكثر من سبعين عاما تقريبا . وهذا زُهير بن أبي سلمى شاعرُ الحكمةِ والسلام ، وهو الآخر لم يدرك الإسلام ، لكنه يؤكد صحة ما قالهُ حاتِم الطائي ، ويؤمن به ، وذلك بعدَ ما مرَّ على شجرةِ عِضاةٍ مُخضرةٍ ، وكان قد رآها قبل ذلك يابسةً ، فخاطبها قائلا [43] : ( لولا أنْ تسُبني العربُ ، لآمنتُ أنَّ الذي أحياكِ بعدَ يَبْسٍ ، سَيُحْيي العظامَ وهيَ رميمٌ ) ، والسين التي جاءت في (( سيُحْيي )) هي لما يُستقبل من الزمان ،

---

[41] سورة الجن : الآية 26 .

[42] سورة يس : الآية 78 .

[43] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : 277/2 .

سواءا كان قريبا أم بعيدا ، ومنها نفهم أنَّ زُهيرَ بن أبي سلمى يؤمنُ بالبعثِ والنشور ، وإحياء الموتى ، والحساب ، ومصداق ذلك قوله [44] :

يُؤخرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدخرْ　　　ليومِ الحسابِ أوْ يُعجلْ فينقمِ

وبذلك وجدنا حاتِما الطائي ، ومن بعده زُهير بن أبي سلمى يؤمنان بأنَّ الله سبحانه وتعالى ، يُحيي الموتى يوم الحساب ، وقد أكد زُهير هذه الرؤية مرة أخرى في قوله مخاطبا بنيه [45]: ( لولا أنْ تفندون ؛ لسجدتُ للذي يُحيي الأرضَ بعد موتِها ) .

**الخلاصة :**

من خلال ما تقدم في هذا البحث ، أقول بثقة مطلقة ، وأنا مطمئن إلى صحة ما توصلت إليه ، من إنَّ القصيدة (( لامية العرب )) هي من إبداع الشاعر الصعلوك الشنفرى ، وأنَّ خلفا الأحمر بريءٌ من نحلها براءة الذئب من دم يوسف ابن يعقوب ( υ ) وعلى الباحثين والدارسين أنْ يأخذوها ويتناقلوها وهم مطمئنون إلى صحتها ، وأنـــَّها قصيدة جاهلية لا غبار عليها ، وأخيرا أقول : إنْ أصبتُ في مسعاي فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب فذلك من تلقاء نفسي ، وحسبي أنـــَّي اجتهدت ، ولكل مجتهدٍ نصيبٍ ، والحمدُ لله أولا وآخرا ، وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

---

[44] شعره : 18 .

[45] جمهرة أشعار العرب : 1 / 70 .

**المصـــادر :ـــ**


- القرآن الكريم .
- الإشتقاق – لابن دريد الأزدي ( ت 321هـــ ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، د0ت.
- الأعـــلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العـــرب والمستعربيـــن والمستشرقيـــن ـــ خيـــر الدين الزركلي ، ط 3 ، 1389هـــ – 1969م .
- الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني ( 356هـــ) ؛ مصورة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العـــربية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر، القاهرة .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان – الجاحظ (ت 255هـــ) ؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ؛ مؤسسة الخانجي ؛ القاهرة ؛ ط 3 ؛ (د . ت ) .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب – محمود شكري الآلوسي (ت1270هـــ) ؛ شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري ؛ ط 3 ؛ ( د . ت ؛ د . م ) .
- تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي ؛ دار الكتاب العربي ؛ بيروت ؛ ط4 ؛ 1394هـــ – 1974م .
- تاريخ الأدب العربي ؛ كارل ؛ بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ؛ دار المعارف بمصر ؛ ط2 ؛ 1968م .

- تاريخ الأدب العربي – الدكتور ريجيس بلاشير ، تعريب الدكتور ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د0ت .
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء – أبو هلال العسكري الحسن بن عبدالله ابن سهل (ت395هــ) ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، 1969م .
- تناص الشعر الجاهلي مع القران الكريم : بحثٌ ألقيتهُ في المؤتمر العلمي لكلية الآداب – جامعة تكريت لسنة 2011م ؛ وسينشر ضمن بحوث المؤتمر إنْ شاء الله .
- جمهرة أشعار العرب – لأبي زيد القرشي ؛ شرحه وقدم له علي فاعور ؛ ط1؛ دار الكتب العلمية ؛ 1986م ؛ بيروت .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبدالقادر البغدادي (ت1093هــ) ؛ تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ؛ مكتبة الخانجي ؛ القاهرة ؛ ط3 ؛ 1409هــ – 1989م .
- دائرة المعارف الإسلامية : مجموعة من المستشرقين ؛ ترجمة إبراهيم زكي ؛ أحمد الشناوي ؛ الدكتور عبدالحميد يونس ؛ مكتبة دار الشعب ؛ القاهرة ؛ (د .ت).
- ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره – صنعة صالح بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي (ت 204هــ) ، دراسة وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د 0ت .

- ديوان الشنفرى الأزدي – برواية أبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت196هـ) ، تحقيق الدكتور علي ناصر غالب ، نشرته مجلة العرب السعودية ، ط 1 ، 1998م ، الرياض 0
- رشف الضرب من شرح لامية العرب – أبو البركات عبدالله بن الحسين بن مرعي المعروف بالسويدي (ت 1174هـ) ، دراسة وتحقيق عصام عكلة عبدالقهار الكبيسي ، وهي رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية – جامعة الأنبار ، 1422هـ – 2001م .
- سر صناعة الإعراب – ابن جني (ت 392هـ) ؛ تحقيق مصطفى السقا وزملاءه ؛ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ؛ 1954م ؛ القاهرة .
- سكب الأدب على لامية العرب – سليمان بيك بن عبدالله بيك الشاوي (ت1209هـ) ، دراسة وتحقيق مهند مجيد برع العبيدي ، وهي رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية – جامعة تكريت ، 1426هـ – 2005م .
- شعر زهير بن أبي سلمى – صنعة الأعلم الشنتمري (ت 476هـ) ؛ تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة ؛ منشورت دار الآفاق الجديدة ؛ ط 3 ؛ 1400هـ – 1980م ؛ بيروت .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي – الدكتوريوسف خليف ؛ ط 2 ؛ دار المعارف بمصر ؛ ( د . ت ) .
- الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حمّاد الجوهري ؛ تحقيق احمد عبدالغفور عطار ؛ ط2 ؛ 1399هـ – 1979م ؛ بيروت .

- طبقات النحويين واللغويين – الزبيدي (ت 379هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ دار المعارف ؛ القاهرة ؛ ط 2 ؛ 1984م .
- عصر القرآن – الدكتورمحمد مهدي البصير ؛ مطبعة العاني ؛ ط 2 ؛ بغداد ؛ (د . ت).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) ؛ تحقيق محمد محيي الدين ؛ دار الجيل ؛ بيروت ؛ ط 4 ؛ 1972م .
- الغيث المسجم في شرح لامية العرب – صلاح الدين خليل بيك الصفدي (ت764هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1975م ، بيروت .
- كتاب أعجب العجب في شرح لامية العرب – لفخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ) ، ط 3 ، طبعت على نفقة محمود أحمد ، بنظارة الأشغال بمصر ، 1324هـ .
- لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر ، دراسة بين الأصيل والمنحول من الشعر الجاهلي – الدكتورباسم ادريس قاسم ؛ منشور في مجلة التربية والعلم (مجلة كلية التربية – جامعة الموصل) المجلد 18 العدد الأول لسنة 2011م.
- مجلة آفاق الثقافة والتراث – دولة الإمارات العربية ؛ العدد 49 لسنة 2005م .
- مختارات أشعار العـــرب – ابن الشجري (ت 542هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

- مخطوطة كتاب الأنساب – لأبي المنذر سلمة بن مسلم العَوْتبي الصحاري ؛ وهي مخطوطة دار الكتب المصرية تحت الرقم 1642 تاريخ ؛ نقلاً عن ديوان الشنفرى تحقيق الدكتور علي ناصر غالب .
- المذاكرة في ألقاب الشعراء – أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني الأربلي ، المعروف بمجد الدين النشابي الكاتب ، تحقيق شاكر العاشور ، دار الشؤون الثقافية ، ط 1 ، 1988م بغداد 0
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – السيوطي (ت 911هـ) ؛ شرح وتعليق محمد جاد المولى ؛ محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ علي محمد البجاوي ؛ المكتبة العصرية ؛ صيدا ؛ بيروت ؛ 1408هـ – 1987م .
- معجم الأدباء والمؤلفين – لياقوت الحموي (ت 626هـ) ، دار الفكر ، ط3 ، 1980م ، القاهرة0
- معجم ألقاب الشعراء – الدكتور سامي مكي العاني ؛ 1971م ؛ النجف .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم – أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كُبري زادة ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ،1981م ، بيروت .
- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية ــ الإمام العــيني (ت 855هـ) ، وهو كتاب عــلى هامش خزانة الأدب ولب لباب لسان العــرب ، لعــبد القادر البغــدادي ، ط1 ، 1299هـ ، بولاق0

- المنصف – ابن جني(ت392هـ) تحقيق ابراهيم مصطفى ؛ عبدالله أمين ؛ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ؛ القاهرة ؛ ط 1 ؛ 1373هـ – 1954م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ أبو البركات الأنباري (ت 577هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، (د0ت)
- النوادر– لأبي علي القالي (ت356هـ) ؛ ط2 ، بيروت ، 1987م 0
- نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء للمرزباني (ت384هـ) – الحافظ اليغموري ؛ تحقيق رودلف زلهايم ؛ دار فرانتس شتاينر ؛ المانيا ؛ 1384هـ – 1964م .

# التمارين العلاجية [ الرياضة الطبية ]
# في التراث الإسلامي

**الدكتور محمود الحاج قاسم محمد**
طبيب أطفال ــ الموصل ــ العراق

**الدكتور عامر عزيز جواد**
اختصاص / فسيولوجيا التدريب الرياضي
معهد إعداد المعلمين – الانبار – العراق

**الملخــــص :**

**نعني بالرياضة الطبية ممارسة الألعاب الرياضية الهادفة إلى وقاية الجسم وعلاجه من بعض الأمراض وإن ما جاء في كتب الأطباء العرب والمسلمون متفرقا حول استعمال الرياضة الطبية للعلاج ، فيه الكثير من ألأفكار الصائبة . تناولنا في بحثنا هذا ما جادت به عبقريتهم حول ذلك ضمن محورين :**

**المحور الأول : أنواع الرياضة الطبية في التراث الطبي العربي الإسلامي**

**القسم الأول : رياضة المشي والقبض والبسط والتحريك في معالجة الألم والاسترخاء والشلل :**

**يعد الأطباء اليوم المشي أفضل رياضة يمارسها الإنسان في حالات الصحة والمرض . ذكرنا في البحث بعضا من أقوال البلخي وابن سينا والجرجاني و الرازي التي جاءت مطابقة لمفهومنا .**

**القسم الثاني : رياضة الاستحمــــام وأنواعها ( المعالجة المائية ) Hydro Therapy**

**تحتل المعالجة المائية إلى جانب المعالجة الحركية موقعا مهما في الطب الفيزيائي .**

ويؤكد الأطباء اليوم على أن الاستحمام والحمامات بأنواعها المختلفة ضروري لحفظ صحة الإنسان وإنعاش جسده وتقويته . وقد تناول الأطباء العرب والمسلمون موضوع الاستحمام والحمامات بالتفصيل إستعرض البحث بعضا من أقوالهم في :

أ – الاستحمام بالمـــاء الســـاخـــن ( العلاج بالحرارة ) :

ذكرنا أقوال الرازي ولسان الدين بن الخطيب وعلي بن العباس المجوّسي وابن سينا حول ذلك ، وأقوالهم أيضا حول إستعمال الحمام الساخن كطريقة لمعالجة الكثير من الحالات المرضية مثل قول ثابت أبن قرة في علاج النقرس وقول الرازي في معالجة الإعياء والأورام والمجوّسي في مداواة عرق النسا و قول ابن هبل عن استعمال الحمام للرياضيين .

ب – الحــمـــام الـــبـــارد ( العلاج بالبردة ) :

ذكرنا قول المجوّسي وإبن الخطيب وإبن هبل عن الاستحمام بالماء البارد ، كيفيته وشروطه وفائدته وأضراره .

ج – الاستحمـــام بالميـــاه المعـــدنـــيـــة :

إن تواتر ذكره في العديد من الكتب الطبية العربية دليل على انتشار استعماله والحصول من ذلك على فائدة علاجية ، على سبيل المثال ذكرنا قول المجوّسي وابن الخطيب في ذلك .

د – الحمّـــام الشمســـي والإندفـــان بالرمـــل :

الأطباء العرب والمسلمون مثل أبن سينا ، وإبن الخطيب أكدوا فائدة التعرض لأشعة الشمس في معالجة بعض الأمراض وقد إحتوى البحث أقوالهم .

**القسم الثالث : التدلـــيك ( المســاج ) كنوع من أنواع الرياضة الطبية :**

**ذكرنا في البحث ما تناوله الرازي وابن سينا وإبن هبل وابن خلصون والأنوري والمناوي في مسألة التدليك لتخفيف الوزن وتخفيف آلام المفاصل واسترخاء الأعضاء .**

**المحور الثاني : نماذج من استعمال الرياضة الطبية في العلاج في التراث الطبي العربي الإسلامي**

**1 – الرياضة الطبية كعلاج لتخفيف الوزن :**

**2 – النحافـــة وعلاجهـــا بالرياضة الطبية :**

**3 – الرياضة الطبية بالنسبة لكبار السن :**

**وبذلك نأتي على نهاية بحثنا الذي حاولنا فيه جمع آراء وأقوال الأطباء العرب والمسلمين حول هذا الفرع المهم من فروع الطب الذي لم ينل اهتمام الأطباء إلاّ في العقود المتأخرة .**

**المقدمـــة :**

تعرف التمارين العلاجية بأنها الحركات الجسدية التي تجري بالطرق ذات المنحنى الطبي ، من اجل إصلاح خلل أو تقوية أو تطوير أو تقويم الوظائف العضلية أو الهيكل العظمي ، أو من اجل العمل على إدامة واستمرارية امثل وانسب لوضعية للجسم . وهي جزء أساسي من إجراءات المعالجة الفيزيائية ، بل هي عمودها الفقري ، لما لها من دور أساسي في إعادة تأهيل المرضى للعودة بهم إلى الحياة الطبيعية في الحالات الصعبة للحد من عجزهم الوظيفي ، وتمكنهم من ممارسة حاجاتهم اليومية ما أمكن ذلك . وقد عرفها ( الدكتور فرانت كورش ) [(10 ، 2006 ، 6)] بأنها الاستخدام

العلمي لحركات الجسم والموضوعة خاصة لكي تحافظ أو تعيد العمل الطبيعي للنسيج المريض أو المصاب بأذى .

ونعني بالتمارين العلاجية ممارسة الألعاب الرياضية الهادفة إلى وقاية الجسم وعلاجه من بعض الأمراض والى تخفيف الاستهلاك الجسدي بشكل يستطيع الجسم القيام بأقصى طاقته واتزانه وتناسقه . ولذلك فإن هذه التمرينات لا تشمل التمرينات العنيفة ولا المرهقة التي تزيد العبء على الجهاز العصبي كالألعاب الذهنية التي تحتاج إلى إرهاق فكري ولا تلك التي تجهد الجسم وتزيد عبء القلب . كما أنها تعد تمارين ملائمة لكل أجزاء الجسم وتحافظ على حالة الجسم الصحية من دون إرباك الانسجام بين هرمونات الجسم الرئيسة ، وهي مفيدة للأصحاء والمرضى في نفس الوقت .

وقد أبدع الأطباء العرب والمسلمون في الاختصاصات الطبية المختلفة ، وما جاء في كتبهم متفرقا عن استعمال التمارين الرياضية للعلاج ، فيه الكثير من ألأفكار الصائبة والطروحات التي ما زالت تشكل ركائز أساسية في تطبيقات العلاج الطبيعي في الطب الحديث .

تناولنا في بحثنا هذا ما جادت به عبقريتهم عن التمارين العلاجية التي نصحوا بها واستعملوها في معالجاتهم ضمن محورين :

## المحور الأول

## أنواع التمارين العلاجية في التراث الطبي العربي الإسلامي

**القسم الأول :** المشي والقبض والبسط والتحريك في معالجة الألم والاسترخاء والشلل :

**قبل كل شئ نبدأ الحديث عن الصلاة باعتبارها وقاية ( فضل المشي إلى الصلوات ) :**

حيث يقصد بالمشي الانتقال من مكان إلى آخر بالاعتماد على الطرفين السفليين ، وهو من الفعاليات الوظيفية الحيوية والضرورية لكل إنسان .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ( من عدى إلى المسجد ، أو راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح ) . البخاري ( 2/ 124 ) مسلم (669 ) (21، 2005، 79).

وعنه أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قال ( من تطهر في بيته ، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضي فريضة من فرائض الله ، كانت خطواته إحداها تحط من خطيئة والأخرى ترفع درجة ) مسلم (666) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ( إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها مشيا ، فأبعدهم ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام ) البخاري (116/2) مسلم ( 662 ) (21، 2005، 80) .

وعن بريده ( رضي الله عنه ) قال : قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ( بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة ) أبو داود ( 561 ) الترمذي (223) ابن ماجه (781 ) (21، 2005، 81) .

ويعد الأطباء اليوم المشي أفضل رياضة يمارسها الإنسان في حالات الصحة والمرض وفي الطفولة والشباب والشيخوخة . كما يعتبرون

رياضة المشي العامل الأول في استعادة نشاط الجسم في حالات النقاهة من المرض وفي مرحلة الشيخوخة ولدى المتعبين والمصابين بالكآبة والتوتر النفسي والعصبي .

وقد كان الأطباء العرب والمسلمون على دراية تامة بذلك نذكر فيما يأتي بعضا من أقوالهم في هذا الباب :

يقول أبو زيد أحمد بن سهل البلخي( 235-322 هـ/ 849- 943 م ) ((إن مما تلزم الحاجة إليه في حفظ الصحة استعمال حركة المشي والركوب بقدر واعتدال ، فإنها تقوم – عند الحاجة إليها – مقام أشرف العلاجات وأكثرها نفعا ، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان وسائر الحيوان خلقة لا يستغنى معها عن استعمال الحركة والسكون في معاون حياته ، ومرافق معاشه ، والمناوبة بينهما )) (8 ، 2005 ، 465 )

ويقول أبو علي الحسين ابن سينا ( 371 -428هـ / 980 – 1037م ) : (( ومن مسكنات الأوجاع المشي الرقيق الطويل الزمان )) ( 4 ، ب.س ، 221 )

ويقول أبوسهل عيسى بن يحيى الجرجاني( المتوفى 401 هـ ) : (( وينفع في جميع أنواع الصداع مع مادة أو بخارات أن يستعمل في أوله السكون والدعة والنوم وفي آخره عندما تنتهي العلة ويأخذ في الانحطاط أن يستعمل المشي والرياضات أكثر)) ( 9 ، ب.س ، 451 )

وقد كان الرازي( 11، 1962 ، 37-40 ) ( 251 – 314 هـ / 865 – 927 م ) على وعي تام بأنواع الشلل والاسترخاء في الإنسان إذ تناول ذلك في كتابه الحاوي ، نقتطف فيما يلي بعضا من أقواله :

يقول (( الاسترخاء الحادث عن قطع العصب لا يبرأ )) .

(( وأما الفالج الكائن من انخلاع بعض الفقار وزواله فإنه قاتل )) .

(( وإن عرض الاسترخاء للأطراف فينبغي بعد العلاج الكلي أن يكثر قبضها وبسطها وتحريكها ودلكها فإن ذلك من أعظم علاجها )) .

**القسم الثاني – العلاج المائي وأنواعه Hydro Therapy**

وتعرف المعالجة المائية بأنها استعمال الماء الموضعي أو العام وبحالاته المختلفة( الصلب – السائل – البخار ) وبدرجة حرارة مختلفة لإغراض وقائية ، علاجية تأهيلية (22 ، 2005 ، 76) وتحتل المعالجة المائية إلى جانب المعالجة الحركية موقعا مهما في الطب الفيزيائي . ويمكن لكل منهما أن يكمل أو يعوض عن الآخر . وممكن الحصول على تأثيرات مدهشة باستعمال المعالجات المائية الخفيفة ومتوسطة التأثير ، كاستعمال الكمادات ، والحمامات الصغيرة والمتوسطة المختلفة التصنيف التقليدي للمعالجة المائية (22 ، 2005 ، 76) :

classical classification of Hydrotherapy

أولا :– استعمال الكمادات [ packs ] الحارة أو الباردة مع التدليك أو بدونه ، الكمادات الطينية والرملية والكهربائية وغيرها .

ثانيا :– استعمال الماء الجاري [ Running water ] الحار أو البارد أو المتناوب [ contrast ] التيار المائي المضغوط [ wall shower ] أو البارد أو المتناوب بضغوط مختلفة المساج ضمن الماء بالتيار المضغوط .

ثالثا :– استعمال الضغط المائي ألسكوني . أحواض الاستحمام المختلفة وبرك السباحة ، الحمامات الجزئية (للساق ، للساعد) . الحمامات

الكاملة ( الباردة أو الحارة ) ويمكن لجميع الحمامات السابقة أن تكون متصاعدة أو متنازلة في درجة الحرارة .

رابعا :- الحمامات الخاصة ، تعد المعالجة الحركية ضمن الماء من أهم هذه الحمامات تليها الحمامات الطينية والكيميائية والكهربائية .

خامسا :- الحمامات من دون ضغط مائي سكوني ، واهم هذه الحمامات هي ، ( حمام الساونا ، الحمامات البخارية ) .

ويؤكد الأطباء اليوم على أن : (( الاستحمام والحمامات بأنواعها المختلفة لغاية صحية ضروري لحفظ صحة الإنسان وإنعاش جسده وتقويته حتى لا يسد مسام الجسم بإفرازات العرق فيتوقف الجلد عن إتمام وظيفته فتبقى كل المواد اللازم خروجها من الجسم كامنة فيه فتدور مع الدم وتفسده وتساعد على حدوث أمراض جلدية كثيرة .

وهي أيضا من مستكملات الإعداد البدني للفرد السليم الذي يحافظ على التمرين المتواصل حفظا على لياقته البدنية . وهي لغاية علاجية ضرورية جدا لما لها من تأثير على الجسم وتأثير موضعي . فالتأثير العام مسكن أو منبه أو حراري أو ضغطي أو مضاد للجاذبية والتأثير الموضعي فهو مخفف للآلام )) ( 19 ، 1988 ، 203 )

وقد تناول الأطباء العرب والمسلمون موضوع الاستحمام والحمامات بالتفصيل نستعرض فيما يلي بعضا من أقوالهم :

**أ – الاستحمام بالمـــاء الســـاخـــن ( العلاج بالحرارة )** ( 17 ، 2005 ، 91 )

تتألف العضلة من 90% ألياف الكولاجين و 10% ألياف مرنة .

وللكولاجين خواص مرنة ولزجة ، التي تعني كلما زاد الحمل على

العضلات أصبح الكولاجين أقسى ( اقل مرونة ) واقل قابلية للامتداد .
والحرارة تزيد المرونة والترميم ، وبالتالي تصبح ألياف الكولاجين أكثر قابلية للامتداد لإجراء التمارين التي تقلل من قساوة المفاصل وتريح التشنجات العضلية ، وبالتالي تقلل من خطر الإصابة .

يقول الرازي (( من منافع الحمام ، توسيع المسام ، وإذهاب الحكة والجرب ، وتليين اللحم ، وإعداد البدن للإستغذاء ، ومــط العضلات المتشنجة ، وفش الرياح ، وإنضاج النزلة والزكام ، وتسهيل البول العسر وحبس الطبيعة الملتصقة )) ( 12 ، 1991 ، 39 )

ويقول لسان الدين بن الخطيب ( 713 – 776 هـ / 1313 – 1347 م ) في ذلك :

(( قالوا – من منافع الحمام أن يطري البدن ويفتح المسام ويحلل الأوساخ التي ترتبك فيه ويخفف الامتلاء ويفش الرياح ويجلب النوم ويرقق الأخلاط ويسكن الأوجاع ويمنع الخلفة ( الإسهال ) ويذهب بالإعياء ويهيئ البدن للإغتذاء )) ( 2 ، 1988 ، 212 )

ويقول علي بن العباس المجوّسي ( كان حيا 384 هـ / 944 م ) :

(( الاستحمام إنما يستعمله الأصحاء بعد الرياضة لاستفراغ ما لم يتحلل جيدا بالحركة وليرطب ما حدثته الحركة من اليبس وينظف الأوساخ الحادثة عن البخارات من البدن وعن الغبار الواقع عليه بعد الرياضة ، وأجود أوقات الاستحمام للأصحاء لحفظ صحتهم بعد الرياضة وقبل الغذاء )) .

(( أما المرضى فيستعملون الاستحمام بحسب الحاجة الداعية إليه وهو إما أن يستفرغ وإما أن يسخن المزاج وإما ليبرده وإما ليرطبه وإما ليجففه وقد ينفع مع ذلك من الحكة والجرب ... ويلين الأعضاء المشنجة ... فينضج النزلات والزكام ... ويسهل عسر مجيء البول ... وينفع القولنج وغير ذلك من الأمراض )) ( 14 ، 1294هـ ، 173-174 )

وينصح ابن سينا بعدم الإطالة في الحمام فيقول : (( إنما يحتاج إلى الحمام من يحتاج إليه منه حرارة لطيفة وترطيبا معتدلا فلذلك يجب على هؤلاء أن لا يطيلوا اللبث فيه بل أن يستعملوا الأبزن ( الحوض = البانيو ) ... ريثما تحمر فيه بشرتهم وتربو ويفارقونه عندما يبتدئ يتحلل ويجب أن يندو الهواء بصب الماء العذب حواليهم ويغتسلوا سريعا ويخرجوا ، ويجب أن لا يبادر المرتاض إلى الحمام حتى يستريح بالتمام )) ( 4 ، ب.س ، 162 ) .

وقد استعمل الأطباء العرب والمسلمون الحمام الساخن طريقة لمعالجة الكثير من الحالات المرضية على سبيل المثال :

عن علاج النقرس يقول ثابت بن قرة :

(( ومن النافع في هذا الوقت صب الماء البارد عليه وحده والذي طبخ فيه من ورق العليق أي الخوخ ... أو الأسمن أو قشور النبق أو قشور الرمان أو أطراف أغصان الورد ... فإن كان قد أتى للوجع مدة ووضع العليل العضو في الماء الحار لحظة ثم يخرج ويوضع في الماء البارد نفع )) ( 18 ، 1928 ، 123 ) .

ويقول الرازي في معالجة الإعـــيــاء :

(( من أصابه إعياء وتعب شديد فليستريح – إذا نزل – ساعة ثم يدخل الحمام . فإن لم يصادف حماما فليدخل في ماء حار هنيهة بقدر ما تلين بشرته وتحمر . ثم يتدلك تدليكا لينا ويغمر مفاصله . ثم يمرخ بالدهن ... ويستريح وينام نوما طويلا ، ويزيد في الوطئ والدثار حتى إذا انتبه من نومه فليعد التدلك والحمام والمرخ ثم يرجع إلى عادته )) ( 13 ، 1987 ، 292 ) .

ويقول الرازي أيضا في مـــداواة الأورام :

(( وأما الأورام الرخوة فيصح لها الكماد والتنطيل بماء البحر الحار ووضعه عليه ... ومتى استحموا فليدلكوا بالنطرون ونحوه وليستعملوا في أوقات الراحة الرياضة ودلك الأطراف خاصة ومياه الحمامات ( العيون الطبيعية ) والإندفان في الرمل الحار )) ( 11 ، 1962 ، 138 ) .

ويقول المجوّسي في مداواة عرق النسا :

(( ينبغي أن يمسح العضو بدهن السمسم المدقوق في الهاون المستخرج دهنه ، ويدخل البيت الأوسط من الحمام وينطل عليه كما قلنا الماء الحار المعتدل الحرارة )) ( 14 ، 1294 هـ ، 443 ) .

**ب – الحـــمـــام الـــبـــارد ( العلاج بالبردة )** ( 17 ، 2005 ، 91 )

وهي طريقة شائعة ومهمة في علاج الأنسجة الرخوة الحادة ، والهدف هو إقلال النزف والتورم الناتجين من خلال تمزق في الأوعية الدموية في الإصابات . ويساعد التبريد في علاج الألم في الإصابات

الطارئة ، والتأثير الأساسي للتبريد هو إنقاص تدفق الدم عن طريق تقليص الأوعية الدموية ، ويعمل أيضا كمسكن موضعي يخفف الألم .
المفهوم الحديث للحمام البارد يمكن تلخيصه بما يأتي :

(( يعتبر الحمام البارد إذا كانت حرارته تحت 30 سْ ومن خواصه أنه يقلص المسامات الجلدية وكل أنسجة الجسم فيقلل التبخير الجلدي ويزيد الامتصاص .

والمستحم بالماء البارد يشعر ببرودة في جسمه يعقبها بعد خروجه من الماء الحار حرارة لطيفة هي نتيجة رد فعل وتزداد هذه الحرارة بالتنشيف الجيد ودلك الجسم بمناشف قوية ، وبذلك يدور الدم جيدا على الجسم فيمكنه أن يقاوم جميع المؤثرات الجوية )) ( 19 ، 1988 ، 193 ).
والحمامات الباردة تنبه الأعصاب والأوعية الدموية وتعيد إليها حساسيتها وتقوي نشاط الدورة الدموية .

واستعمال الماء البارد لتنشيط الجسم ذكره أغلب الأطباء العرب والمسلمين نكتفي هنا بهذه الأقوال يقول المجوّسي عن الاستحمام بالماء البارد ، كيفيته وشروطه وفائدته وأضراره ما يأتي :

فأما الاستحمام بالماء البارد العذب فإنه يبرد البدن ويرطبه وقد يسخن العضو بالعرض عندما يكثف المسام ويحقن الحرارة داخل الجسم ، ولذلك صار الاستحمام بالماء البارد بعد الطعام مما يعين على جودة الهضم ، وقد تختلف أفعال الاستحمام بالماء البارد من قبل السحنة والسن والوقت الحاضر . أما من قبل السحنة فإنه متى كان المستحم بالماء البارد سنه منتهى الشباب والوقت ... صيفا زاد في قوته الحرارة الغريزية قوة

الأعضاء وجودة الاستمراء وينبغي أن يفعل ذلك بعد أن يدلك البدن ... وإن كان البدن قليل اللحم غاص البرد إلى عمق وبرده حتى يصل البرد الأعضاء الشريفة فتخمد الحرارة الغريزية ... كذلك قد يضر الاستحمام بالماء البارد ، إن كان شيخا أو في زمان شتوي بارد )) (14 ، 1294 هـ ، 175) .

وعن الاغتسال بالماء البارد أيضا يقول ابن الخطيب :

(( الماء العذب البارد يشد البدن ويقويه ، والاغتسال بالماء البارد لا يصلح إلاّ بمن كان تدبيره من كل الوجوه موافقا سنه وقوته وسحنته مناسبا ... ولا يصلح الاغتسال بالمياه الباردة بالشيخ ولا بالصبي ولا بصاحب التخمة ولا عند القيء والإسهال والسهر ، ويختار له وقت النشاط والاستنشاق إلى البارد ، وأفضله في الصيف عند الظهيرة لمن لا يحتمله في سائر الفصول )) (2 ،1988 ، 212) .

ويقول ابن هبل عن الاستحمام بالماء البارد :

(( وأما الاستحمام بالماء البارد فيصلح لمن كان مزاجه حارا قويا ويتدرج فيه من أيام الصيف إلى أن يصير استعماله له عادة ، وإن كان يجلس فيه فليلبث مقدار ما لا يقشعر منه الجلد ، وإن كان بعد الاستحمام بالماء الحار يستعمل لأجل تقوية البشرة والأعضاء فلا يجوز أن يكون شديد البرد بل معتدلا ... ولا يجوز أن يستعمله الصبي والشيخ ومن تركيبه ضعيف )) (5 ، 1362 هـ ، 211) .

ج – الاستـــحمـــام بـــالمـــيـــاه المـــعـــدنـــيـــة :

إن تواتر ذكره في العديد من الكتب الطبية العربية دليل على انتشار استعماله والحصول من ذلك على فائدة علاجية ، على سبيل المثال يقول المجوّسي :

(( أما الاستحمام الذي يكون بالماء الذي ليس بعذب فإن كله مجفف للبدن وإن كان الاستحمام بالماء المالح حارا أسخن وجفف ونفع من الرطوبات التي تتحلب إلى المعدة والصدر . فأما الماء الذي قوته قوة الكبريت فإنه يسخن ويجفف ويسكن أوجاع العصب العارضة من الرطوبة ، وكذلك أيضا الماء الذي قوته قوة النفط فإنه ينفع من مثل ذلك . فأما الماء الذي قوته قوة الحديد فإنه ينفع المعدة والطحال وهو مسخن مجفف ، فأما الذي قوته قوة الشب فإنه يبرد ويجفف ويمسك البطن فمن قبل هذه الأشياء يختلف فعل الاستحمام بالماء في البدن )) ( 14 ، 1294 هـ ، 176 ) .

ويقول ابن الخطيب في ذلك قولا مشابها :

(( ولسائر المياه فيه أحكام ، فالمياه النطرونية والحجرية والكبريتية والرمادية والمالحة ، طبعا أو علاجا ، تحلل وتلطف وتزيل الرهل وتنفع انصباب المواد إلى القروح ، والنحاسية والحديدية تنفع من أمراض البرد والرطوبة والاسترخاء والربو ووجع المفاصل والبورقية تجلو وتنفع الرؤوس القابلة للمواد والاستسقاء ، والشبية والزاجية تنفع من نزف الدم من المقعدة وأمثال ذلك . والكبريتية كماء الحمّات تنقي الأعصاب وتحلل الزمانات وتذهب الفضول ، والمياه الحمية تملأ الرؤوس فيجب على المستحم بها أن لا يغمس رأسه )) ( 2 ، 1988 ، 212 ) .

ومن الأمثلة على المياه المعدنية ما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة 623 هـ :

(( وفيها أعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة ، شديدة الحرارة ، تسميها الناس عين ميمون ، ويخرج مع الماء قليل من القار ، فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع
والخريف ، لأنها تنفع من الأمراض الباردة كالفالج وغيره ، نفعا عظيما ، فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء ، ففي هذه السنة برد الماء فيها ... )) ( 1 ، 1979 ، 466 ) .

**القسم الثالث – الحمّـــام الشـــمســـي والإنـــدفـــان بالرمـــل :**

التعرض لأشعة الشمس وبشكل معتدل ، من الضرورات لجسم الإنسان خاصة الأشعة فوق البنفسجية التي تساعد على تكون فيتامين ( د ) تحت الجلد ، الذي يؤدي نقصه الى نقص في الكالسيوم ومن ثم يؤدي إلى ضعف في نمو وتكلس العظام ، كما أن لأشعة الشمس فعل مطهر للجراثيم العالقة بجسم الإنسان . والأطباء العرب والمسلمون على الرغم من عدم معرفتهم هذه الحقائق إلاّ أنهم أكدوا فائدته في معالجة بعض الأمراض .

يقول ابن سينا في ذلـــك :

(( وأما التضحي إلى الشمس الحارة وخصوصا متحركا حركة شديدة كالسعي والعدو مما يحلل الفضول ... والاستسقاء وينفع من الربو ونفس الانتصاب ويحلل الصداع البارد المزمن ... والسكون في
الشمس في موضع واحد أشد في إحراق الجلد من التنقل فيها وهو أمنع للتحلل )) .

ويقول عن الإندفان بالرمل :

(( وأقوى الرمال في نشف الرطوبات من نواحي الجلد رمال البحار وقد يجلس عليها وهي حارة وقد يندفن فيها وقد ينثر على البدن قليلا قليلا فيحلل الأوجاع والأمراض )) (4 ، ب.س ، 104) .

وقريبا من هذا جاءت أقوال ابن الخطيب حول هذا الموضوع :

(( التضحي مما يحلل الفضول لاسيما مع حركة شديدة وينفع أمراضا صعبة غليظة ، والسكون في التضحي أشد بكيفية الحر الحادث بسطح البدن من التحرك والإندفان في الرمل ، وبخصوص رمل البحر ، يحلل كذلك الأوجاع والاستسقاء والربو )) (2 ، 1988 ، 263) .

**القسم الرابع : التدليك ( المساج ) كنوع من أنواع التمارين العلاجية :**

ظهر التدليك منذ القدم ، فكلمة مساج يونانية الأصل وتعني ( تمسيد أو دعك ) ولقد استخدم التدليك بوصفه طريقة علاجية منذ القرن الثالث قبل الميلاد في الصين . ثم في اليابان فالهند واليونان وايطاليا ، وقد ظهرت الرسومات والمخطوطات عن التدليك عند العرب القدماء أيضا ، فقد وصلت إلينا من عمق التاريخ القديم تعاليم ومناهج الطرق العلاجية عن طريق اللمس والضغط والتمسيد على نقاط معينة في الجسم .

والتدليك هو جملة طرق التأثير الفيزيائي ( الميكانيكي ) المحدد على شكل ( فرك ، ضغط ، هز ) والمنفذ على سطح جسم الإنسان بواسطة الأيدي أو الأجهزة الخاصة بالتدليك من خلال الوسط المائي أو الهوائي أو وسط آخر . والتدليك يمكن أن يكون عاما ( شاملا الجسم ككل ) أو ميكانيكيا ( محدد بمنطقة معينة من الجسم ) ويمكن تقسيم

التدليك بحسب المهمة الموكلة إليه إلى الأنواع الآتية ( التاداليك ألتجميلي ، العلاجي ، الرياضي ، التدليك الذاتي ) (20 ، 2007 ، 6) .

من المعروف اليوم بأنه تجرى على العضلات وأنسجة الجسم حركات التدليك المختلفة من مسح وعجن وعصر ولف طبي للحصول على فوائد عديدة منها ، ( تنشيط وظائف الجلد الفسلجية ، تنبيه الأعصاب الدقيقة ، تنشيط الدورة الدموية ، التخلص من الخلايا الدهنية ومقاومة الترهل ) .

وقبل تناول ما ذكره الأطباء العرب والمسلمون عن التدليك لابد من الحديث عن .

**تدليك الأعضاء في الوضوء عند المسلمين وأثره الطبي .**

فنقول : يعرف التدليك بأنه إمرار اليد الغاسلة على العضو المغسول مع الماء ، وهو من هيئات الوضوء التي ثبتت عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) . والتدليك سنة مندوبة عن جمهور الفقهاء ، وقد أوجبه بعض فقهاء المالكية ، إلا أن قول الجمهور هو الأرجح .

وعن المستورد – ( رضي الله عنه ) ، قال : كان النبي ( صلى الله عليه وسلم ) إذا توضأ دلك أصابع رجليه بخنصر . أبو داود (148) الترمذي (40) ابن ماجه (446) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (2700) .

وعن عبدا لله ابن زيد رضي الله عنه ، أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أتى بثلث مد فتوضأ فجعل يدلك ذراعيه : ابن خزيمة ( 118) بسند صحيح .

ويعد تدليك النقاط الانعكاسية في الجسم Reflexology من علوم الطب المكمل أو الطب البديل ، وهو علم مبني على وجود مسارات للطاقة ( الفسيولوجية ) الغير مرئية في الجسم ، إن هناك نقاطا عديدة على سطح الجسم ترتبط بطاقة أجهزة الجسم الداخلية ، ومعظم هذه النقاط يتركز في الإطراف ، والوجه ، واليدين ، والإذنين ، والقدمين ( 6 ، 2005 ، 82 ) .

1ــ تدليك هذه النقاط يعيد التوازن والنشاط لأجهزة الجسم الداخلية ويستثير القدرة الشفائية الذاتية للجسم .

2ــ تدليك هذه النقاط الانعكاسية بالضغط عليها يخفف حدة التوتر الناشئ من ضغوط الحياة اليومية

3ــ يعيد للإنسان الشعور بالراحة والاسترخاء .

4ــ ينشط الدورة الدموية اللمفاوية ، وهي المسؤولة عن التخلص من المواد السامة والضارة في الجسم .

5ــ تدليك اليدين والقدمين يسكن الالام وذلك لان تدليك هذه النقاط يتسبب في إفراز مادة ( الاندوفين ) وهي مادة ( المورفين ) المسكنة بقوة للآلام الطبيعية الداخلية . وبالتالي تجعل الإنسان يشعر بالاسترخاء وتخلصه من التوتر والغضب ، كما أنها تحسن من مسارات الطاقة التي تمر بهذه المنطقة . وبهذا ندرك أهمية التدليك ( في أثناء الوضوء ) في غسل الأعضاء إذ تتوزع مسارات الطاقة الفسيولوجية غير المرئية ، وعددها أربعة عشر مسارا بطول الجسم من الأمام ومن الخلف . فهدى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) دواء والاقتداء به شفاء .

والحالات التي ينصح خبراء العلاج الرياضي اليوم فيها بالتدليك هي :
(( اضطرابات الدورة الدموية ، ضعف العضلات العام وضمورها وشللها ، حالات الإجهاد بعد الرياضة ، التهاب المفاصل ، توتر والتهاب الأعصاب والأرق ، السمنة المفرطة ، اضطرابات الهضم ، انكماش الجلد والشيخوخة )) ( 19 ، 1988 ، 2003 ) .

بعد هذا نذكر ما تناوله الأطباء العرب والمسلمون في مسألة التدليك من أوجهه المختلفة ، فنبدأ بذكر أقوال ابن سينا في أنواع التدليك حيث يقول :
(( والدلك منه صلب فيشدد ومنه لين فيرخي ومنه كثير فيهزل ومنه معتدل فيخصب ... )) (( وأيضا من الدلك ما هو خشن أي بخرقة خشنة ... ومنه أملس أي بالكف ... ومن الدلك دلك الاستعداد وهو قبل الرياضة ويبدأ لينا ثم إذا كاد يقوم إلى الرياضة شدد ، ومنه دلك الاسترداد وهو بعد الرياضة ويسمى الدلك المسكن أيضا والغرض فيه تحليل الفضول المحتبسة في العضل مما لم يستفرغ بالرياضة لينعش فلا يحدث الإعياء ، وهذا الدلك يجب أن يكون رقيقا معتدلا وأحسنه ما كان بالدهن )) ( 4 ، ب.س ، 161 ) .

إن هذا الوصف لاشك وصف مقبول ودقيق لأنواع الدلك وكيفية استعماله أما نوعا واحدا أو أكثر من نوع في وقت واحد ، ووصفه فيه عمق لا يخرج عن مفاهيمنا الحديثة للدلك .

ثم نذكر قول ابن خلصون ( من أبناء القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ) حيث يؤكد فائدة التدليك فيقول : (( وللدلك منفعة عظيمة في الأبدان ، وقد كان الأوائل يستعملونه كما يستعملون الرياضة

لحفظ الصحة ، واستعماله يكون إما بدهن أو بغير دهن ، وإما في حمام أو في غير حمام )) (3 ، 1988 ، 21) .

ويقول علي بن محمد الأنوري ( المتوفى سنة 815 هـ / 1412 م ) بأن للدلك فوائد وهو قريب من الرياضة ، نوجز قوله في ذلك بما يلي : (( الأولى – ترقيق المادة المخصصة لبعض الأعضاء لإخراجها . الثاني – تعظيم العضو الصغير . الثالث – تحليل المواد الريحية . الرابع – دفع البرد المجمد . الخامس – جذب المواد من عضو إلى عضو . السادس – تفتيح المسام لتنفيذ الأدهان فيها ، السابع – يخلل الأبدان المحصفة وبالعكس )) (7 ، ب.س ، 134) ويقول المناوي ( 952 – 1031 هـ / 1545 – 1621 م ) :

(( واعلم أن الدلك لكل إنسان حسب حاجته ، فإن كان مترفها لا يحتاج إلى تقوية أعضائه ، فليدلك جميع بدنه دلكا معتدلا . وإن كان محتاجا إلى تقوية أعضائه لمزاولته للأعمال الشاقة وقتاله في المعركة ، فليدلك جميع أعضائه دلكا قويا ، وإن كان محتاجا إلى تليين أعضائه وترطيبها كالنساء والخصيان ، فليدلكها دلكا رقيقا لينا . ومتى كان الإنسان مريضا ، فعليه أن يتوقى العضو المريض ، فإذا صح ذلك العضو ، ينبغي أن يكثر دلكه دون غيره )) (15 ، 1987 ، 76) .

وبعد ذكر أقوالهم عن التدليك باعتباره نوعا من أنواع الرياضة الضرورية لكل شرائح المجتمع نذكر بعضا من أقوالهم في استعمال التدليك كعلاج لبعض الحالات المرضية وقد شمل ذلك :

أ - التدليك علاج لتخفيف الوزن : وينصحون في ذلك ، استخدام الدلك الخشن ( أي استعمال خرقة خشنة ) .

ب -التدليك علاج لتخفيف الألم الناتج عن الإفراط في الرياضة : يقول أبو الحسن علي بن هبل ( المتوفى 610 هـ / 1213 م ) في ذلك : (( وقد يحدث بسبب الإفراط في الرياضة ... ألم يسمى الإعياء ... فيجب أن يبادر الإنسان فيه إلى تقليل الرياضة ، ويستعمل الدلك اللين ليرطب به العظل ويمرخ بالأدهان ... ويكثر من صب الماء الفاتر العذب على الجسد ويقعد صاحبه بالأبزن ( حوض مليء بالماء ) ويطيل القعود )) .

(( وقد يعرض من الإعياء الورمي وهو الذي يحس الإنسان فيه بأعضائه كأنها تؤلم عند اللمس ، وأكثر ما يعرض هذا الإعياء عند الابتداء بالرياضات لمن لم يعتدها ... ويجب في هذه الحال لزوم الدعة والسكون والدلك اللين مع الأدهان )) ( 5 ، 1362هـ ، 208 )

ج -التدليك لعلاج آلام المفاصل : حيث يؤيد الرازي أبقراط في رأيه عن فائدة التدليك ويعقب عليه تعقيبا صحيحا لا غبار عليه فيقول : (( قال أبقراط رأيت رجلا فيه وجع المفاصل يستريح راحة عظيمة متى غمزت مفاصله غمزا رقيقا بأيد حارة لينة . وذلك لأن علته كانت عن انصباب أخلاط كثيرة إلى مفاصله ، بعضها دموية وبعضها حرارية وبلغمية )) .

ثم يقول الرازي : (( لي – في خلال هذا الكلام هاهنا ، إن هذه الأخلاط تحتاج أن يسكن صاحبها ويمارسها شيء له حرارة فاترة لينة فإنه ينضجها ثم أنه يحللها بعد )) ( 11 ، 1962 ، 106 ) .

د – الدلك علاج لاسترخاء الأعضاء : يقول الرازي : (( فإذا استرخت الأعضاء فادلكها بشدة واستعمل ما يقبض وإذا انقبضت فاستعمل الدلك اللين بالأشياء التي ترخي )) ( 11 ، 1962 ، 37 ) .

هـ – التدليك علاج لمن أصابه جمود من البرد : يقول الرازي :
(( من أصابه جمود من برد ولم يبلغ حد الإيباس ( اليأس ) منه ، فينبغي أن يسخن له موضع ... ثم يدلك فيه بأيد كثيرة حارة جدا دلكا مسرعا لينا جميع بدنه خلا الرأس فإنه ينبغي أن يكمد بخرقة مسخنة ))( 13 ، 1987 ، 287 )

## المحور الثاني

## نماذج من استعمال التمارين العلاجية في التراث الطبي العربي الإسلامي

إن أنواع الأمراض التي عالجها الأطباء العرب والمسلمون بالرياضة هي:

### 1 – التمارين علاج لتخفيف الوزن :

إن المحافظة على وزن صحي أمر حيوي من اجل صحتك ، فإذا كنت تعاني من الوزن الزائد أو من البدانة فأنت معرض على نحو متزايد لخطر الإصابة بعدد من المشاكل الصحية بما في ذلك مرض القلب ، وداء السكر ، والتهاب المفاصل ، واللام الظهر .

ويحقق النشاط البدني عند اقترانه بالنظام الغذائي المناسب ما ترجوه من إنقاص الوزن الزائد وعدم استرجاعه ، فالتمارين تحرق السعرات الحرارية ، وعندما تحرق السعرات الحرارية بصورة أكثر من تناولها فيمكنك انقاص ما في جسمك من دهون .

وبعد أن تشير كتب الطب العربية بشكل صريح إلى خطورة السمنة على الصحة ، تؤكد ضرورة علاجها والتخلص من الوزن الزائد . فقد جاء مثلا في كتاب كامل الصناعة للمجوّسي في باب(( في تهزيل السمين – فأما تهزيل السمين فيكون باستعمال الرياضة ( والمقصود هنا التمارين العلاجية) وكثرة التعب قبل الغذاء وكثرة الصوم وتقليل الغذاء ... والاستحمام بالمياه الكبريتية واستعمال الدلك القوي قبل الاستحمام والمرخ بالأدهان ... والاستعمال بعد ذلك والمكث في الحمام وبعد الخروج من الحمام بساعة يغتذي بغذاء قليل التغذية كثير المقدار بمنزلة خبز الخشكار الكثير النخالة والبقول كالسلق والقطف والاسفناخ ... وتقليل النوم وكثرة السهر ... والتعرض للهموم وكثرة التفكير )) ( 14 ، 1294هـ ، 41 ) .

(( تقصيف السمين – السمين مستعد لوقوعه في المرض سريعا وطريق تقليل غذائه بحيث لا تضعف القوة ورياضته على الريق رياضة ( تمارين ) متعبة منتقلا إليها بالتدريج ... ويتجنب الأمراض والدسم ويستحم على الريق ، ويكثر من الدلك وخاصة الدلك الخشن ... ومصابرة الجوع )) ( 5 ، 1362هـ ، 208 ) .

ترى ما الذي أضافه الطب الحديث اليوم بالنسبة لعلاج السمنة بالتمارين الخاصة بها ؟ الجواب بين واضح فلا جديد سوى في المظاهر والأدوات إنما الأساس واحد والفلسفة واحدة .

**2 – النحافـــة وعلاجهـــا بالتمارين العلاجية :**

يؤكد الأطباء اليوم عند ذكر أسباب النحافة أن أهمها الإرهاق العصبي ، فقد الشهية نتيجة فقر الدم ، سوء الهضم ، ضعف العضلات ، الإجهاد وعدم النوم الكافي . وفضلا عن علاج الأسباب المباشرة للنحافة ينصحون وينصح معهم علماء التربية (( إضافة عنصر التمرينات الرياضية البسيطة دون إرهاق المريض . وكذلك إدخال عنصر التدليك مع التمرينات العلاجية في علاج النحافة . وذلك لأن التمرينات البدنية من العوامل الهامة في تحسين الدورة الدموية بصفة عامة وكذلك لأنها تعمل على تخليص الفرد من أي توتر وتعب )) (19 ، 1988 ، 188) .

إنه حقا لمما يدعو للعجب أن نتخيل أطباءنا الأقدمين ممن مارسوا المهنة قبل مئات السنين قد وعوا هذه الأمور ودونوها وكأنهم يتكلمون بلسان أطباء القرن الحادي والعشرين . لن نطيل أكثر ونكتفي بضرب مثل واحد لما نقول ، يقول المجوّسي : (( في تدبير الأبدان المهزولة – فأما المهزولة فتسمينها يكون باستعمال الدعة والراحة في أكثر الأحوال والرياضة الضعيفة .... والدلك اللين والتمسح بالأدهان الرطبة ، والتعهد بما يسر النفس ويبهجها وترك التعرض للصوم ولبس الناعم والزيادة في الغذاء ... ويستعمل الحمام بالماء العذب بعد الغداء في اليوم مرتين )) (14 ، 1294 هـ ، 40) ثم يستمر بوصف أنواع ووصفات لأغذية في أغلبها جاءت مطابقة لما نؤكده اليوم .

**3 – التمارين العلاجية بالنسبة لكبار السن :**

عند تقدم العمر تطرأ عملية تغيرات مع تقدم السن ، تتمثل بفقدان العضلات قوتها ومرونتها ، ويبدأ الجسم بخسارة كتلته العضلية وتتناقص القوة ، وكذلك ضعف في أداء جميع أجهزة الجسم الوظيفية ، كالقلب والرئة ..،...الخ ، وهذا التراجع في الأداء ليس حتميا ، فبالإمكان منع

حدوثه أو تأخيره في الأقل . فقد أثبت الكثير من العلماء أن معظم التغيرات التي تعزى إلى تقدم العمر في الحقيقة ترجع إلى قلة الحركة المتعلقة أو المرتبطة بنمط الحياة المتبع . والطريقة الوحيدة لمنع حدوث هذه التغيرات الفيزيائية المرتبطة بالتقدم في السن أو التقليل منها ، والتعامل معها هي بممارسة التمارين المنتظمة .

يقول المجوسي (( ويبدؤا أولا في تدبيرهم إذا انتبهوا من النوم بالغداة فتمرخ أبدانهم بالدهن وليكن دهن الخيري ودهن بنفسج ممزوج بدهن بابونج أو بدهن الشبث)).

ومن بعد ذلك تستعمل الرياضة المعتدلة كالمشي المعتدل والركوب المعتدل الذي لا يعرض لهم منه إعياء وليكن ذلك بحسب قواهم فمن كان منهم ضعيفا فليستعمل الركوب وليقلل المشي الذي لا يتعب وكل من كان منهم أضعف فلتكن تمارينه أقل ويوقى التعب والتمارين القوية . ثم يستحم بالماء الحار العذب في حمام معتدل الحرارة وأما المشايخ الهرمى فلا ينبغي أن يستحموا دائما لكن في أسبوع أو في كل عشرة أيام ... فإذا فرغ من الاستحمام فليتودع ساعة ثم يغتذي بالأغذية الحارة الرطبة السهلة الانهضام السريعة الانحدار عن المعدة )) (14 ، 1294 هـ ، 179 ) .

وبذلك يكون المجوّسي قد وضع منهجا صحيا سليما للشيخ فالتدليك ضروري للشيخ ولا سيما المقعدون منهم ونصيحته بأن يتبع ذلك رياضة معتدلة حسب قابلية الشيخ وأن تعقب الرياضة الاستحمام والاستراحة ومن ثم يتناول غذاؤه في غاية الحكمة .

وعن دلك المشايخ يقول ابن سينا :(( يجب أن يكون معتدلا في الكيف والكم غير متعرض للأعضاء الضعيفة أصلا والمثانة ، وإن كان الدلك ذا مرات فليدلكوا في المرات بخرق خشنة وأيد مجردة

فإن ذلك ينفعهم ويمنع نوائب علل أعضائهم وينفعهم الحمام مع الدلك )) ( 4 ، ب.س ، 179 ) .

وعن رياضة المشايخ يقول ابن سينا :(( تختلف رياضة المشايخ بحسب حالات أبدانهم وبحسب ما يعتادهم من العلل وبحسب عاداتهم في الرياضة ... مثل أن رأسه يعتريه الدوار أو الصرع ... لم يوافقهم من الرياضات ما يطأطيء الرأس ويدليه ولكن يجب أن يحالوا إلى الارتياض بالمشي والركوب ... وإن كانت الآفة من جهة الرِجل استعملوا الرياضات الفوقية كالمشايلة ورمي الحجارة ورفع الحجر )) .ثم يقول : (( وبخلاف المشايخ المستهلكين الذين يوافقهم أكثر ما يوافق المشايخ فإن أولئك يجب أن يقووا الأعضاء الضعيفة بتدريجها في النوع من الرياضة التي توافقها وتليق بها وأما الأعضاء المريضة فربما راضوها )) ( 4 ، ب.س ، 179 ) .

وبذلك نأتي على نهاية بحثنا الذي حاولنا فيه جمع آراء الأطباء العرب والمسلمين وأقوالهم عن هذا الفرع المهم من فروع الطب الذي لم ينل اهتمام الأطباء إلاّ في العقود المتأخرة .

**الاستنتاجات والتوصيات : ــ**

في الحضارة الإسلامية سوابق من العلوم والآداب والمبادئ والنظريات ، وعلماء الغرب يعترفون بروعة الحضارة الإسلامية ورفعتها ، وأثرها العميق الوثيق في حضارة أوربا . ولميدان الطب العربي سوابقه ، إذ كان الطب خلال القرون الأولى بعد الهجرة النبوية جزءً من الثقافة العربية الإسلامية العامة . وظهرت مؤلفات عربية طبية ، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال في تقدم العلوم الطبية لدى الغرب ، إذ أصبحت كتب الرازي – ابن سينا – الزهراوي أساسا للدراسات الطبية في المدارس الغربية خلال عدة قرون .

لذلك فان باعثنا الأول في اختيار هذا الموضوع هو عرض جزء يسير من التراث الضخم الذي خلفه تاريخنا العربي الإسلامي المجيد وأورثتنا إياه حضارتنا الراشدة . ولنضع بين يدي القارئ بعض الأمثلة والأدلة على سبقنا الحضاري فكريا وعلميا .

ولا يخفى على احد أهمية التمرينات العلاجية في العلم الحديث وأهميتها العظيمة في كونها من الاختصاصات الطبية المكملة الهامة ، ودورها الفاعل الكبير في تخفيف الألم والمعاناة في كثير من الإمراض ، والمساعدة على شفاء الكوامن والقدرات الجسدية أو تطويرها لدى الكثير من المرضى ، وإنها العمود الفقري للمعالجة الفيزيائية في الطب الرياضي الحديث ، ولقد ثبت للباحثين من خلال فقرات البحث ما يأتي :-

**المحور الأول** / إن تمرينات المشي والقبض والبسط والتحريك هي من أساسيات التمرينات العلاجية التي تستخدم في معالجة الألم والاسترخاء ، ويمكن استخدامها حديثا بأدوات مساعدة أو بدونها . فقد ثبت لدى الباحثين أن العرب المسلمين قد استخدموها في طرق علاجهم . كما أن هناك أنماط معالجة تندرج تحت اسم المعالجة المائية ويقصد بها الطرائق المستعملة في إحداث حرارة سطحية موضعية أو عامة في الجسم البشري لإغراض علاجية ، ثبت من خلال البحث أن المسلمين قد برعوا في استخدام هذه التمرينات في رياضات الاستحمام بأنواعها ( بالماء الساخن ، والبارد ، والمياه المعدنية ، والحمام الشمسي ) . أما في قسم التدليك ( المساج ) ففي الوقت الحاضر يستخدم (المساج العلاجي) في وقاية وعلاج وإعادة تأهيل العديد من الأمراض وفي الكثير من الكتب يرجع المؤرخون أصوله إلى الهند والصين فقط . ولقد ظهر جليا في هذا البحث الأساليب التي استخدمها العرب المسلمون الأوائل في التدليك ( المساج ) ووصفهم أنواعه

وطرق استخدامه بصورة مفصلة واهتمام الدين الإسلامي بحركات (المساج) المرتبطة بحركات وضوء المسلم وصلاته .

**المحور الثاني** / إن استخدام التمرينات العلاجية كحركات مبنية على علم التشريح و(الفسلجة) ، توصف لكي تعيد الجسم إلى حالته الاعتيادية . لذلك تم التطرق في هذا الباب إلى كيفية استخدام المسلمين التمرينات العلاجية في تخفيف الوزن وعلاج النحافة ووصفهم لكيفية التدرج في استخدام العلاج ، والتي جاءت مطابقة لما يستخدم في الوقت الحاضر . كما ثبت في البحث اهتمام المسلمين بالتمارين العلاجية وأنواع الرياضة الخاصة لكبار السن .

**المصـــــادر :**


1- ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن الشيباني ، الكامل في التاريخ ، المجلد 12 ، بيروت ، دار صادر ، بيروت ، 1979 .

2- ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني لسان الدين ، الوصول لحفظ الصحة في الفصول مختارات من الكتاب ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، ط1 ، ج1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1988 .

3- ابن خلصون ، أبو عبد الله محمد بن يوسف ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، ط 2 ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، 1988 .

4- ابن سينا ، أبو علي الحسين بن علي ، القانون في الطب ،ج 1، بغداد ، طبعة بالأوفست مكتبة المثنى .

5- ابن هبل ، مهذب الدين أبي الحسن علي أبن أحمد ، المختارات في الطب ، ج 1 ، حيدر اباد ، دائرة المعارف العثمانية ، الدكن 1362 هـ .
6- احمد مصطفى متولي ، الموسوعة الشاملة في الطب البديل ، ط 1 ، القاهرة ، دار الجوزي ، 2005 .
7- الأنوري ، علي بن محمد بن عبد الله المتطبب ، كتاب الإيضاح ، الموصل ، مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة بالموصل رقم ( 3713 ) .
8- البلخي ، أبي زيد أحمد بت سهل ، مصالح الأبدان والأنفس ، تحقيق ودراسة الدكتور محمود مصري ، منظمة الصحة العالمية ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، 2005 .
9- الجرجاني ، أبو سهل عيسى بن يحيى الطبيب المسيحي ،كتاب المائة في الطب ، الموصل ، مخطوط رقم 23 ، خزانة داؤد الجلبي ، مكتبة الأوقاف بالموصل .
10- الجيجكلي ، حسن سعد الله ، التمرينات العلاجية وأساليب التقييم الفيزيائي ، سوريا ، شعاع للنشر والعلوم ، 2006 .
11- الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، الحاوي في الطب ، ط 1 ، ج23 ، الهند ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر اباد ، 1962 .
12- الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، المرشد أو الفصول ، تحقيق ألبير زكي إسكندر ، ج 1 ، المجلد 7 مجلة معهد المخطوطات العربية ، 1991 .
13- الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، المنصوري في الطب – تحقيق الدكتور حازم البكري ، ط1 ، الكويت ، 1987 .

14- المجوّسي ، علي بن العباس ، كامل الصناعة في الطب ،ج 1 ، المطبعة الكبرى بالديار المصرية ، 1294هـ .
15- المناوي ، الشيخ الإمام عبد الرؤوف ، تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان ، كتاب النزهة في أحكام الحمام الشرعية والطبية ، الدار المصرية اللبنانية ، 1987 .
16- النشواني ، رياض عزة ، إصابات الملاعب وعلاجها ، ط 1 ، دمشق ، مركز الفوال للتحضير الطباعي 2005 .
17- النشواني ، رياض عزة ، إصابات الملاعب وعلاجها ، ط 1 ، دمشق ، مركز الفوال للتحضير الطباعي ، 2005 .
18- بن قرة ، ثابت ، كتاب الذخيرة في علم الطب ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، 1928 .
19- عوض الله ، أحمد الصباحي ، الصحة الرياضية والعلاج الرياضي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 1988 .
20- ف.ي.فاستيشكين ، ترجمة ، جلال غازي رافع ، المرجع في المساج ، ط2 ، دمشق ، دار علاء الدين للنشر ، 2007 .
21- متولي ، احمد مصطفى ، الموسوعة الشاملة في الطب البديل ، ط 1 ، القاهرة ، دار الجوزي ، 2005 .
22- هيثم منصور ، مدخل في الطب الرياضي والتأهيل ، دمشق ، دار علاء الدين ، 2005 .

# الأرشيــف الرقمــي
# في دار الكتب والوثائق العراقية

**إيمان عبد اللطيف عبد الرحمن**
مدرسة مساعدة
معهد الادارة – الرصافة

**محمود عبد الله عطية**
م. مدرب فني
معهد الادارة – الرصافة

**الملخــص :**

**يهدف البحث إلى التعريف بالأرشيف ، الوثائق – تصنيفها ، أساليب خزنها واسترجاعها ، عناصر نظم استرجاع الوثائق ، صيانة وامن الوثائق .**

**كما يسلط الضوء على ماهية الأرشيف الالكتروني ، مستلزمات نظم الأرشيف الالكتروني ، الوسائط المستعملة لتخزين الأرشيف الالكتروني ، أهمية الحفظ الالكتروني ، وما هي مزايا نظم الأرشفة الالكترونية .**

**وضح البحث دور مهنيو الأرشيف والمؤسسات الأرشيفية في ظل التقنية الحديثة كما أشار البحث إلى تجارب الدول الأجنبية والعربية في الأرشفة الالكترونية .**

**استخدم البحث المقابلات الشخصية مع العاملين في قسم تقنية المعلومات في المكتبة الوطنية كأداة لجمع البيانات ذات العلاقة بموضوع**

**البحث فضلا عن الزيارات الميدانية المتكررة للقسم لغرض الاطلاع على خطوات العمل فيه وقد تم التوصل إلى جملة من الاستنتاجات أهمها :-**

**1 . قلة عدد الأجهزة الحديثة .**

**2 . قلة الملاك الوظيفي المؤهل والمتخصص في مجال علم المكتبات والمعلومات .**

**3 . عدم توفر قاعات مناسبة لتقديم خدمات معلومات للمستفيدين .**

**في ضوء هذه الاستنتاجات توصل البحث إلى عدد من التوصيات منها :-**

**1 . ضرورة اهتمام إدارة المكتبة بتهيئة الأجهزة والمعدات الحديثة التي يحتاج اليها القسم .**

**2 . زيادة عدد الملاك الوظيفي المؤهل علميا والمتخصص وضرورة إشراكه في دورات أو فريق عمل في مجال إدارة الأرشيف الالكتروني .**

**المقدمـــة :**

تعتبر الوثائق الأرشيفية من بين أهم المصادر الأولية للمعلومات ولاسيما وإنها تشتمل على بيانات ومعلومات أساسية يجب الاعتماد عليها في تقنية إجراء البحوث العلمية في جميع مجالات المعرفة وهي عبارة عن شواهد نعتمد عليها من اجل تأكيد مصداقية فرضيات البحوث أو بمعنى أخر دراسة إحداث الماضي كما في علم التاريخ الذي يعتمد على الوثائق " لاتاريخ بدون وثائق ".

تتميز الوثيقة الأرشيفية بخصائص أساسية كالصحة ، الموضوعية ، عدم التجزئة ، والعلاقات المتبادلة . ونظرا لأهمية الوثائق كمصدر حيوي للمعلومات والبيانات لمتخذي القرارات على كل المستويات ، برزت أهمية علم الأرشيف الذي يقوم بدراسة الوثائق بأنواعها المختلفة لكونها تمثل الذاكرة الحية للمجتمع البشري ، كما يمكن اعتبارها مصدر قوة لمن يمتلكها من المجتمعات ، ولاسيما إنها تساعد في بناء جسور يمكن عبورها من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل . وفي ظل التطورات التقنية الجديدة في العالم ولاسيما في مجال تقنية المعلومات والاتصالات ، بدأ التوجه نحو النظم الرقمية في جميع مجالات العمل والحياة الاجتماعية والثقافية ، وقد بدأت مراكز الوثائق والأرشيف والمكتبات الوطنية باستخدام النظم الرقمية على نطاق واسع. حيث انطلقت عملية ضخمة في جميع إنحاء العالم تتمثل بإنشاء نسخ رقمية طبق الأصل عن الكتب والصور والتسجيلات التي تحفظ التراث الثقافي للبشرية[1].

**مشكلة البحث :-**

أصبحت مهمة توفير المعلومات في عصرنا الحاضر من الأمور الحيوية والضرورية للتقدم والتطور في كافة مجالات الحياة ، والأرشيف الالكتروني إحدى التطبيقات الحديثة التي تستخدم في نقل صورة طبق الأصل لمحتوى أي وثيقة وحفظها مما يسهل عملية البحث والاسترجاع من

---

[1] المهداوي ، إبراهيم احمد . دراسات في الأرشيف والمعلومات . – بنغازي : جامعة قاريونس ، 1998. ص5.

خلال توفير عدة نقاط متاحة للوثيقة الواحدة ، مساهمة في ذلك بوضع حلول لمشاكل الحفظ التقليدي (اليدوي) للوثائق .

لذا تحاول الدراسة في هذا المجال معرفة النظام المتبع في خزن الوثائق الرسمية المتوفرة لدى المكتبة الوطنية الكترونيا واسترجاعها وذلك لتجاوز المشاكل التي يتعرض لها الأرشيف الورقي من جهة ، والاحتفاظ بالوثيقة الأصلية ، فضلا عن ان الأرشيف الالكتروني يساعد المكتبة الوطنية على اتخاذ إجراء أو قرار معين والتأكد من المعلومات الواردة في الوثيقة الالكترونية مباشرة وبسرعة وبأقل جهد ووقت .

**أهداف البحث :-**

يسعى البحث لتحقيق الأهداف الآتية :-

1 . التعريف بالوثائق ، الأرشيف ، سمات الوثائق ، تصنيفها – أساليب الخزن والاسترجاع ، صيانة امن الوثائق .

2 . بيان أهمية الأرشيف الالكتروني – مستلزمات نظم الأرشيف الالكترونية أهمية الحفظ الالكتروني ومزاياه .

3 . التعرف على الإجراءات المعتمدة لحفظ الوثائق بشكلها الورقي (التقليدي) .

4 . بيان مدى ما يحققهُ الأرشيف الالكتروني من تطوير في أداء الملاك الوظيفي لحفظ الوثائق واسترجاعها .

5 . الاطلاع على تجارب الدول (العربية والأجنبية) المتقدمة في مجال تطبيق الأرشيف الرقمي (الالكتروني) .

6 . التعرف على واقع العمل في قسم تقنية المعلومات بالمكتبة الوطنية والوقوف على المعوقات أو المشاكل التي تعيق العمل في هذا القسم .

**أهمية البحث :-**

ساهم التزايد الكمي للوثائق إلى تفكير المختصين والمبرمجين في كيفية معالجة الوثائق المتراكمة ، حيث لم تعد المعالجات اليدوية للوثيقة قادرة على أداء مهام الأرشيف على الوجه المطلوب ، فكانت المعالجات الالكترونية كأحدث تقنية توصل إليها العقل البشري في ميدان التقنية الحديثة ، وهذه التقنية تساهم في تطوير مهنة الأرشيف وتعمل على تغيير أساليب أداء عملهِ إلى مراحل متقدمة من عدة جوانب : ــ منها إعادة النظر في محتويات الملفات ، واستبعاد الوثائق المتكررة أو غير الضرورية ، وتوفير نسخة احتياطية من الوثائق في حالة تعرض الأصول الورقية لأي تلف نتيجة العوامل الطبيعية أو البشرية مثل الحرائق والسرقة ، فضلا عن توفير المساحات المستعملة لتخزين الملفات الورقية ، وسهولة استرجاعها بأقل وقت وجهد ممكن ، وسهولة نقل الملفات المخزونة الكترونيا من مكان لأخر بسبب خزنها على الأقراص الليزرية التي تتميز بسهولة نقلها وخفة وزنها .

**حدود البحث :-**

المكانية – المكتبة الوطنية / قسم تقنية المعلومات .

الزمانية – 2011-2012.

الموضوعية – دراسة طبيعة العمل ونظامه في قسم / المكتبة الوطنية .

**منهج البحث :-**

اعتمد البحث منهج دراسة الحالة (Case study) في المكتبة الوطنية ، كما تم الاعتماد على المصادر العربية والأجنبية (كتب – دوريات) في الجانب النظري ، وذلك للتعرف على المصادر المنشورة في مجال الأرشيف بصورة عامة والأرشيف الرقمي (الالكتروني) بصورة خاصة .

إما في الجانب العملي فقد تم الاعتماد على المقابلات الشخصية والدراسة الميدانية لقسم في المكتبة الوطنية.

**الوثائق والأرشيف الالكتروني :-**

نظرا للتطور الكبير في كافة مجالات تقنية المعلومات ورخص أسعارها ، أخذت الدوائر والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية تتسابق في استخدام الابتكارات في المجال الإداري ، وساعد ذلك ظهور شبكة ( المعلومات ) في جعلها أكثر تأثيرا في انجاز إعمال هذه الدوائر.

حيث أن الوثائق تحتوي على المعلومات التي تتسم بالصحة والموثوقية ويعتمد عليها كمصدر هام من مصادر المعلومات للإدارة ، والبحوث والدراسات ، والتخطيط ولكي يتحقق للمؤسسة أهدافها ، وتنجح في إعمالها ، وتضمن استمرارية إعمالها وجودتها ، لابد من توفر المعلومات اللازمة لانجاز الإعمال ومتابعتها . ان توفر المعلومات بالقدر والأسلوب والوقت المناسب يشكل ركيزة أساسية لنجاح أي مؤسسة ، اذ أنها تمثل المادة الخام التي تبني عليها المواقف والقدرات ، والحقيقة التي لا جدال فيها ان الطرق التقليدية المستخدمة في خزن الوثائق بالمؤسسات

واسترجاعها عاجزة عن ترتيب وتنظيم الوثائق بسهولة وسرعة مما أدى إلى ظهور مشاكل في تلك المؤسسات ، مما حذا بالإدارات الاعتماد على إنشاء نظام الكتروني لخزن واسترجاع الوثائق لمساعدة المؤسسات في تبسيط الإجراءات داخل هذهِ المؤسسات واختصار الوقت وتنفيذ المعاملات المختلفة وانجازها ، وتسهيل إجراء الاتصال بين دوائر المؤسسة المختلفة وكذلك مع المؤسسات الأخرى وتقليل استخدام الورق إلى اقل ما يمكن وبهذا سوف يعالج مشكلة تعاني منها اغلب المؤسسات الرسمية في عملية الحفظ والتوثيق والتي تتمثل بعدم الحاجة إلى أماكن خزن ذات مساحات واسعة ويتم الاستفادة منها في أمور أخرى .

لذلك ظهر مفهوم شائع في دول العالم ومنها بعض الدول العربية يطلق عليها الإدارة الالكترونية[2].

**مصطلح الوثيقة والأرشيف :-**

أن كلمة وثيقة في اللغة العربية مشتقة من الفعل وثق . بمعنى ائتمنَ ووثق الأمر أي احكمه ووثق الرجل أي قال فيه عنه ثقة ، ومن مزيد الفعل للطلب استوثق أي اخذ منه الوثيقة والوثيق أي المحكم ومؤنثه الوثيقة وهي ما يعتمد به وجمعها وثائق .

إما مصطلح الوثيقة في اللغة العربية فانه يشمل المستند المكتوب قانونيا، أو غير قانوني صادر عن جهات رسمية أو من قبل الإفراد بشرط ان تكون الوثيقة مصدقا عليها من قبل الجهات الصادرة عنها وتساعدهم

---

[2] الالوسي ، سالم عبود او محمد محجوب ــ الأرشيف : تاريخه وأصنافه . – بغداد : دار الحرية للطباعة ، 1979 . ص3 .

على اتخاذ القرارات الصحيحة في الوقت المناسب . فلفظ وثيقة يطلق على أي نص مكتوب على الورق أو منقوش على الحجر والفخار وعلى الرسومات من أنماط الوثائق المسكوكات والمخطوطات والكتب والصحف...الخ[3].

إن كلمة الأرشيف مستعملة في اللغتين الفرنسية والانكليزية ومشتقة من الكلمة اللاتينية (archivian) وكلمة اركيان (archeian) اليونانية . غير ان كلمة (archivian) اللاتينية تعني الورقة أو المستند، اما الكلمة اليونانية فتعني لغويا المكتب أو الموجودات المستندية ، ثم تطور معناها في العصور الوسطى والحديثة بحيث أصبح معناها الوثائق الناتجة عن إعمال المؤسسات الحكومية ، وفي المفهوم المعاصر أصبحت كلمة أرشيف تعني السجلات والمحفوظات والمستندات والمخطوطات وأماكن الحفظ ودور الوثائق ومستندات الدولة والمؤسسات الحكومية وقد دخلت هذه الكلمة إلى اللغة العربية أيضا[4].

ويتضح مما سبق ان مصطلح الأرشيف والوثيقة مترابطان في المعنى ، حيث ان الأرشيف يعني الجهة التي تعني بالوثائق من حيث التنظيم والحفظ والتداول والصيانة . في حين الوثيقة تعني كل وسيط يقدم حقيقة ما ، أو تساعد تأكيد حقيقة ما بطريقة مباشرة بالنظر إلى بياناتها أو

---

[3] المهداوي ، إبراهيم محمد . مصدر سابق . ص103 .

[4] الالوسي ، سالم عبود او محمد محجوب . مصدر سابق . ص4 . وعربية الأرشيف ( المضبرة ) من الاضبارة التي تحفظ فيها الوثائق .

شكلها المادي سواء كانت ورق أو فيلم ، أو أقراص مكتنزة وغيرها من الإشكال[5].

**سمات الوثائق :-**

تمتاز الوثائق ببعض السمات المتميزة عن بقية أوعية المعلومات بالمواصفات الآتية :-

1 . عدم التحيز وذلك لكونها جزءً لايتجزأ من نشاط المؤسسة.

2 . الحفظ القانوني وذلك لتحقيق سرية وأمن الوثائق.

3 . طبيعة الوثيقة التي تنتج من خلال إعمال المؤسسة.

4 . الموثوقية وذلك لأصالة المعلومات التي تحتويها والتي لاتتوفر في أي مصدر أخر من مصادر المعلومات.

5 . التفرد وذلك لكونها لاتصدر إلا بنسخ محدودة في أغلب الأحيان.

6 . الدقة وذلك لكونها لانعكس سوى المعلومات الدقيقة[6].

**تصنيف الوثائق :-**

التصنيف هو جمع الأشياء المتشابهة مع بعضها في مجموعة واحدة ، ولتصنيف الوثائق عدة طرق منها :-

---

(5) الشامي ، احمد محمد او سيد حسب الله . الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات . – القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، 2001 . ص858 .

(6) الشحمي ، محمد الصافي . معالجة الوثائق الإدارية : الاهمية والتطبيق ، بحث مقدم إلى ندوة أفاق نظم المعلومات. جامعة اليرموك، 1993. ص3.

1 . **التصنيف الجغرافي :-** يتم في هذه الطريقة تصنيف الوثائق على أساس أسماء الأماكن ، والمكان الجغرافي يمكن ان يكون دولة أو إقليما أو مدينة . وتستخدم هذه الطريقة عندما يكون المكان الجغرافي موضع اهتمام العمل في المؤسسة التي يهمها جمع وثائق المكان المعين في مجموعة واحدة .

2 . **التصنيف الزمني :-** يتم في هذه الطريقة الاعتماد على تاريخ الوثيقة كأساس لمجموعة وثائقية متكاملة . ويتم هنا تجميع الوثائق المنتجة في فترة زمنية محدودة في مجموعة واحدة .

3 . **التصنيف على أساس شكل موضوع الوثيقة :-** ويتم تصنيف الوثائق بهذه الطريقة على أساس الشكل الذي صيغت فيه موضوعاتها مثل ، الأوامر ، والتعميم ، القرارات ... الخ.

4 . **التصنيف على أساس الشكل الخارجي للوثائق :-** يتم في هذه الطريقة تصنيف الوثائق حسب الشكل الخارجي للوثيقة بغض النظر عن مضمونها الموضوعي وذلك لمتطلبات العمل في المؤسسة ، كتصنيف الوثائق حسب شكلها كونها خرائط ، صور ( فوتوغرافية ) ... الخ أو تصنيف الوثائق حسب حجمها .

5 . **التصنيف حسب الاسم :-** يتم تصنيف الوثائق على أساس الاسم لكي يتم تجميع الوثائق المتعلقة باسم معين في مجموعة واحدة مثل اسم الشخص، اسم الشركة ... الخ .

6 . **التصنيف التنظيمي :-** تصنف الوثائق بهذه الطريقة على أساس الهيكل التنظيمي للمؤسسة مثل قسم الحاسبات ، المدير العام ،

الإدارة . ومثل هذا التصنيف ممكن في المؤسسات التي يكون هيكلها الإداري ثابت ، وعملياتها الإدارية محددة .

7 . **التصنيف الموضوعي :-** يتم في هذه الطريقة تصنيف الوثائق حسب موضوعاتها توضع كل مجموعة من الوثائق المتشابهة في الموضوع في ملف واحد[7].

**أساليب خزن واسترجاع الوثائق :-**

تتنوع أساليب خزن الوثائق تبعا لأنواعها واسترجاعها ، فهناك ثلاثة أساليب تستخدم في عمليتي الخزن والاسترجاع وهي :-

1 . **الخزن والاسترجاع التقليدي (اليدوي) :-** التي يتم فيها خزن الوثائق بإشكالها المختلفة في الوسائل التقليدية والمتمثلة في الرفوف والخزائن (بأنواعها وإشكالها المختلفة) ، ويتم استرجاعها يدويا من قبل الموظف المختص في مؤسسات المعلومات التي تتبع نظام الرفوف المغلقة ، أو المستفيد نفسه في الرفوف المفتوحة لاستخدامها والاستفادة منها .

2 . **الخزن والاسترجاع المختلط (الهجين) :-** الذي يتم فيه استخدام الآلات والمعدات فضلا عن الأساليب التقليدية ، كمثال على ذلك حفظ البيانات والمعلومات ( الببليوغرافية ) الخاصة بالوثائق في أجهزة معينة (كما في أجهزة التصغير بأنواعها والحواسيب) وحفظ الوثائق

---

(7) ميلاد ، سلوى علي . الأرشيف : ماهيته وإدارته .- القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1986. ص40 .

ذاتها على رفوف المؤسسة أو القسم المعني واسترجاعها بالوسائل التقليدية بعد الاطلاع على تلك البيانات والمعلومات ( الببليوغرافية ) واختيارها من خلال الرسائل الإلية .

3 . **الخزن والاسترجاع الآلي (الممكنن) :-** ويتم فيها خزن الوثائق واسترجاعها بواسطة استخدام الأجهزة والمعدات المختلفة كأجهزة التصغير والحواسيب مع إمكانية إعادة تحويلها من شكلها المصغر أو الالكتروني إلى مخرجات ورقية اعتيادية عند الحاجة[8].

**صيانة وأمن الوثائق : -**

ان أوعية الحفظ والأثاث والمعدات الحديثة تساعد الإنسان على سرعة انجاز العمل ، كما ان توفر الأمن لكل أنواع الوثائق والأوراق وإشكالها يحقق الفائدة الكبرى للأجهزة والهيئات ويشمل أمن الوثائق عدة مجالات منها :-

أولا . أمن المعلومات السرية.

ثانيا . الأمن الذاتي والأمن الصناعي.

ثالثا . الأمن من إخطار الحريق والحروب التي تعود بالضرر الشديد على الإنسان.

رابعا . الأمن من التقادم الطبيعي وسوء الحفظ[9].

---

[8] هاشم ، عبد اللطيف . المعالجة الفنية للوثائق في قسم المعلومات في دائرة الإعلام : دراسة تطبيقية تطويرية .- (رسالة ماجستير) .- بغداد : الجامعة المستنصرية ، 2003 . ص78.

[9] حمود، محمود عباس . أمن الوثائق : الحفظ- التصوير- الترميم- الصيانة :- القاهرة : مكتبة غريب . دت .

إن طبيعة الوثائق التقليدية الورقية على اختلاف أنواعها وإشكالها المادية تتعرض إلى العديد من الإخطار التي تهدد سلامتها وأمنها . ومن أهم تلك المخاطر التي تؤثر على سلامة وامن الوثائق هي كالأتي :-

**أولا . العوامل الطبيعية :-** التي تتمثل بالزلازل – الفيضانات – الحرائق.

**ثانيا . العوامل البايولوجية :-** التي تتمثل بالحيوانات والقوارض الحشرات والديدان بأنواعها فضلا عن العوامل البيئية . كالفطريات الناتجة عن الرطوبة .

**ثالثا . العوامل الفيزيائية :-** وتتمثل بفعل الإنسان كالتشويه والتمزيق – الحرارة والرطوبة والضوء .

**رابعا . العوامل الكيمياوية :-** التي تتمثل بالحامضية في الورق والحبر وتركيبه فضلا عن عامل الجو والغبار [10].

ومن الإجراءات اللازمة التي يجب على المؤسسات إتباعها لكي تتفادى الإخطار الناتجة من العوامل السابقة ومعالجتها بسرعة عند حدوثها تتمثل بالأمور الآتية :-

1 . تزويد وحدة الأرشيف بالتجهيزات الأمنية اللازمة من أجهزة إطفاء وأجهزة إنذار خطير .

2 . اعتماد الطرق الحديثة للتحكم في درجة الرطوبة والحرارة والضوء .

3 . اعتماد قواعد واضحة ومحددة لضمان عملية تداول الوثائق .

4 . المكافحة الدورية للحشرات والقوارض باستخدام الطرق الحديثة للمبيدات الكيمياوية [11].

---

[10] الالوسي ، سالم . صيانة الوثائق والخرائط والكتب والمخطوطات .- مجلة الوثائق العربية ، ع20 ، 1990. ص162.

[11] عاشور ، كامل جواد . صيانة الوثائق والترميم اليدوي . مجلة الوثائق العربية ، ع20 ، 1990. ص162 .

**الأرشيف الالكتروني :-**

ظلت مهمة المؤسسات الأرشيفية على مدى عقود عديدة من دون تغيرات جديدة إلى ان تم إدخال التطبيقات الحديثة على نطاق واسع ، ولاسيما في التسعينيات التي أدت إلى تغيرات جذرية في العمل الإداري مقارنة بالطرق المعتمدة التقليدية في أداء مهماتها ، لغرض الاستفادة من تلك التقنيات في عمل المؤسسات ، فضلا عن إيجاد أدوات بحث فعالة تسهل الوصول إلى الوثائق المطلوبة .

**ماهو الأرشيف الالكتروني ؟**

الأرشيف الالكتروني يعني استخدام الأجهزة الرقمية والنظم الالكترونية في خزن ومعالجة الوثائق بالشكل الالكتروني (اللاورقية) [12].

**مستلزمات نظم الأرشفة الالكترونية :-**

ان هناك العديد من المتطلبات الأساسية التي تحتاج اليها المؤسسات لإنشاء الأرشفة الالكترونية في عملها الإداري منها:-

**أولا . المتطلبات المادية والبشرية والتي تتمثل بـــ :-**

أ . الحواسيب.

ب . الماسح الضوئي.

جـــ . الطابعات المتقدمة والملونة.

---

[12] معمر، منى الطاهر . التوثيق والمعلومات في تطبيق الإدارة الالكترونية .– ليبيا ، 2006. ص15. من الانترنيت

http.//www.tnrc.orglpapermona.doe

د . البرمجيات.

هـ . القوى البشرية المتخصصة.

و . أقراص ليزرية لتخزين الوثائق .

**ثانيا . متطلبات البيانات :-**

لكي يستطيع النظام إنتاج التقارير والإجابة عن الأسئلة التي توجه إليه ، فلابد من ان تتوفر للنظام البيانات الكاملة لكل وثيقة .

**ثالثا . استمارة إدخال البيانات :-**

ان البيانات عن كل وثيقة يتم إدخالها في النظام لغرض استرجاع التقارير والإجابة عن الأسئلة ، وعليه من الضروري إعداد استمارة لجمع البيانات التي يتوجب إدخالها حول الوثيقة .

**رابعا . متطلبات المعالجة :-**

ان متطلبات المعالجة تتضمن إنشاء قاعدة بيانات عن الوثائق وتعديل البيانات وحذفها وثم استرجاع البيانات [13].

**أهمية الحفظ الالكتروني :-**

يعد الحفظ الالكتروني من النواحي الأساسية لكل المؤسسات ، فمن الضروري جعل الوثائق متاحة لأطول مدة ممكنة لكل من يستخدمها . تؤثر القرارات التي تتخذ خلال عملية الحفظ الالكتروني في الوثائق ذات الاستخدام طويل الأمد ، ولاسيما لمؤسسات التي تخلصت من الأصول الورقية ، فمثلا قامت مكتبة الكونغرس بتحويل الجرائد الإخبارية إلى ميكروفيلم وقامت بطرح الجرائد جانبا عندما انتهت العملية ، وبالتالي فان

---

[13] معمر ، منى الطاهر . مصدر سابق . ص18.

الملفات الرقمية حاليا تعد نسخة حفظ لذلك فيجب ان تكون مناسبة للاستخدام طويل المدى[14].

فالمشكلة الأساسية أن البيانات الرقمية دائما ما تكون تحت التهديد المستمر حيث يمكن ان تفقدها للعديد من الأسباب ومنها :-

1 . تقادم ملف البيانات للمستخدم .

2 . تقادم الوسيط المستخدم لتخزين الملفات .

3 . تقادم الأجهزة والبنية التحتية المطلوبة لقراءة البيانات الرقمية [15].

وتوجد عدة طرق للحفظ الرقمي فهي لاتتعارض مع بعضها ، حيث يمكن استخدام طريقة واحدة أو أكثر من هذه الطرق منها :-

1 . **العناية المستمرة :-** حيث تتضمن الإدارة الدقيقة وذلك بوضع الملفات في وسائط آمنة يمكن الاعتماد عليها.

2 . **الهجرة :-** يتضمن اتجاه الهجرة للنقل الدوري للملفات من شكل واحد للملف إلى شكل أخر قابل للاستخدام في كثير من بيانات الحاسبات الحديثة.

3 . **التنشيط :-** تتضمن عملية التنشيط النقل الدوري للملف من وسط تخزين مادي إلى الأخر لتجنب الإفساد المادي أو التقادم الوسيط .

---

[14] digital preservation. dner\preservation.. من شبكة الانترنيت
http:\\www.gisc.ac.uk

[15] Report of the task force on archiving of digitial information in formation digital preservation.
http:\\www.dlib.orgadli baguley95.

4 . **المحاكاة :-** يركز اتجاه المحاكاة على برامج التطبيقات بدلا من الملفات التي تحتوي على المعلومات وذلك من خلال بناء برامج تحاكي أو تقلد كل انواع التطبيقات التي كانت مكتوبة لكل نوع من اشكال الملفات تعمل على أي بيئة حاسبات متاحة.

5 . **حفظ التقنية :-** تعتمد طريقة حفظ التقنية على حفظ البيئة الفنية التي أوجدت فيها الكيانات الرقمية سواء الأجهزة والبرامج التي استخدم من الإتاحة وقراءة البيانات الرقمية مثل أنظمة التشغيل وبرنامج التشغيل والوسائط.

6 . **الإنقاذ الرقمي :-** تتضمن الطرق والإجراءات لإنقاذ المحتوى من وسط مدمر أو من بيئة أجهزة وبرامج متقادمة ، قد يكون ناتج عن استخدام استراتيجيات حفظ من البداية(16).

**مزايا نظم الأرشفة الالكترونية :-**

يرى المختصون ان هنالك مزايا متعددة في استخدام الأرشفة الالكترونية في المؤسسات وهي كالأتي :-

1 . المساعدة في الحفاظ على الوثائق ولاسيما النادرة السريعة التلف من دون الحاجة إلى حجب الوصول إليها من الراغبين إليها في دراستها . فعلى سبيل المثال تحتفظ المكتبة الوطنية البريطانية في لندن بالنسخة الوحيدة لمخطوطة ( بيوولف ) التي تعود إلى القرون

---

(16)Preservation management of digital materials. من شبكة الانترنيت
http\\www.library.ucsb.edu/ucpag/digsele.html

الوسطى ، ولم يكن مسموحا برؤيتها إلا لقلة الباحثين المختصين، حتى قام كيرنان من جامعة كنتكي الأمريكية بتصويرها.

2 . إظهار تفاصيل لايمكن رؤيتها مباشرة على الوثيقة.

3 . سهولة الاسترجاع على وفْق موضوع الوثيقة أو بأية نقطة إتاحة للوثيقة الواحدة.

4 . التوفير في مكان التخزين.

5 . الإقلال في استعمال واستهلاك الورق.

6 . سرعة الاسترجاع وسهولة الاستخدام من قبل الملاك الوظيفي والإدارات العليا(17).

**دور مهنيو الأرشيف والمؤسسات الأرشيفية في ظل التقنية الحديثة :**

يتفق المهتمون على أهمية التنمية والتدريب المهني في مجال الأرشيف ، حيث مضى الوقت الذي كان فيه لقليل من التدريب كافيا للقيام بالعمليات والأنشطة الإدارية التقليدية ، الأمر الذي استدعى توفير فرص التدريب المستمر من قبل الإدارات العليا للملاك الوظيفي وعلى أيدي متخصصين ، لتطوير قدراتهم في مجال الحفظ الالكتروني للوثائق عند ممارستهم العمل الإداري .

وقد ظهرت عدة أسباب تؤكد ضرورة زيادة كفاءة العاملين في الأرشيف بشكل دائم ومستمر ، وتتمثل هذه الأسباب بالاتي :-

---

(17) عباس ، بشار . ارشيف الالفية الثالثة والتوجه نحو النظم الرقمية ، مجلة الوثائق العربية ، ع . م ، 1999 ، ص39 .

1 . التغيرات الكبيرة في الإجراءات والأدوات المستخدمة في التعامل مع المواد الأرشيفية وبشكل جعل الطرق التقليدية غير قادرة ان تفي بالغرض ، وأصبح من الضروري الأخذ بالأساليب الحديثة لما تتميز به من السرعة والدقة في إدارة الأنشطة الأرشيفية .

2 . تزايد أهمية المعلومات ودورها في تحقيق وتسهيل عمليات التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، والنمو الهائل في كمية الوثائق[18].

**نبذة تاريخية عن دار الكتب والوثائق العراقية (المكتبة الوطنية) :-**

تعود فكرة إنشاء المكتبة الوطنية إلى عام 1919 حينما تبرع بعض الوجهاء والأدباء والعلماء العراقيين بمكتباتهم لتأسيس مكتبة عامة ، وقد تحققت هذه الفكرة في 1920/4/16، بافتتاح المكتبة رسميا باسم مكتبة السلام تيمنا بالعاصمة بغداد، وفي عام 1924 تم إلحاق المكتبة بوزارة المعارف (وزارة التربية حاليا) وأصبحت تدعى المكتبة الوطنية ، ثم أمر الملك فيصل الأول في عام 1929 بأن تضاعف مجموعة كتب نظارة المعارف ومكتبة جمعية الشبان المسيحيين وتضاف إلى مكتبة السلام لتتوحد بمكتبة رسمية للبلاد .

وفي عام 1961 صدر قانون المكتبة الوطنية رقم ( 5) الذي قضي بتأسيس مكتبة لحفظ التراث العراقي والعربي تحت اسم (المكتبة الوطنية)

---

[18] ابو الرز ، محمد حسن . التجربة الأردنية في إعداد الأرشيفيين . رسالة المكتبة . مج39 . ع3 ، 4 ، 2004. ص8.

ثم صدر القانون رقم 43 لسنة 1964 الذي تم بموجبه إلحاق المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والإعلام (الثقافة حاليا) .

وفي عام 1972 شيدت بناية حديثة للمكتبة مقابل وزارة الدفاع في منطقة باب المعظم في وسط بغداد استوفت كل مستلزمات الحاضر وتطورات المستقبل . إذ صممت لتستوعب نمو مجموعة المكتبة لمدة عشرين عاما اعتبارا من تاريخ تشيدها. يتكون من ثلاثة طوابق تحتوي على ست قاعات للمطالعة. وتم افتتاح المكتبة في عام 1977 وفي مطلع عام 1987 تم دمجها مع الأمانة العامة للمركز الوطني للوثائق ليصبح كل من المكتبة والمركز وحدة إدارية مستقلة لكل منها أقسامها الفنية والإدارية الخاصة بها وتحت إدارة عليا تدعى المديرية العامة لدار الكتب والوثائق.

تتكون المكتبة الوطنية من الأقسام التالية :-

1 . قسم التزويد.

2 . قسم الفهرسة والتصنيف .

3 . قسم الدوريات .

4 . قسم الإيداع القانوني .

5 . قسم الإعارة والمخازن .

6 . قسم الإهداء والتبادل .

7 . قسم الأجهزة السمعية والبصرية .

8 . قسم تكنولوجيا المعلومات .

9 . قسم حفظ وصيانة المعلومات .

يبلغ عدد الموظفين العاملين في المكتبة الوطنية ( 320) موظفا موزعين على أقسام المكتبة ، كقوة عمل فعلية من الملاك الوظيفي الكلي[19].

**قسم تقنية المعلومات في المكتبة الوطنية :-**

تأسس قسم في 2008/11/1 ويعتبر من الأقسام المهمة في المكتبة الوطنية وذلك لانه القسم الذي يقوم بتحويل الأرشيف الوطني (الورقي) إلى أرشيف رقمي (الكتروني) ، الغرض الرئيس من الأرشيف الرقمي هو الحفاظ على الوثائق الرسمية وغير الرسمية ، الكتب ، الدوريات ، الصور ، المخطوطات وغيرها من المطبوعات القديمة والمهمة من التلف ، السرقة أو الضياع . كذلك توثيق الحقائق والإحداث التاريخية المهمة التي يمر بها القطر العراقي وسهولة الحصول عليها من قبل المستفيدين والباحثين[20].

**يضم قسم تقنية المعلومات ستة شعب وهي :-**

1 . شعبة الانترنت .
2 . شعبة الإصدارات الالكترونية .
3 . شعبة المكتبة الرقمية .
4 . شعبة صيانة الحاسوب .
5 . شعبة الأرشيف الرقمي .
6 . شعبة الدوريات الرقمية .

---

(19) مقابلة مع الدكتور سعد بشير اسكندر مدير دار الكتب والوثائق العراقية / المكتبة الوطنية بتاريخ 2012/2/6.

(20) مقابلة مع الأستاذ عمار عقيل جواد مسؤول الأرشيف الرقمي في دار الكتب والوثائق العراقية / المكتبة الوطنية بتاريخ 2012/2/6.

يعمل في القسم ملاك وظيفي يتكون من (40) موظفا وموظفة جدول رقم (1) يوضح ذلك.

| المجموع الكلي | الذكور | الإناث | الاختصاص |
|---|---|---|---|
| 1 | 1 | - | ابتدائية |
| 3 | 1 | 2 | متوسطة |
| 8 | 4 | 4 | إعدادية |
| 5 | 4 | 1 | دبلوم |
| 9 | 1 | 8 | بكالوريوس مكتبات |
| 10 | 5 | 5 | بكالوريوس حاسبات |
| 4 | 1 | 3 | بكالوريوس إدارة واقتصاد |
| 40 | 17 | 23 | المجموع |

**[جدول رقم (1) يوضح عدد واختصاصات العاملين حسب الاختصاص والجنس]**

**الأجهزة والمعدات المستخدمة في قسم تقنية المعلومات :-**

**1 . الماسح الضوئي (Scanner) :-** هو جهاز متطور (أمريكي الصنع) ذا مواصفات عالية وقياسات محددة وإضاءة جيدة يقوم بتصوير الوثائق وتحويلها إلى مايكروفلم ومن ثم تحويل المايكروفلم إلى صور رقمية بألوان مختلفة والغرض منه المحافظة على النسخ الأصلية وبنفس المواصفات(-).

(-)الأجهزة المذكورة أعلاه هي هدية من مكتبة الكونغرس الأمريكية حصلت عليها المكتبة الوطنية في العراق عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) لغرض الحفاظ على الأرشيف الوطني العراقي .

2 . **الحواسيب :-** لوضع قاعدة البيانات المرقمة تعمل بنظام (Windows).

3 . **طابعات :-** لاستخراج المعلومات اللازمة.

4 . **ناسخ الأقراص :-** لاسترجاع البيانات المرقمة.

**مراحل تحويل الوثائق الورقية :-**

لغرض تحويل الوثائق الورقية إلى رقمية فإنها تمر بعدة مراحل:-

1 . الترميم والصيانة.

2 . تحويل الوثائق إلى مايكروفلم.

3 . مرحلة إدخال البيانات وفهرسة الكتب والوثائق وفق نظام (WINISIS).

**أرشفة الوثائق الرقمية :-**

ان عملية أرشفة الوثائق الرقمية تمر بثلاث مراحل رئيسة هي :-

**المرحلة الأولى :-** يتم تحويل المايكروفلم إلى صور رقمية خلال جهاز الـــ Scanner الماسح الضوئي – ان عملية التصوير في الجهاز تكون دقيقة وواضحة واذا كان هناك خطأ معين في الصورة أو اللون يعاد التصوير آليا لتصليح الخطأ ، كذلك يتم التحكم في الإضاءة والعدسة ، بعدها يتم تحويلها أي الوثيقة إلى منتديات موجودة داخل قاعدة بيانات أي تصوير عادي وتصدر إلى (Xml) وهي لغة برمجة لغرض نشرها على الانترنت. كذلك تتوفر برامج جاهزة لمنظمة اليونسكو مثل برنامج (CIV) ووظيفة فحص المصدر وبيان دقته وتصحيح الخطأ آن وجد لغرض إعادة تصويره[21].

---

[21] مقابلة مع مسؤولة شعبة المكتبة الرقمية السيدة مينا طارق سعيد بتاريخ 2012/2/9.

ان البيانات الموجودة في قاعدة البيانات تكون باللغة الانكليزية إما إدخال المعلومات الخاصة بالوثيقة فتكون باللغة العربية ويكون مسجل على وسائط وهي (DVD) أو (CD) وذلك لإمكانية نشره على مواقع عالمية تستطيع جميع دول العالم ان تشترك فيه مثل :-

موقــع (www.worldDigitalLibrary )

ويعتبر العراق الدولة السابعة بين الدول العالم المؤسسة لهذا الموقع وعضوا فيه.

إِن الوثائق الالكترونية التي تنشر ضمن هذا الموقع تترجم إلى عدة لغات. يضم الموقع أنواعا متعددة من إشكال الوثائق كالدوريات (صحف ، مجلات) مخطوطات خرائط، كتب نادرة وقديمة الخ[22].

**المرحلة الثانية :-** وهي فهرسة الوثيقة . ان عملية المسح الضوئي في جهاز الـــ Scanner تترافق معها عملية فهرسة دقيقة للوثيقة وتحديد واصفات وكلمات مفتاحية بهدف استرجاعها بصورة ملائمة موضوعيا.

**إما المرحلة الثالثة :-** فهي خزن الوثائق وحفظها في قاعدة أو ملفات مغناطيسية أو ضوئية وإمكانية استرجاعها بصورة إلية وتوزيعها ونشرها عبر شبكات حاسوبية وعلى شبكة الانترنت.

لقد بدأ القسم بتوثيق أول مجلة عن المرأة في العراق وهي بعنوان (ليلى) محررة المجلة السيدة بولين حسون وقد نشرت في بغداد بين عام 1923-1925 وقد صدر منها عشرون عددا فقط حيث أكمل العمل على

---

[22] مقابلة مع مسؤولة قسم الحاسوب في دار الكتب والوثائق العراقية / المكتبة الوطنية العراقية ، الست أمل كاظم بتاريخ 2012/2/12.

أرشفتها وألان جاري العمل على أرشفة جريدة (الزوراء) وهي على وشك الانتهاء من عملية الأرشفة[23].

**الاستنتاجات :-**

أظهرت نتائج البحث التي تم الوصول إليها من خلال الزيارات الميدانية المتكررة والمقابلات مع المسؤولين في قسم تكنولوجيا المعلومات في المكتبة الوطنية.

ان هناك بعض السلبيات التي تواجه العمل والعاملين في القسم وهي كالاتي:-

1 . قلة عدد الأجهزة والمعدات الحديثة في القسم (كالحواسيب ، ماسحات ضوئية عالية القوة (High Powered Scanner) أجهزة تصوير مايكروفلمي ، أقراص وأشرطة مغناطيسية ، وسائط ضوئية للحفظ، طابعات ليزرية (ملونة).

2 . قلة الملاك الوظيفي المؤهل والمتخصص في مجال علم المكتبات والمعلومات ، التصوير الرقمي ، حفظ وصيانة الأرشيف الالكتروني.

3 . قلة الدورات التدريبية أو فرق عمل داخل أو خارج العراق في مجال إدارة نظم الوثائق وحفظها ، تصميم قواعد البيانات الفهرسة الالكترونية وإعداد الكشافات باستخدام الحاسوب لزيادة معلوماتهم وتطوير أدائهم .

4 . صغر حجم البناية الحالية للقسم وعدم ملاءمتها لاستيعاب أجهزة ومعدات إضافية قد يحصل عليها القسم مستقبلا إما عن طريق الإهداء أو الشراء والعمل جاري على بناء بناية مستقلة عن المكتبة .

---

[23] مقابلة مع الست منال حسين علي. مشرفة المكتبة الرقمية بتاريخ 2012/2/12.

5 . عدم توفير مكان (قاعات) مناسبة وملائمة لتقديم خدمات معلومات لعدد كبير من المستفيدين والباحثين .

6 . افتقار البناية الحالية للقسم إلى أجهزة للسيطرة على المخاطر الطبيعية التي تتعرض لها الأجهزة والمعدات (كالحرارة ، الرطوبة ، الضوء) .

**التوصيات والمقترحات :-**

1 . ضرورة اهتمام إدارة المكتبة الوطنية بتهيئة الأجهزة والمعدات التي يحتاج اليها القسم والقيام بعملية أرشفة الوثائق الكترونيا وحفظها وتخزينها وإتاحتها للمستفيدين بسهولة .

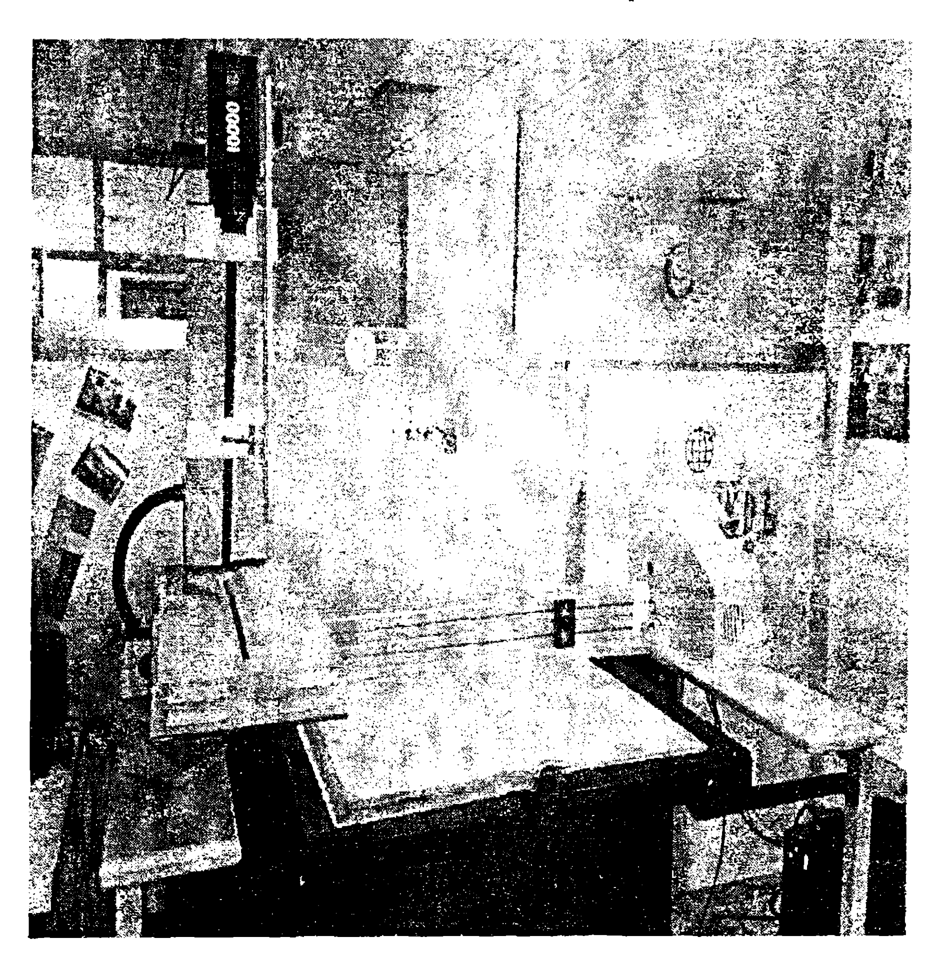
2 . زيادة عدد الملاك الوظيفي المؤهل علميا والمتخصص الذي يقوم بجميع مراحل العمل في القسم مثل (ضبط الوثائق وتقيمها، التصوير الالكتروني، الحفظ والصيانة، تنظيم الوثائق وفهرستها، الإتاحة لغرض تسهيل وصول المستفيدين للمواد المطلوبة).

3 . ضرورة إشراك الملاك الوظيفي في دورات أو فرق عمل في مجال إدارة الأرشيف ونظم الحفظ، الأرشيف ونظم الحفظ، الأرشيف الالكتروني، تصميم قواعد البيانات ، الفهرسة وإعداد الكشافات والمستخلصات الالكترونية إضافة إلى دورات متقدمة للبحث عبر شبكة المعلومات ( الانترنت ) .

4 . ضرورة تزويد القسم بأجهزة للسيطرة على (الحرارة ، الرطوبة ، الضوء) التي تعتبر من المخاطر الطبيعية التي تؤثر على الأجهزة والمعدات والمواد الأخرى داخل القسم.

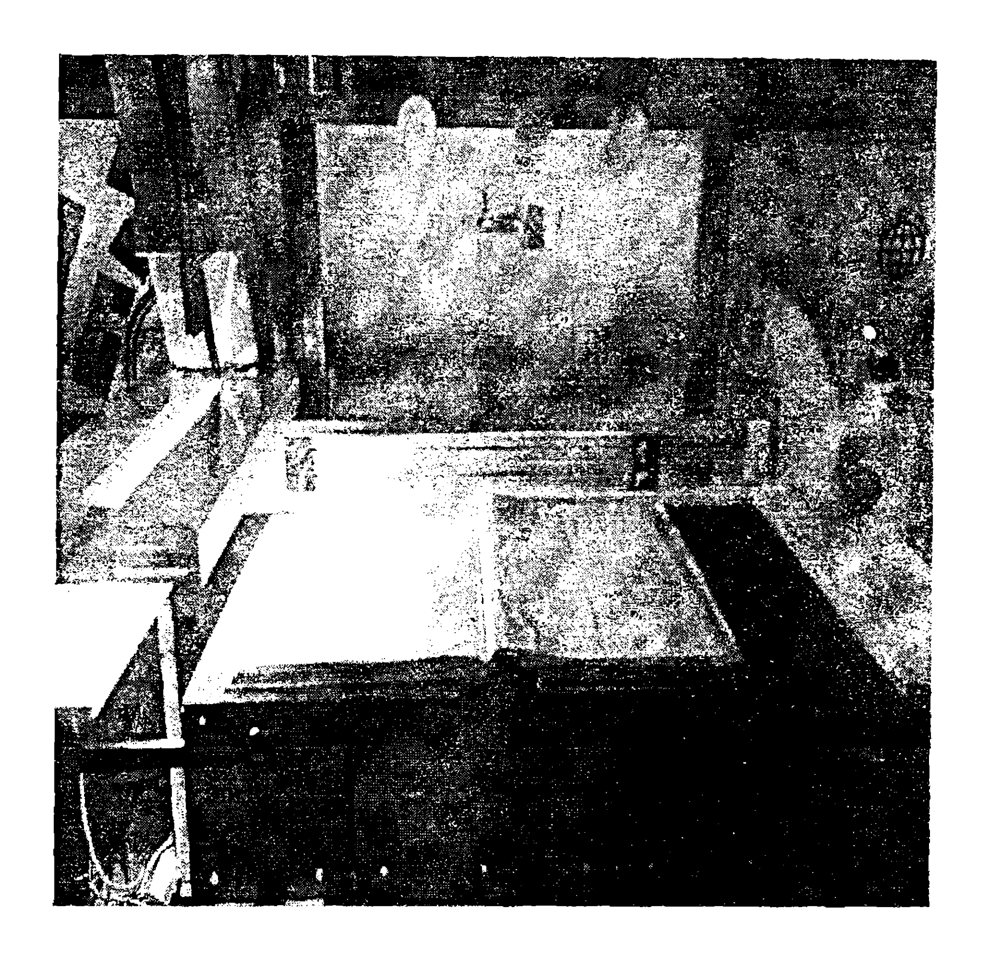
## ملحق رقم (١)

### صورة فوتوغرافية للأجهزة المستخدمة في قسم تكنولوجيا المعلومات (IT) في دار الكتب والوثائق العراقية



شكل رقم (١) يوضح جهاز الماسح الضوئي
(Scanner)

ملحق رقم (٢)



شكل رقم (٢) يوضح جهاز المساح الضوئي (Scanner) في وضع التشغيل في قسم تكنولوجيا المعلومات (IT) في دار الكتب والوثائق العراقية

# اصـــدارات المجمـــع العلمـــي

**اعــــداد**

**اخلاص محيي رشيد**

*** نازك الملائكة**

**دراسات في شعرها**

**تأليف : الدكتور احمد مطلوب**

**الدكتورة وسن عبد المنعم**

**منشورات المجمع العلمي لسنة 2011م .**

نازك الملائكة رائدة من رواد الشعر العربي الحديث ، وقد شغلت الحركة الأدبية والنقدية المعاصرة منذ تفتح شبابها حين أصدرت ديوانها الاول ( عاشقة الليل ) سنة 1947م . وتلته سنة 1949م بديوان ( شظايا ورماد ) الذي رسمت في مقدمته الضافية حركة الشعر الحر التي أخذت تعم الوطن العربي .

والملائكة ليست شاعرة فحسب ، وإنما هي مؤلفة وناقدة ، وذات ثقافة واسعة واطلاع كبير على اللغة العربية وآدابها ، وتجيد اللغة الانكليزية إجادة تامة ، وتعرف الفرنسية معرفة جيدة ، وتقف على اللغة

اللاتينية وقفة متأنية . وهي الى جانب ذلك كله تتذوق الفن وتهوى الموسيقى ، وقد التحقت بفرع العود في ( معهد الفنون الجميلة ) ببغداد ، وأتقنت العزف على العود الذي كان لا يفارقها في حلها وترحالها ، وحين تخلو الى نفسها أو تعتكف بعيدة عن الزوج والولد .

ودرست فن التمثيل لتتعلم فن الإلقاء ، وتطلع على فنون المسرح والدراسات التي عُنيت به .

وقد اهتم الباحثون والمؤلفون بنازك ووضعت عنها الكتب ، ونشرت البحوث والدراسات التي أشادت بمواهبها الشعرية والنقدية ، وأقيمت الندوات عنها ، ونالت الجوائز التقديرية وستبقى حديث الباحثين والمؤلفين الى ما شاء الله .

ومن بين هذه الكتب كتاب – صدر عن المجمع العلمي ، وهو عبارة عن مجموعة دراسات كتبها كل من الدكتور احمد مطلوب – والدكتورة وسن عبد المنعم – تناولا فيه بعض ملامح سيرتها وشعرها ونقدها وجاءت هذه البحوث في ثلاثة اجزاء : –

تناول الجزء الاول منها لغة نازك الملائكة وانسانيتها في شعرها ونقدها الادبي في المراسلات مع ابراهيم العريض .

واهتم الجزء الثاني دلالة التحول وفرادة صورة الحزن في مراثيها واسلوب التعالق في قصيدة الماء والبارود .

وجاء الجزء الثالث متميزا عن سابقيه ، إذ تناول لمحات من سيرة حياتها وثقافتها وعرض رسائلها مع ابراهيم العريض وبدايات شعرها الحر .

*** معجم الأوهام والأخطاء في صيغ الاسماء**

**تأليف : الدكتور نعمة رحيم العزاوي**

**منشورات المجمع العلمي لسنة 2011م .**

يعنى هذا المعجم ــ الذي صدر بجزئين ــ بالأغلاط اللغوية التي تظهر في النطق ولا يبدو شيء منها في الكتابة ، وذلك لأننا مشينا في الخط العربي على طريقة مخطئة ، لا تلائم طبيعته ، فنحن نكتب الكلمات صامتة مجردة من الحركات فيجعلها ذلك عرضة للخطأ بها من جهة ومحتملة احيانا دلالتين أو اكثر بحسب اجتهاد القارئ في لفظها .

وهناك خطأن النحوي والصرفي كلاهما هجنة في الكلام ، وعيب فظيع ينبغي التحرز منه ، وابتغاء الوسائل الى اجتنابه . وان الخطأ النحوي اسهل اجتنابا من الخطأ الصرفي ، ذلك لان قواعد النحو يمكن الإلمام بها ، والاعتماد عليها في تنزيه الكلام عن هذا الضرب من الخطأ ، اما الخطأ الصرفي فلا ينتبه له الا بمعرفة قوانين الصرف من جانب

وطول ملازمة المعجمات وكثرة ترداد النظر فيها من جانب آخر ، لمعرفة النطق الفصيح لكلمات اللغة ومفرداتها .

ويسمى ايضا هذا الخطأ بـــ ( بعثرات اللسان ) لأنه لا يظهر في الكتابة ولا يتورط فيه القلم ، بل الذي يرتكبه اللسان وحده إذا نطق بما هو مدون أو مكتوب .

ومن الواضح ان (( الألفاظ التي يعثر بها اللسان كثيرة وهي تختلف باختلاف الحركة والسكون ، والتخفيف والتشديد فالكلمة يكون أولها مفتوحا في فصيح اللغة ، فيضمه الناس او يكسرونه ، أو مكسورا فيضمونه او يفتحونه ، او يكون وسطه متحركا فيسكنونه او ساكنا فيحركونه ، او مشددا فيخففونه ، او مخففا فيشددونه . كل ذلك يفعلونه على خلاف الفصيح المعروف لدى أهل اللسان )) .

ولا بد من الإشارة إلى ان المؤلف لم يقتصر في هذا المعجم على ما يخطئ المعاصرون في نطقه ، بل تناول فيه ايضا ما يهتم فيه المعاصرون ، فيحسبون انه ينطق على وجه دون غيره ، في حين ان كتب اللغة تجيز في لفظه وجهين او ثلاثة .

ونبَّه المؤلف الى ان هذا المعجم يمكن ان نسميه ( معجم تلفّظ ) وهو ضرب من المعجمات التي تفتقر إليها لغتنا العربية ، في حين ان اللغات الأخرى قد عرفت هذا المعجم منذ وقت مبكر من عصرنا الحاضر ، فالمثقف العربي او المعني بسلامة لفظه من أبناء العربية ، اذا غم عليه الوجه الذي تلفظ به كلمة معينة يهرع الى المعجم فلا يظفر ببغيته إلا في عسر ومشقة لان طبيعة المعجم العربي تفرض عليه ان يقرا مادة لغوية كثيرة تكتنف اللفظة التي يبحث عنها وتجعل الوصول إليها يحتاج الى شيء ليس بالقليل من الوقت والجهد .

ان هذا المعجم سيختصر الزمن على الذي يرغبون في تقويم ألسنتهم او التثبت مما يشكون في وجه نطقه .

لقد عمل المؤلف على جمع مادة هذا المعجم عملا شاقا وطويلا ، ودوَّن ما تخطئ فيه من هيئات المفردات وحركات حروفها الداخلية ، ثم ضم الى ما دونت ما هدته اليه قراءته الطويلة للمعجم العربي ووقوفه عند كل لفظ يشكل نطقه .

*** نصوص من كتاب تكملة العين للخارزنجي**

**جمع وتوثيق ودراسة**

**تأليف : الدكتور عامر باهر أسمير الحيالي**

**منشورات المجمع العلمي لسنة 2012م .**

تعد كتب التراث اللغوي العربي التي لم نهتد إلى مخطوطاتها كنوزا لغوية مفقودة ، لذا فإنَّ جمع النصوص المتناثرة لأيٍّ منها هو كوضع اليد على جزء من هذا الكنز المفقود . وانطلاقا من هذا الفهم شرع محقق المخطوط بجمع نصوص من كتاب أبي حامد أحمد بن محمد البُشتيّ الخارْزَنْجيّ المفقود الموسوم ( تكملة العين ) ، وذلك من خلال استقراء المعجمات العربية وكتب اللغة ، ومن ثم محاولة توثيق نسبة هذه النصوص إلى هذا الكتاب الذي تكمن اهميته في كونه أحد الكتب التي حاول مؤلفوها أن يكمِّلوا بها ( كتاب العين ) للخليل بن أحمد الفراهيدي وإذا كان الخارْزَنْجيّ لم ينل من الشهرة ما ناله غيره ، فيكفيه أَنه كمَّل أشهر كتاب في العربية ، حتى غدا ما يُذْكَر مَن استدرك على العين إلا وذكر الرجل معهم .

وقد حتمت على المحقق طبيعة البحث أن يستقري كلَّ المعجمات العربية التي أُلفت بعد ( تكملة العين ) من ( تهذيب اللغة ) للأزهري إلى

(تاج العروس ) للزَّبيدي ، لكنه على حد قوله إلا في أربعة معجمات مما استقراه وهي : ــ

ــ ( المحيط في اللغة ) : للصاحب بن عباد .

ــ ( تاج العروس من جواهر القاموس ) : لمحمد مرتضى الزَّبيدي .

ــ كتاب ( العباب الزاخر واللباب الفاخر ) : للحسن بن محمد الصغاني .

ــ ( تهذيب اللغة ) : لأبي منصور الأزهري ، الذي أشار مؤلفه في مقدمته إلى كتاب التكملة ، وذكر مقتطفات من مقدمته ، ونقده نقدا لاذعا ، لكنه تجنب الإشارة إليه صراحة في متن التهذيب ، مع أَن كثيرا مما استدركه على العين موجود في التكملة ، لكن الأزهريّ نسبه إلى مصادره التي ذكرها في مقدمة تهذيبه ، وقد وثقت جانبا من هذا في هوامش النصوص .

وفضلا عمّا جمع المحقق من نصوص من المعجمات المذكورة آنفا ، وجد نصوصا تفرد بذكرها ياقوت الحموي ( 626هــ ) في كتابه ( معجم البلدان ) الذي صار بهذه المثابة واحدا من مصادره الرئيسة أيضا .

لقد اقتضت الضرورة المنهجية أن يكون هذا الكتاب في فصلين ، ضم الفصل الأول الدراسة ، وجاءت في تمهيد ومبحثين ، تناول المحقق ما ألف من كتب في الاستدراك على العين ، وجاء المبحث الأول تعريفا

بالخارْزَنْجيّ وكتابه ( تكملة العين ) ، وخصص المبحث الثاني لدراسة النصوص دراسة إحصائية وصفية . أما الفصل الثاني فضم النصوص التي جمعتها من كتاب التكملة .

وبما أن كتاب ( المحيط ) ضم أكبر عدد من نصوص التكملة ، فقد جعله المحقق بمثابة المخطوطة الأم على طريقة المحققين ، وأما نصوص التكملة التي وجدها في الكتب الأخر فقد قابل الأصل بها توثيقا وموازنة وتعديلا وحذفا وإضافةً حيث اقتضى الأمر . ونظرا لكون الخارْزَنْجيّ قد سار في ترتيب نصوص التكملة على منهج العين ، رأى المحقق انه من الأفضل أن يعتمد على هذا المنهج في ترتيب نصوص التكملة التي جمعها على الرغم من صعوبته ، حرصا منه على أن تكون هذه النصوص مرتبةً على وفق الصورة التي كان عليها الكتاب ، وبما أن النصوص غالبا ما تُصَدَّر بما يدل على أنها مهملة عند الخليل ، فان المحقق حذف منها الجمل التي تشير إلى ذلك ؛ من أمثال : ( أهمله الخليل ) و ( مهمل عند الخليل ) و ( مهمل عنده ) ؛ لأنها ليست جزءا من كلام الخارْزَنْجيّ . وعلى العكس من ذلك اضطر أحيانا إلى أن يصدر قسما من النصوص بجمل ليست من كلام الخارْزَنْجيِّ ؛ لأن في هذا التصدير توضيحا لنصوصه .